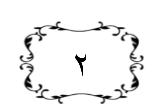
الوجيز

في تاريخ العراق الحديث

الأستاذ الدكتور

لمى عبد العزيز مصطفى



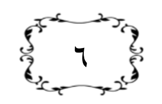
المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
حدود البحث	١٠
الفصل الأول **العراق تحت السيطرة الأجنبية ١٢٥٨-١٥٠٨**	**١٣**
المبحث الأول **العراق تحت السيطرة المغولية الايلخانية ١٢٥٨-١٣٣٧**	**١٥**
١ -الغزو المغولي وانهيار المقاومة العراقية واحتلال بغداد ١٢٥٨ -١٣٧٣	١٥
٢- أوضاع العراق الإدارية والاقتصادية خلال فترة السيطرة الايلخانية	١٩
أ- الإدارة	١٩
٣- النشاطات الاقتصادية في العراق خلال فترة السيطرة الايلخانية	٢٢
- الإقطاع	٢٢
- الزراعة	٢٣
- النشاط الحرفي والصناعي	٢٤
- التجارة	٢٥

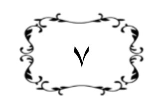
الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني **العراق تحت السيطرة الجلائرية ١٣٣٧-١٤١١**	٢٦
١ - الأوضاع السياسية للعراق خلال فترة السيطرة الجلائرية	٢٦
٢- أوضـــاع العراق خلال حكم الســـلطان احمد الجلائري ١٣٨٢ -١٤١٧	٣٢
٣- الغزو التيموري للعراق ١٣٩٣-١٤٠٣ وموقف الـدولـة الجلائرية منه	٣٤
- الغزو التيموري الأول للعراق سنة ١٣٩٣	٣٤
- أوضـــاع العراق إبان الغزو التيموري الأول للعراق ســنة ١٣٩٣	٣٩
- أوضـــاع العراق خلال الغزو التيموري الثاني والثالث للعراق ١٤٠١-١٤٠٣	٤٢
- انهيار الحكم الجلائري في العراق	٤٥
الأوضاع العامة العراق خلال فترة السيطرة الجلائرية للعراق ١٣٣٧-١٤١١	٤٩
١ -الأوضاع الاقتصادية	٤٩
- الزراعة	٤٩
- الصناعة	٥٢
- التجارة	٥٣
- الإدارة	٥٦

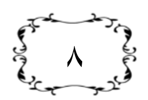
الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث **العراق تحت السيطرة القرة قوينلوية ١٤١١-١٤٦٨**	**٥٧**
- الأوضاع السياسية للعراق خلال فترة السيطرة القرة قوينلوية	٥٧
- إدارة العراق في فترة السيطرة القرة قوينلوية ١٤١١-١٤٦٨	٦١
- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للاحتلال القرة قوينلوي للعراق	٦٢
- موقف القوى العربية المحلية من الأوضاع السياسية في العراق حتى سنة ١٤٦٨	٦٤
١- آل فضل	٦٤
٢ - الإمارة المشعشعية	٦٥
المبحث الرابع **الاحتلال الاق قوينلوي للعراق ١٤٦٨-١٥٠٨**	**٦٨**
- الأوضاع السياسية للعراق خلال فترة السيطرة الاق قوينلوية	٦٨
- الأوضاع الاقتصادية للعراق خلال فترة السيطرة الاق قوينلوية ١٤٦٨ - ١٥٠٨	٧٢
- الضرائب	٧٥
- الإدارة	٧٦

الموضوع	الصفحة
الحياة الثقافية في العراق ١٢٥٨-١٥٠٨	٧٦
الفصل الثاني **السيطرة الصفوية على العراق ١٥٠٨-١٥١٦**	**٨١**
المبحث الأول **الخلفية التاريخية لقيام الدولة الصفوية**	**٨٢**
- الحملة الصفوية على العراق ١٥٠٨	٨٤
- معركة جالديران سنة ١٥١٤	٨٩
الفصل الثالث **دخول العراق تحت السيطرة العثمانية**	**٩٥**
المبحث الأول **اخضاع شمال العراق وجنوب شرق الاناضول تحت السيطرة العثمانية**	**٩٥**
معركة قرة غين ددة سنة ١٥١٦	٩٨
المبحث الثاني **حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد سنة ١٥٣٤**	**١٠١**
- حركة ذو الفقار الاستقلالية ١٥٢٤-١٥٣٠	١٠١
- حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد سنة ١٥٣٤	١٠٣



الموضوع	الصفحة
– تغير الولاء	١٠٣
– العامل الاقتصادي	١٠٤
دخول البصرة تحت السيطرة العثمانية	١٠٨
– اعمال السلطان سليمان القانوني في بغداد	١١١
الواقع الإداري للأيالات العراقية في القرن السادس عشر	١١٣
أ– إيالة بغداد	١١٣
ب– ايالة الموصل	١١٤
ج– ايالة البصرة	١١٤
د– ايالة شهرزور	١١٤
الكتخذا	١١٧
الدفتردار	١١٧
القاضي	١١٧
الفصل الرابع **الأوضاع السياسية في العراق ١٦٢٣-١٦٣٩**	**١٢١**
تمرد بكر صوباشي في بغداد سنة ١٦٢٣	١٢١
٢– حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد سنة ١٦٣٨	١٢٥
الخاتمة	**١٣١**
المصادر	**١٣٢**





المقدمة:

شهد المشرق العربي منذ منتصف القرن الثالث عشر تطورات سياسية مهمة. وقد أتت هذه التطورات على المؤسسة السياسية الدينية –الخلافة العباسية– وذلك بعد قرون طويلة ظلت فيها تلك المؤسسة قائمة في صورتها الشكلية.

والملاحظ أن الدولة العباسية مارست نفوذاً وسلطة مركزية على معظم أقاليم الدولة طيلة العصر العباسي الأول (١٣٢-٣٤٧هـ/٧٤٩-٨٦١م)، إلا أن سلطة الخلفاء العباسيين سرعان ما بدأت بالتراجع واقتصر النفوذ الفعلي لبعض الخلفاء على بعض المناطق كالعراق وأجزاء من بلاد فارس، أما بقية العالم الإسلامي فلم يكن ارتباطهم بالدولة إلا من خلال الدعاء للخليفة العباسي على منابر المساجد بعد أن حدثت عدة انفصالات إدارية في مصر والشام وبلاد فارس والاناضول عن الدولة العباسية. وانفرد بإدارة هذه البلاد عدة ولاة وأمراء محليين، ويعزى ضعف صفة الخلفاء العباسيين تراجع جيشهم وانفصال بعض الولايات إلى عدة أسباب لعل ابرزها اتساع رقعة الدولة العباسية لتشمل المنطقة الممتدة من حدود الصين وصولاً إلى المغرب الأوسط في شمال افريقيا والذي تحول هذا الاتساع إلى عامل ضعف ساعد على تفسخها وتفككها أمام بُعد المسافات بين أجزاء الدولة والعاصمة وصعوبة المواصلات مما شجع عدد من ولاة المناطق البعيدة عن مركز الخلافة في الاستقلال.

كان الخلفاء العباسيون قد وضعوا ثقلهم السياسي بكامله من جهة الشرق، أما باقي الأجزاء فأعطت اهتماماً أدنى وكانت النتيجة أن أصبحت المؤسسة السياسية أسيرة ذلك التوجه ووقعت أخيراً في قبضة القوى السياسية الأجنبية –الاتراك– التي تنامت قوتهم مع الوقت وأصبحوا يتدخلون في شؤون الخلافة يعزلون هذا الخليفة ويولون آخر حتى ذهب ضحية مؤامراتهم عدد من الخلفاء. وبالتالي فحين أدرك الجميع الخطر المغولي لم يكن بوسع المؤسسات السياسية القائمة آنذاك أن تواجه هذا التحدي.

وهكذا فإن الاجتياح المغولي للمشرق الإسلامي فضلاً عن اسقاط المؤسسة السياسية للدولة العباسية والمؤسسات المرتبطة بها في هذا الوقت الذي دفع إلى ساحة الأحداث بقوى سياسية جديدة من شعوب أواسط آسيا الرعوية كتب لها أن تلعب دوراً ضارباً الفوضى لقرون عدة، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً في ثنايا فصول الكتاب.

حدود البحث:

على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت دراسة تاريخ العراق السياسي والإداري خلال المدة ما بين ١٢٥٨-١٦٣٩ إلا ان هناك بعض الجوانب لا زالت بحاجة إلى الدراسة نظراً لأهميتها وتكمن هذه الأهمية فيما تركته من آثار سياسية واجتماعية وحضارية في تاريخ العراق الحديث وتحديداً بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد مروراً بسيطرة عدد من القوى السياسية على مقاليد السلطة في العراق بدءاً من السيطرة المغولية (١٢٥٨-١٣٣٧) مروراً بالاحتلال الجلائري للعراق (١٣٣٧-١٤١١) ثم سيطرة دولتي الخروف الأسود (١٤١١-١٤١٨) والخروف الأبيض (١٤٦٨-١٥٠٨) ومن ثم السيطرة الصفوية على العراق (١٥٠٨-١٥١٦) والتي شكلت مادتها الفصل الأول من هذه الدراسة.

أما الفصل الثاني فحمل عنوان السيطرة الصفوية للعراق (١٥٠٨-١٥١٦) فإنه عالج الأسس التي قامت عليها الدولة الصفوية في بلاد فارس من طريقة دينية إلى طريقة سياسية بإعلان الشاه الصفوي سنة ١٥٠١ قيام الدولة الصفوية ومن ثم التوسع الصفوي في العراق وإبعاد التحالفات التي عقدتها الدولة الأخيرة مع القوى المحلية والدولية الكبرى مما أحدث خللاً في ميزان القوى لصالح الصفويين.

كانت سيطرة الصفويين على العراق عاملاً حاسماً في نقل ثقل الدولة الصفوية من قوة ذات تأثير إقليمي محدود إلى قوة ذات تأثير دولي فعال. وعلى اثر ذلك دخلت هذه الدولة في تحالفات مع المماليك في الشام والبرتغاليين في الخليج العربي وقوى أوربية أخرى.

كانت الدولة العثمانية هي احدى القوى المحلية الكبرى التي شعرت بالمخاطر الناجمة عن الاحتلال الصفوي للعراق فكانت الضربة العسكرية المباشرة في معركة جالديران التي انتهت بهزيمة الجيش الصفوي سنة ١٥١٤.

فيما تناول الفصل الثالث السيطرة العثمانية على العراق (١٥١٦-١٥٤٦) جهود السلاطين العثمانيين سليم الأول وسليمان القانوني في انتزاع العراق من الدولة الصفوية مما نجمَ عن تحجيم للدور السياسي والاقتصادي للدولة الصفوية.

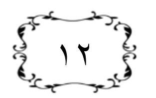
كانت بداية الجهود العسـكرية العثمانية في الجبهة العراقية سـنة ١٥١٦ وفي معركة قرة غين ددة التي انتهت بامتداد حدود الدولة العثمانية إلى شـرق الاناضـول وعدد من الوحدات الإدارية في شـمال العراق كسـنجار وكركوك واربيل. تلك المعركة سـتكون مقدمة لسـلسـلة من المعارك التي خاضـتها الجيوش العثمانية للسيطرة على المدن العراقية لعل ابرزها معركة عراقيين سفري سنة ١٥٣٤ والسيطرة على البصرة سنة ١٥٤٦.

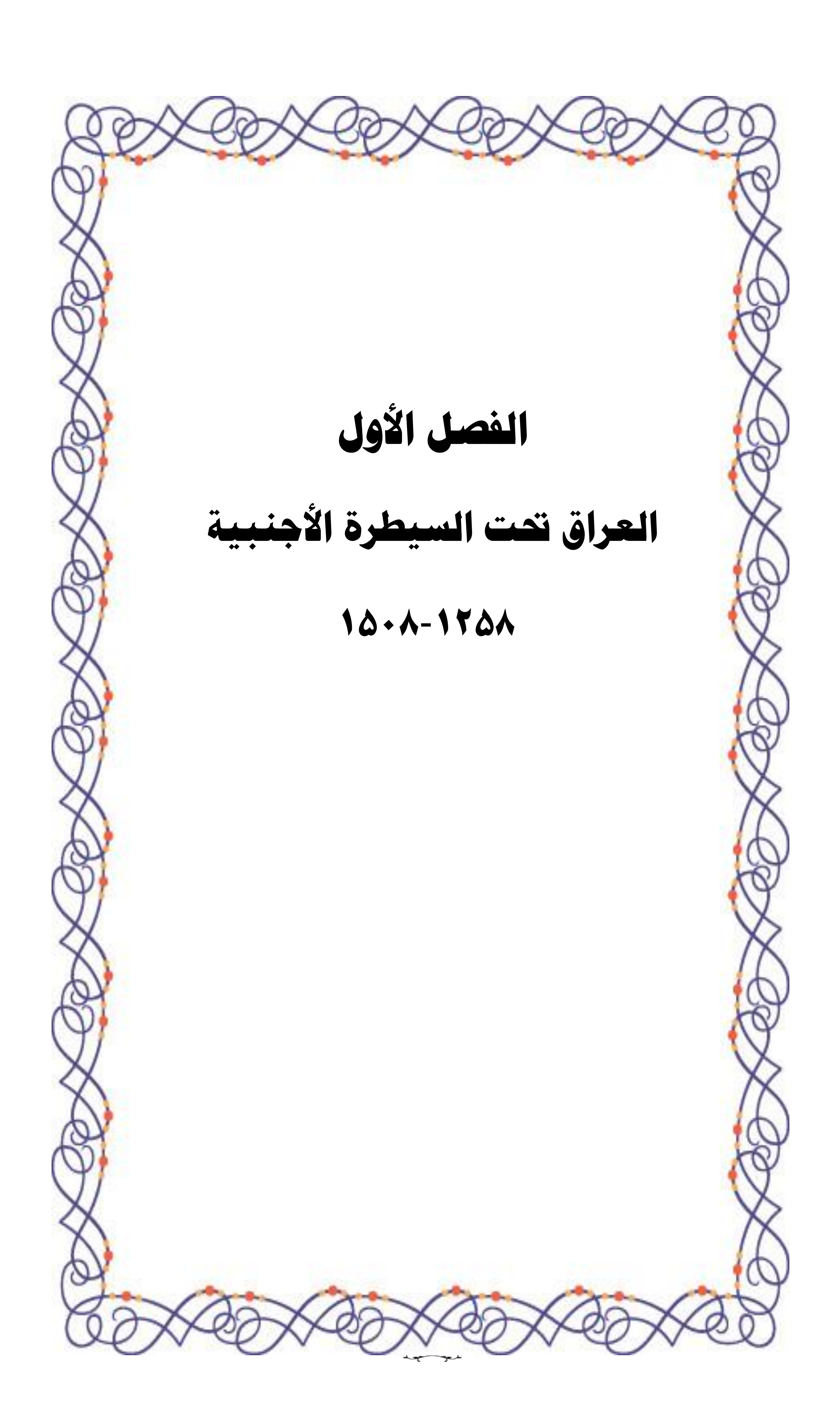
فضـلاً عن العمليات العسكرية التي خاضـتها الجيوش العثمانية في الجبهة العراقية. أفردت الباحثة جانباً من هذا الفصـل للحديث عن الواقع الإداري للأيالات العراقية في القرن السـادس عشـر من خلال الحديث عن التقسيمات الإدارية التي استحدثها السلطان سليمان القانوني في العراق وفي مقدمتها تقسـيم العراق إلى خمسـة وحدات إدارية –ايالات– وما رافق ذلك من اسـتحداث لعدد من التشـكيلات الإدارية والوظيفية والتي سـيجري الحديث عنها في ثنايا هذا الكتاب.

أما الفصـل الرابع والذي حمل عنوان الأوضـاع السـياسـية في العراق ١٦٢٣–١٦٣٩ فخصص للحديث عن محاولة الدولة الصفوية لقلب ميزان القوى لصالحها عن طريق استغلالها الدائم لظروف الدولة العثمانية بشكل عام وأوضاع العراق بشكل خاص في محاولة لانتزاع العراق بصـفته عاملاً حاسـماً في إعادة التوازن الدولي وتحقيق ارجحية لمصـلحة الصـفوية في ابعاده النهاية والذي نجم عنه المجابهة الصـفوية–العثمانية عام ١٦٣٨ والتي قررت وبشـكل نهائي الارجحية العثمانية في ميزان القوى في المنطقة حتى نهاية الدولة العثمانية في أوائل القرن العشرين.

وإتماماً للفائدة المتوخاة من هذه المقدمة لابد من وقفة قصـيرة على مصـادر هذا الكتاب الذي حاولت مؤلفته حشد ما تيسير لها من المصادر الأصلية والمراجع العربية والغربية فضـلاً عن العديد من الرسائل والاطاريح الجامعية التي سيرد ذكرها في صفحات هذا الكتاب.

وفي الختام أتمنى أن ينال هذا الكتاب رضا السادة القرّاء ومن الله التوفيق.





الفصل الأول

العراق تحت السيطرة الأجنبية

١٢٥٨-١٥٠٨

الفصل الأول

العراق تحت السيطرة الأجنبية ١٥٠٨-١٢٥٨

المبحث الأول

العراق تحت السيطرة المغولية (الايلخانية) ١٢٥٨-١٣٣٧ [١]

١ -الغزو المغولي وانهيار المقاومة العراقية واحتلال بغداد ١٢٥٨- ١٣٧٣

على امتداد قرون عديدة من زوال الخلافة العباسية سنة ١٢٥٨ وحتى مجيء العثمانيين في النصف الأول من القرن السادس عشر عاشت البلاد حالة من الفوضى والاضطراب بسبب سيطرة القوى الأجنبية ويأتي في مقدمتها المغول: وهم من المجموعة الالطائية (الأتراك والمغول) والذين استوطنوا المناطق الممتدة بين الصين والتبت جنوبا ومنشوريا شرقا وبلاد التركستان وما وراء النهر غرباً. وقد عرفت هذه المناطق بقسوة مناخها وانعدام وسائل العيش فيها وبالتالي فانها لا تساعد على تجمع قبائل ضخمة في مكان واحد لهذا لجأت هذه القبائل إلى التجزئة والانقسام الى عشائر واسر حتى الأسرة الواحدة قد تضطر إلى الانقسام والتجزئة حتى تستطيع تأمين وسائل العيش لأفرادها ومواشيها . وبعد ان تم توحيد هذه القبائل على يد جنكيز خان والذي استطاع أن يؤسس خلال فترة لا تزيد عن العشرين سنة (١٢٠٧-١٢٢٧) إمبراطورية تمتد لمساحات شاسعة امتدت من بكين شرقا إلى الفولغا غربا مع مناطق بلاد ما وراء النهر وأفغانستان والقسم الأعظم من إيران [٢].

---

(١) يعود إطلاق اسم الأيلخانين على هذه الدولة إلى كلمة أيل المغولية وهي بمعنى خاضع أو مطيع وبذلك وبذلك تكون كلمة أيلخان معناها المطيع للخاقان أو تابع الخان الأعظم أو هو الذي يمثله ويدين له بالولاء. فؤاد عبد المعطي ، الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين (اسرة هولاكوخان)، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، (الدوحة، ١٩٨٧)، ص ٢٧.

(٢) عبد المنعم رشاد ، " الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية ٦٦٠-٧٣٦هـ/ ١٢٦٢-١٣٣٥م"، موسوعة الموصل الحضارية، مج٢ ، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، (جامعة الموصل ، ١٩٩٢)، ص ٢١٤، ص ٢١٦.

اما بالنسبة للخلافة العباسية التي عاشت أقوى حالات الضعف والانحلال والتي تزامن مع سيطرة البويهيين والسلاجقة على بغداد، فشلت معها محاولات آخر الخلفاء العباسيين الإعادة الحياة للخلافة العباسية وهم الخليفة الناصر لدين الله (١١٧٩-١٢٢٥) والظاهر بأمر الله (١٢٢٥-١٢٢٩) والمستنصر بالله (١٢٢٩-١٢٤٢)، والتي تزامنت مع هجمات المغول المتكررة على الأقسام الشرقية للعراق وفي الأعوام ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٧، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٩. وقد اتسمت غاراته بالسرعة والبطش والوحشية لإشاعة البلبلة والفوضى والرعب في نفوس السكان ومارست القوات المغولية أبشع أساليب الفتك والقتل مما سهل على المغول تحقيق أهدافهم ، الضعف الذي كانت تمر به الخلافة العباسية[١] والصراعات المستمرة بين ملوك الأطراف كالأيوبيين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية[٢] ، أما إمارة بدر الدين لؤلؤ في الموصل(١٢٣٣-١٢٥٩)[٣]، والاراتقة في ديار بكر ، وكان هؤلاء في حالة صراع بعضهم مع بعض على مناطق النفوذ فاستغل المغول الذين كانوا قد اجتاحوا خراسان واسقطوا الدولة الخوارزمية فيها سنة ١٢٢٦[٤] . هذا الضعف فبدأوا يعدون العدة لاحتلال بغداد بعد أن تم انتخاب مونكو قاآن (١٢٠٠-١٢٠٩) خاناعلى المغول والذي اعد خطة لإكمال السيطرة على الغرب وإيران والعراق أوكل تنفيذها الى هولاكو (١٢٥٦-١٢٦٥) الذي زحف بجيش كبير تمكن من احتلالها في محرم ١٢٥٨ حيث اشتبكت القوات العباسية التي يقودها الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك بالقوات المغولية عند الدجيل (بين بغداد وسامراء) وانتهت المعركة بتحطيم الجيش العباسي وتقدم الجيش المغولي الرئيسي المؤلف من (٢٠,٠٠٠) محارب الى بغداد فطوقت بغداد من كل الجهات وبدأ القتال في أواخر محرم حيث نجح المغول في اختراق السور

(١) للتفاصيل يراجع : جعفر حسين خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، ج ١ ، مطبعة العاني، (بغداد ، ١٩٩٨) ، ص ٨-٢١.

(٢) محمود ياسين التكريتي ، الأيوبيين في شمال الشام والجزيرة ، دار الرشيد للنشر (بغداد ، ١٩٨١)، ص ٣٠٢ -٣٠٩.

(٣) سوادي عبد محمد ، إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ ، مطبعة الإرشاد، (بغداد ، ١٩٧١)، ص ٧١-٨٠.

(٤) الباز العريني، المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ١٣٤.

من بعض المواقع حيث استبيحت المدينة سبعة أيام بلياليها وكان من ضحاياها الخليفة العباسي (المستعصم بالله) مع عدد من أفراد عائلته وحاشيتهم ولم ينج من أيديهم إلا عدد قليل(١).

وقد استولى الخراب على مدينة بغداد وكان القتلى في الدروب والأسواق ، حيث اختلف المؤرخون في عدد القتلى فبعضهم جعل العدد ثمانمائة ألف قتيل وآخرون قدروا العدد بحوالي المليونين ، ولكن على الأرجح أن العدد لا يتجاوز الثمانين ألفا(٢). وقد نجا من القتل كل من كان على صلة بالمغول كبعض الوزراء والتجار وأهل الذمة ومنهم مؤيد الدين بن العلقمي ، وصاحب الديوان ابن الدامغاني وصاحب الباب ابن الدوامي ، وكان هؤلاء على صلة جيدة بهولاكو ومتواطئين معه على تسليم بغداد لقاء الإبقاء على حياتهم ومناصبهم(٣). وفي صفر ١٢٥٨ رحل هولاكو عن بغداد باتجاه بعقوبة وذلك بسبب انتشار الأوبئة والروائح الكريهة وكثرة عدد القتلى(٤).

اما عن مصير باقي المدن العراقية فقد تحددت مواقفها من المغول وعلى الشكل التالي:

لم يتعرض المغول الحلة والكوفة اذ سار وفد من أهلها حاملا معه الكثير من الهدايا والمال الى هولاكو وسألوه حقن دمائهم فأجاب هولاكو سؤالهم وعين عليهم شحنة(٥)، فيما أبدت مدن أخرى مقاومتها للاحتلال المغولي كواسط فقام الجيش المغولي بمحاصرتها ثم دخلتها عنوة وذبح من أهلها أكثر من أربعين ألفا من أهلها ، واربيل التي عجز المغول عن أخذها فاستعانوا بـ(بدر الدين لؤلؤ) الذي قام بمحاصرتها ثم أخذها عنوة وأصبحت تابعة له(٦). فيما نجت الموصل

---

(١) للاستزادة يراجع : محمد صالح القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، (النجف ، ١٩٧٠)، ص ٩٠-١٠٨؛ عبد المنعم رشاد، " احتلال المغول لبغداد " ، مجلة آداب الرافدين ، العدد الأول ، ١٩٧١ ، ص ٢٠.

(٢) رشاد ، الموصل في عهد السيطرة المغولية ، ص ٢١٨؛ صبري عبد المنعم محمد ، سياسية المغول الأيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام (٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦-١٣٣٥م) العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠٠١)؛ ص ١٦؛ خصباك ، المصدر السابق ، ص ٥٦.

(٣) رشاد ، احتلال المغول لبغداد ، ص ص ٢٤-٢٥ ؛ عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، مج ١، مكتبة الحضارات (بيروت، لبنان ، د.ت) ، ص ٤٥ . لمزيد من التفاصيل يراجع : خصباك ، المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ص ٥٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٧.

(٥) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٣١.

من هذا المصـير بدر الدين لؤلؤ دخل في طاعة المغول منذ وقت مبكر واسـتمر الحال على هذا المنوال حتى وفاته ١٢٥٩ [١]، حيث خلفه ابنه الصالح.

غير ان تطور الأحداث على الساحة السياسية حتمت عليهم تغيير مواقفهم ولعدة أسباب نذكر منها:

١. ظهور دولة المماليك الفتية في مصـر وبلاد الشـام والانتصـار السـاحق الذي حققته على المغول بقيادة السـلطان مظفر الدين في موقعة عين جالوت سـنة ١٢٦٠، فكانت أول هزيمة ماحقة تلحق بجيوش المغول.

٢. كما أن سيطرة المغول على بلاد الجزيرة والشام جعلهم يواجهون المماليك وجها لوجه[٢].

٣. فضلا عن أن أهل الموصل عز عليهم أن يخضعوا لإدارة المغول و إيمانهم بعد أن كانوا أصحاب إمارة نالت حظها من القوة والتقدم لفترة طويلة في العهد الاتابكي.

وكان لإنتصار المماليك في معركة عين جالوت وقدر تعلق الأمر بالعراق نتائج عدة لعل أبرزها : قضت على آمال المغول في مد سيطرتهم على بلاد الشام ومصر . وأصبحت سيطرتهم مقتصرة في الدفاع عن ممتلكاتهم في العراق وفي بعض بلاد الجزيرة ، وتخلو عن سياسة الهجوم وأصبح همهم الوحيد الاحتفاظ بهذا الحد طبيعية بحدهم مع المماليك[٣].

هذا وقد اسـتطاعت الموصـل بقيادة الملك العادل نور الدين بن الملك الصـالح بن بدر الدين لؤلؤ أن توقف القوات المغولية وبدعم من الظاهر بيبرس صـاحب مصـر مدة سـتة أشـهر عجز فيها المغول عن احتراقها لكن طول مدة الحصـار وفقدان المؤن اجبر حاكم الموصـل على

(١) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ ، ٢ ، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ، ١٩٥٧)، ص ٤٢١.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول نتائج معركة عين جالوت يراجع: العريني، المصدر السابق، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٣) لمزيد من التفاصـيل ينظر : علاء محمود خليل ، المغول في الموصـل والجزيرة ١٢٥٨-١٣٣٧م، رسـالة ماجستير، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ، ١٩٨٥)، ص ٩٣- ١٠٧؛ سالم يونس محمد المولى ، العراق في السـياسـة المملوكية ٧٨٤ / ٩٠٩ هـ ، رسـالة ماجسـتير ، كلية الآداب، (جامعة الموصـل، ١٩٨٩م)، ص ٨٦-٩١.

طلب الصلح من القائد المغولي إلا أن الأخير سرعان ما تنكر لذلك فبعث بالصالح بن إسماعيل وأخيه الملك الكامل مع ابنه الصغير علاء الدين الى هولاكو الذي أمر بقتلهما[١].

أنهى سنداغو نويان احتلاله لمدينة الموصل في رمضان ١٢٦٢ حيث استبيحت المدينة بتسعة أيام فقتل غالب أهلها[٢] واسر المغول بعض سكانها وتحديدا الحرفيين المهرة في بعض الصناعات والحرف التي كانت تشتهر بها الموصل لصناعة الأقمشة والصناعات المعدنية[٣]، كانت المحصلة التالية استكمال المغول احتلال بقية المدن التي كانت تابعة لإمارة الموصل ومنها جزيرة بن عمر والعمادية[٤].

٢ –أوضاع العراق الإدارية والاقتصادية خلال فترة السيطرة الايلخانية :

أ– الإدارة:

تحول العراق بعد هذه الكارثة الى جزء من إمبراطورية واسعة عرفت بالإمبراطورية الايلخانية التي ضمت بالإضافة إلى العراق أفغانستان وبلاد إيران وشرق الأناضول[٥]، كما قسم الإقليم الواحد الى عدة ولايات وكل ولاية الى عدة أعمال وقد تعلق الأمر بالعراق فقد قسم الى ولايات ثلاث هي عراق العرب والتي اشتملت على المنطقة الممتدة من حديثة الى عبادان طولا ومن القادسية الى حلوان عرضا والتي ضمت ستة أعمال:

١ –بغداد .

٢ –الأعمال الشرقية وتشمل الخالص وطريق خراسان .

---

(١) المقريزي. المصدر السابق ، ص ٤٧٥.

(٢) ياسين أفندي بن خير الله الخطيب العمري، الدّر المكنون في المأثر الماضية من قرون، دار استانبولي للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٦٤–٢٦٦ .

(٣) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤–٢٦٦؛ خصباك ، المصدر السابق ، ص ٥٨.

(٤) علاء محمود قداوي ، تاريخ العراق في عهدي القرة قونيلو والاق قوينلو (٨١٦–٩١٤هـ /١٤١١ – ١٥٠٨م)، ط ١، دار غيداء للنشر والتوزيع ، (الأردن ، ٢٠١٢)، ص ١٠٩–١١١.

(٥) شكل العراق جزءا من وحدة إدارية ضمت عدد من الأقاليم ومنها خراسان و مازندران حتى نهر جيحون أسندت إدارتها الى اباقا القزاز، المصدر السابق ، ص ١٤٤.

٣- الأعمال الفراتية بين الانبار والقائم .

٤ – الأعمال الواسطية .

٥- الأعمال الحلية والكوفية .

٦- الأعمال البصرية[١].

اما ولاية ديار بكر وعاصمتها الموصل وكان ما وقع منها ضمن حدود العراق الموصل وسنجار والعمادية واربيل[٢] ، واما ولاية بلاد الجبل التي يقع جزء منها في الجزء الشمالي الشرقي من العراق ممثلا بشــهرزور، والجزء الآخر يقع في الجهة المقابلة من بلاد إيران والولايات الثلاثة تتبع العاصمة مراغة في اقليم أذربيجان[٣].

كانت حكومة الولاية تحت إمرة أمير مغولي ، وأحيانا يكون عليها أكثر من أمير كما حدث في عهد الايلخان ارغون (١٢٨٤-١٢٩١) الذي اسند مسؤولية الإشراف على إدارة العراق الى ثلاثة أمراء هم جوشكاب و بايدو واروق . ليحكموا قبضتهم على الولاية وليكون بعضهم رقيبا على البعض الآخر وعلى الحكام المحليين لمنع التآمر على الايلخان ولضمان ولائهم له . وأسوة بباقي الأعمال تألف الجهاز الإداري لولاية بغداد في عهد المغول الايلخانيين من عدد من الموظفين المدنيين نذكر منهم:

١- **صـــاحب الديوان** : وهو بمثابة الحاكم الأعلى للولاية والذي تولاه مؤيد الدين العلقمي الذي كان يطلق عليه لقب وزير امتدادا لما كان عليه الحال زمن الخلافة العباســـية وبقي في المنصب حتى وفاته سنة ١٢٥٩ وبعد وفاته اسقط لقب الوزير لتصبح تسمية صاحبة الديوان هي المتداولة ، وأسوة بباقي الوظائف الإدارية الأخرى عمد المغول الى تعيين أكثر من شخص ليتولى هذا المنصــب . ففي عهد الايلخان أرغون كان هناك أكثر من صــاحب ديوان وهم كل من علي بدر الدين خاص وسعد الدين مظفر ومجد الدين بن الأثير وأسوة بباقي الموظفين لم يبقي المغول

---

(١) عماد عبد الســـلام رؤوف ، "حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين "، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١١ ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ٥٧-٥٨؛ العزاوي ، المصدر السابق، ص ٢٢٢.

(٢) خليل ، المصدر السابق ، ص ١٢٦-١٣٦.

(٣) محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري ، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء ، تحقيق: سعيد الديوه جي، ج١، مطبعة الجمهورية (الموصل ، ١٩٩٧)، ص ١٢٨.

على الموظف الواحد فترة طويلة . وفي سنة ١٢٩٩ استبدل التعيين الولاية صاحبة ديوان العراق (بالضـــمان) عندما عقد الايلخان غازان (١٢٩٤-١٣٠٣) ضـــمان العراق للشـــيخ جمال الدين السواملي[١].

- المشرف المالي : الذي كان يقع ضمن مسؤولياته الإشراف على الجوانب المالية ، اما بالنسـبة للأعمال العراقية ، فقد عين سـنة ١٢٤٢ سـليمان بن مؤيد المعروف بالحافظي مشرفا على الموصل والجزيرة[٢].
- كانت السلة وهو المسؤول عن كتاب الولاية وبيده أسرارها ويطلق عليه أحياناً بـــ (كاتب العراق) .
- قاضـي القضـاة : وكانت وظيفته الفصل في الخصومات واستيفاء الحقوق ثم الوصـايا على اليتامى والمجانين والقاصـــرين وإدارة المؤســـســـات الدينية وأمور الزواج والطلاق والنظر في الأوقاف . وكان قاضي قضاة بغداد هو الذي يعين القضاة في العراق . وكان ممن تولى القضاء في الموصل موسى بن محمد المعروف بكمال الدين[٣].
- ناظر الأوقاف : ومهمته الإشـــراف على الأموال المحبوســـة للجوامع والربط والزوايا والمدارس وإنفاقها على وجوهها الشرعية ، وبعد احتلال هولاكو للعراق ولى نصـير الدين الطوسي جميع الأوقاف في سائر بلاده[٤]. وهناك وظائف اقل أهمية منها نقابة الإشراف أو العلويين و أول من تولى نقابة العلويين في الموصـــل في العهد الايلخاني هو مجد الدين ابو منصـور محمد بن ضـياء الدين زيد بن محمد العبدلي المتوفي سـنة ١٢٩٣. كما قرر غازان إنشاء (دار السيادة) في كل مدينة كبيرة كبغداد والحلة وتبريز و أصبهان و شيراز والموصل وجعلها وقفه يصل إلى الفقراء والمحتاجين من العلويين[٥].

---

(١) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٤٢٤، بينما ذكر مصدر اخر الايلخان ارغون استحدث في سنة ١٢٨٤ منصب المشرف على صاحب الديوان ، ففي الوقت الذي جرى فيه تعيين بدر الدين خاص بمنصب صاحب ديوان بغداد ، عين سعد الدين مظفر القزويني مشرفا عليه ، خصباك ، المصدر السابق ، ص ٦٩.

(٢) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٦٠-٦١.

(٣) رشاد ، الموصل في عهد السيطرة المغولية ، ص ٢٣٠.

(٤) خصباك ، المصدر السابق ، ص ٧٣.

(٥) رشاد ، الموصل في عهد السيطرة المغولية ، ص ٢٣٠.

اما أهم الوظائف العسكرية فكانت الشحنة[1]. وقد ظل أمر هذه الوظيفة بيد المغول . أما أول شحنة جرى تعيينه فكان علي بهادر الخراساني.

٣- النشاطات الاقتصادية في العراق خلال فترة السيطرة الايلخانية :

- الإقطاع :

جرى استخدام الإقطاع في أواخر أيام الخلافة العباسية كإحدى أساليب التنظيم الإداري والمالي في الدولة ، فكانت الخلافة تمنح الإقطاع لمن تشاء شريطة أن يرسل المقطع الوارد للحكومة بعد قطع جزء منه لنفسه ، أو أن يتقبلها المقطع (بالضمان) عن طريق دفع مقدار معين من المال يدفعه للدولة سنويا على ان يحتفظ لنفسه بالباقي ، ولم تترتب على المقطع أية واجبات عسكرية[2].

اما في العهد الايلخاني فقد أصبح الإقطاع السمة الرئيسية لاقتصاد دولة قامت بالأساس على السلب والنهب ، لذلك شاعت خلال هذه الفترة أساليب جديدة في حيازة الأرض بهدف خلق فئات اجتماعية لها مصلحة في التمسك بالحكم الايلخاني فشاعت في هذه الفترة ثلاثة أنماط من الإقطاع .

١- الاستغلال منح للقادة العسكريين غير أن بقاء هذا النوع ارتبط بولاء الدولة وقد أشارت المصادر الى منح قرى بأكملها كنوع من أنواع الاستغلال.

٢- التمليك منح للسكان المحليين المرتبطين مصلحياً بالحكم الايلخاني .

٣- السيورغال وهي عبارة عن منح ونعم سلطانية كانت تمنح لبعض الوجهاء من سكان

---

(١) الشحنة: كلمة تركية مغولية يراد بها رئيس الشرطة ومهمته المحافظة على الأمن والقضاء على الثورات وحركات التمرد ومراقبة صاحب الديوان الضمان ولائه للدولة الايلخانية ولهذا ظل أمر هذه الوظيفة بيد المغول . للتفاصيل يراجع : خصباك ، المصدر السابق ، ص ٧.

(٢) للاستزادة يراجع : نوري عبد الحميد العاني ، العراق في العهد الجلائري ٧٣٨ - ٨١٤هـ/ ١٤١١ - ١٣٣٧م ، دراسة في أوضاعه الإدارية والاقتصادية ، دار الحرية للطباعة (بغداد ، ١٩٨٦)، ص ١٩٠ - ١٩٣.

المدن ولم يكن هذا النوع من الإقطاع وراثيا في البداية ولكن باستمرار الحكم المغولي اتخذ سمة الوراثة[1].

- **الزراعة :**

تركت الأوضاع السياسية المتدهورة تأثيرها السلبي على معظم النشاطات الاقتصادية وتحديدا الزراعة رغم سعة مساحة الأراضي الزراعية وخصوبة الأرض ، إلا ان الإنتاج الزراعي انخفض بسبب أعمال التخريب التي قامت بها القوات العسكرية المغولية بالإضافة إلى ضعف العناية بالري وانحباس الأمطار[2] وفيضانات أنهارها[3] وموجات الجراد ، فضلا عن تعدد الضرائب والضرائب الاستثنائية والتي كانت خاضعة لأهواء الحكام وجشعهم الذي لم يعرف الحدود ومن تلك الضرائب الشرعية (الجزية والخراج) والضرائب الغير شرعية والتي اشتملت على مختلف مرافق الحياة نذكر منها ضريبة التمغا والأسواق والعقارات والمراعي ... اما أسلوب جباية الضريبة فكانت على ثلاثة أنواع هي الضمان والجباية المباشرة والإقطاع . ولهذا فلا نستغرب أن كثيرا من القرى الزراعية التي كنا نسمع بوجودها قبل الاحتلال المغولي لم يعد لها ذكر حيث أشار حمد الله المستوفي في حديثه عن مدن خانقين وجلولاء والخالص والنهروان فانها بقيت خرابا على الرغم من مرور أكثر من ثمانين سنة على سقوط بغداد[4]. ومهما كانت أسباب هذه الأزمات فقد اختفى الخبز وعانى الفقراء من نقص التغذية وبالتالي انتشرت الأمراض في العراق ولسنوات عدة نذكر منها سنة ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨٩، ١٣١٣ ، ١٣٢٩، حيث اضطر الفقراء الى بيع أولادهم وللسنوات ١٢٨٥ ، ١٣١٨، ثم اجتاحت المدن العراقية المجاعة وللسنوات ١٣٢٩، ١٣٣٧ [5]، إلا أن هذا لا ينفي استمرار النشاطات الزراعية لعدد من المدن العراقية ومنها الموصل التي اشتهرت بزراعة العديد من المحاصيل الزراعية كالحنطة والشعير والزيتون[6]،

---

(١) العاني ، المصدر السابق، ص ١٩٠ – ١٩٣.

(٢) وفي سنة ١٢٧٩م قلة مياه أمطار العراق وعم الجفاف المدن العراقية وعم الغلاء.

(٣) في السنوات ١٢٦٦ و ١٢٧٧ و ١٣٢٠ و ١٣٢٥م فاض نهر دجلة في موسم الربيع ودمر كثيرا من الأمكنة فيها؛ العمري، الدر المكنون، ص ٤٣٨؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٣١٨ ، ص ٥٣٩ –٥٤٤.

(٤) القزاز ، المصدر السابق ، ص ٢٧٣.

(٥) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٣٠ ، ص ٤٨٢ ؛ العاني ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧.

(٦) نقلاً عن: العمري، الدر المكنون، ص ٤٦٧، ص ٤٧٨؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٣.

فضــلا عن الـسمـسـم والقطن والأشـجار المثمرة الأخرى[١]. فيما اشـتهرت واسـط بكثرة بسـاتينها خصـوصـا النخيل ، اما أربيل فاشـتهرت بزراعة الحنطة والقطن وسـنجار التي اشـتهرت بأشـجار الفاكهة والزيتون والتين والعنب[٢].

- النشاط الحرفي والصناعي :

وما أصـاب الزراعة من تدهور أصـاب الصـناعة كذلك اذ يذكر مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني بأن جند المغول الذين احتلوا الموصــل سـنة ١٢٦١ قد " قتلوا بقية سـكان المدينة بحد السيف واسروا بعضا من أرباب الحرف والصنائع بحيث لم يبق احد من الموصل"[٣]. وعلى الرغم من وطأة الاحتلال فقد انتعشت بعض الصناعات ومنها المنسوجات بسبب حاجة الأسر الحاكمة الى مثل هذه الصناعات ، كما أقام الايلخانيون مصنعاً حكومياً لهذا في بغداد ، كما ازدهرت في الموصــــل صــــناعة ثياب الحرير المعروف بالموزلين[٤]، وأنعشــــت في بغداد صــــناعة الورق والأسـلحة[٥]. وقد أشـار السـائح المغربي ابن بطوطة الذي مر بالعراق سـنة ١٣٢٩ الى أسـواق بغداد بقوله " والجانب الشــرقي من المدينة حافل بالأســواق عظيم الترتيب أعظم أســواقه يعرف بسـوق الثلاثاء كل صـناعة فيه على حدة "[٦]. وإضــافة الى بغداد والموصـل اشـتهرت عدد من المدن العراقية بمثل هذه المنتجات ومنها النجف وواسط والحلة واربيل والبصرة .

ويبدو أن هذه المهارات كانت موضـــع إعجاب الناس في البلاد الأخرى مما دعي بعض المتميزين فيها الى الهجرة ومزاولة نشــاطاتهم في تلك البلاد ومن هؤلاء الحســن بن الحســين بن يوسف الموصـلي (١٢٤٤-١٣١٠) الذي تميز بصـناعة النقش وخياطة الزركش، وقد هاجر إلى تبريز ومارس حرفته فيها ، ويوسـف بن عبد الكريم بن هبيل الموصــلي الذي تميز بتطريز نسـيج

---

(١) احمد عبد الحسو ، " الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية ٦٦٠-٧٣٦هـــ / ١٢٦١-١٣٣٥م"، موسوعة الموصل الحضارية ، مج٢ ، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٩٢) ص ٢٣٦.

(٢) خصباك ، المصدر السابق ، ص ٩٨.

(٣) قداوي ، المصدر السابق ، ص ١٦٠.

(٤) رشاد ، الموصل في عهد السيطرة المغولية، ص ٢٣٧.

(٥) دونالد ولبر ، إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة نعيم محمد حسنين ، (القاهرة، ١٩٨٥) ، ص٨٩.

(٦) خصباك ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ ؛ محمد رشيد الفيل ، " الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الايلخانى "، مجلة كلية الآداب ، العدد السادس، (جامعة بغداد ، ١٩٦٣)، ص ٣١٢.

الحرير بخيوط الذهب ، وقد هاجر هو الآخر لممارســة مهنته في اليمن . وقد أشــاد عدد من الرحالة والجغرافيين الذين زاروا العراق خلال هذه الفترة بالصــناعة العراقية ومنهم ابي ســعيد المغربي و الرحالة ماركو بولو(١).

- التجارة :

تعرضــت التجارة خلال العهد الايلخاني إلى مشــاكل كثيرة وقفت حائلا دون ازدهارها ، ومنها كثرة الضــرائب والتلاعب بالعملة والمنافســة الســياســية وتغيير طرق التجارة والصــراعات السياسية وتحديدا الصراع مع المماليك والذي عرقل تجارة العراق مع بلاد الشام ومصر ، إذ لا يخفى أن المغول أثناء مهاجمتهم لرقعة جغرافية معينة كانوا يلجئون الى نهب المدن والقوافل التجارية والأمثلة كثيرة على ذلك . ففي ســنة ١٢٧١ أغارت جماعة من المغول على حران من بلاد الجزيرة الفراتية فنهبت أســواقها، وفي ســنة ١٣١٧ تعرضــت قافلة تجارية كانت خارجة من إحدى مدن ديار بكر الهجوم عند رأس العين (٢). مع ذلك فإن الغزو الايلخاني للعراق خلق توجهاً جديدة في تجارة الشرق الأوسط والذي يمكن اجماله وعلى الشكل التالي:

١- أصــبحت علاقات العراق مع إيران وهي القاعدة الأســاســية للإمبراطورية الايلخانية اشد مما كانت عليه في الســابق بينما ازدادت علاقته مع تركســتان والصــين لأن الإمبراطورية الايلخانية كانت ولو اســمية جزء من إمبراطورية الخاقان المغولي الذي اتخذ من منغوليا ثم الصين قاعدة له.

٢- ضــعف التجارة مع ســوريا ومصــر وبلاد الغرب لأن العراق أصــبح تابعة للإمبراطورية الايلخانية وهؤلاء هم العدو الأول للايلخانيين.

٣- أصــبح الطريق البري الذي يربط العراق بأواســط آســيا يميل الى الشــمال نتيجة للاختيار الايلخالنيين لتبريز ثم السلطانية عاصـمتين لهم وكلاهما في أذربيجان كما أنه أصـبح اكبر

(١) رشاد ، الموصل في العهد المغولي ، ص ٢٣٧.

(٢) علاء محمود قداوي ، حكومة بغداد ، بحث مقبول للنشر في مجلة آداب الرافدين ، ص ١٤.

أهمية من السابق بالنسبة للعراق لأنه أصبح يربطه بقلب الإمبراطورية المغولية التي كان العراق جزء منها[1].

اما ابرز البضائع والمنتجات التي شكلت عماد النشاطات التجارية فتمثلت في الأقمشة وخاصة الموزلين والتحف المعدنية ، فضلا عن تجارة الخيول والمواشي...، ويلاحظ أن بعض التجار ومنهم التجار الموصليون على سبيل المثال من اتخذ من بلاد الشام ومصر مستقراً له ، وقد تمكن عدد منهم تحقيق مكانة تجارية عالية ، وبين هؤلاء محمد بن داؤد بن امنتاب المعروف بالشمس الموصلي (١٢٧١-١٣٢٧) وعلي بن محمد المعروف بابن الدريهم (١٣١٢-١٣٦٠)[2].

المبحث الثاني

العراق تحت السيطرة الجلائرية ١٣٣٧-١٤١١

١ - الأوضاع السياسية للعراق خلال فترة السيطرة الجلائرية:

بعد وفاة السلطان ابي سعيد سنة ١٣٣٥ دون أن يعقب من الأولاد دخلت البلاد في لجة صراع اسري بين أفراد العائلة الحاكمة الايلخانية حتى انتهت بسيطرة الشيخ حسن بن حسين الجلائري مقاليد السلطة سنة ١٣٣٩ مؤسساً بذلك الدولة الجلاثرية[3]، والتي قدر لها أن تخضع العراق أكثر من سبعين سنة ١٣٣٩-١٤١٠.

كان لهذه القبيلة إسهاماتها في حروب جنكيز خان كما كان لقادتها إسهاماتهم في الحروب التي شنها المغول على بلاد الصين وتركستان و بلاد ما وراء النهر والقفجاق وإيران والعراق[4].

---

(١) خصباك ، المصدر السابق ، ص ١٣٣.

(٢) رشاد ، الموصل في عهد السيطرة المغولية ، ص ٢٣٨.

(٣) يعد شرق منغوليا عند نهر اونن الموطن الأصلي لقبيلة جلائر ، للتفاصيل يراجع : العاني، المصدر السابق، ص ١٩-٢٠.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١.

كما ارتبطت هذه القبيلة بعلاقات مصـــاهرة مع الأســـرة الايلخانية – الحاكمة فقد كان حسين والد الشيخ حسن الجلائري قد تزوج ابنة الايلخان أرغون[١]، اما جده ايلكافكان موضع ثقة خانات المغول ومحل واهتماماتهم ، فضـــلاً عن كفائته العســـكرية ونتيجة لذلك فقد أوكلت إليه مهمة حماية المدينة وتوطيد الســلطة المحتلة حيث تولى قيادة الحامية العســكرية المغولية التي بقيت في بغداد وبمعيته ثلاثة آلاف من الفرسـان[٢]. ونتيجة لكفاءته العسكرية منحه هولاكو لقب نويان، وجعله أميراً للجيش للمدة ١٢٥٦-١٢٦٥[٣]م.

بعد وفاة ايلكانويان تولى ابنه حسن الجلائري الذي كان آنذاك واليا على بلاد الروم وربما كان زواج حسن الجلائري من دلشاد خاتون أرملة السلطان أبي سعيد احد العوامل التي ساعدته على أن يعطى لحكمه مظهرا شرعيا[٤].

شرع الشيخ حسن الجلائري[٥] ببناء دولته واضعا الأسس الأولى ، وفي سنة ١٣٣٧ قرر حسـن الجلائري إنهاء الحكم الايلخاني وإعلان اسـتقلاله بالبلاد التي شـملها سـلطانه وهي بغداد وديار بكر ، حيث شكل هذا التاريخ البداية الحقيقية لقيام الدولة الجلائرية ككيان مستقل[٦].

وقدر تعلق الأمر بالأوضـاع السياسـية خلال فترة السيطرة الجلائرية واجه الشـيخ حسـن الجلائري تحديات جمة لعل أبرزها ثورات القبائل الكردية والتركمانية القريبة من الموصـل اذ شـهد إقليم ديار بكر والتي تولاها ابنه الأمير ايلكان والتي كانت سـلطته ضـعيفة سلسـلة من الهجمات

---

(١) ناهض عبد الرزاق ، النقود في العراق ، منشورات بيت الحكمة (بغداد ، ٢٠٠٣)، ص ٤١١.

(٢) زرار توفيق ، كردستان في القرن الثامن الهجري ، مطبعة وزارة الثقافة ، ج ١ ، (اربيل، ٢٠٠١) ، ص ٧٣.

(٣) العاني ، المصدر السابق ، ص ٢١.

(٤) إبراهيم خليل ، " أوضـاع العراق السياسية في عهد السلطان احمد الجلائري " ، مجلة آداب الرافدين ، العدد ٨، (آب ، ١٩٧٧)، ص ١٢٩.

(٥) لقب حسن الجلائري (بالشيخ) يدل دلالة واضحة على رغبة الأمراء الجلائريين في إضفاء مسحة دينية على أنفســهم ، أو للحصــول على ولاء رجال الدين في العراق وإيران ، بدليل أن حكام الجلائريين وخلال الحكم الجلائري لم يتعصبوا الى أي مذهب من المذاهب الإسلامية بل انهم اظهروا تسامحا مع الجميع ، كما ابدوا اهتماما بالمراقد المقدسة ، العاني ، المصدر السابق ، ص ٦٥.

(٦) للمزيد يراجع : أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ٢ ، تحقيق : محمد ســيد جاد الحق ، ط٢ ، مطبعة الكلداني (القاهرة ، ١٩٩٩) ، ص ٩٥-٩٦ ؛ حســين الجاف ، الوجيز في تاريخ إيران ، ج٢ ، بيت الحكمة (بغداد ، ٢٠٠٣) ، ص ٣١٧.

كان أخطرها سنة ١٣٥٠ عندما استولى احد زعماء الأكراد المدعو بدر الدين حسن بن هندو[١] الذي مد نفوذه الى سنجار ايضا متخذا منها مركزا للإغارة على مدن أخرى في ديار بكر كمدينة الرحبة وماردين ، وهنا برز دور احد أمراء القرة قونيلو ويدعى بيرم خواجة – سيأتي الحديث عن دوره لاحقا – الذي نجح في تأليب بعض أمراء الموصل حتى تمكنوا في النهاية من قتل الأمير بدر الدين وبمقتله سيطر بيرم خواجة على المنطقة الممتدة من ماردين الى الموصل[٢].

ومن التحديات الأخرى التي واجهها الشيخ حسن الجلائري هجمات بعض القبائل العربية قبيلة طي[٣]، وقبائل تغلب[٤]، وآل نطاح[٥]، وآل فضل[٦] فعندما أقام الشيخ حسن الجلائري في العراق سنة ١٣٣٩ اعترف مرغما بنفوذ آل فضل في المناطق الغربية من العراق فعهد بالأمرة على هذه المناطق للشيخ حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة سنة ١٣٤٨ ، ولكن الأخير ظل ولائه متذبذباً تارة لدولة المماليك في مصر وبلاد الشام وأخرى للجلائريين حتى وفاته سنة ١٣٧٤[٧]. اما منطقة البطائح التي سيطر عليها شيخ اويس زعيم قبيلة عبادة.

وفي سنة ١٣٥٤ تعرضت البصرة التي كانت قبائل المنتفق منتشرة فيها لغزو عرب البحرين ، أما الحلة فكانت هي الأخرى تدار من قبل احد شيوخ قبيلة المنتفق العقيلة بصورة

---

(١) أحمد عبد الله الحسو "الموصل في عهد السيطرة الجلائرية ٧٣٦– ٨١٤هـ /١٣٣٥–١٤١١م ، موسوعة الموصل الحضارية ، مج٢ ، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل ، ١٩٩٢)، ص ٢٠٢ .

(٢) العسقلاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٤.

(٣) من بطونها و زبيدة المنتشرون ببرية سنجار وبنو غزية ومضاربهم من أطراف طريق الحجيج البغدادي ، وبنو سنبس الذين انتشرت فروعهم مثل خزاعة وبني عبيد وجموع في بطائح العراق ، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ، ١٩٨٢) ، في ص ٨٧–٨٨.

(٤) كانت منتشرة في مناطق سنجار ونصيبين ، المصدر نفسه ، ص ١٣٢.

(٥) ينحدرون من عرب الغدار ومنهم الجبور ومضاربهم في المنطقة الواقعة بين الحلة وواسط حتى البصرة ، القزاز ، المصدر السابق ، ص ٣٢٩.

(٦) وهي أكبر بطون قبيلة آل ربيعة كانت منازلهم في حوران من أعمال دمشق ومنها وسعوا مناطق نفوذهم لتمتد من حمص إلى قلعة جعبر الى الرحبة اخذين شرقي الفرات وأطراف العراق اخذين يساراً الى البصرة . علي شاكر علي ، " إمارة آل فضل والصراع المملوكي – المغولي " ، مجلة دراسات عربية ، العدد ٨، ١٩٨١؛ المولى ، المصدر السابق ، ص ٣٢.

(٧) العاني ، المصدر السابق ، ص ١٣٤.

مســـتقلة عن الحكم الجلائري . ويلاحظ أن بروز دور تلك القبائل إبان الحكم الجلائري للعراق كان نتيجة لضـــعف الأخير وعدم تمكنه من توفير الحماية الكافية لقوافل الحجاج فقد اضـــطر الجلائريون إلى الاستعانة بهذه القبائل في المحافظة على طرق التجارة وقوافل الحجاج ومساعدة أمير الحج وتمكينه من دفع اللصـــوص وكانوا يرســـلون لشـــيوخهم النقود الخلع والمرتبات وأنواع الأقمشة(١).

بعد أن توفي الشـــيخ حســـن الجلائري في ســـنة ١٣٥٦ خلفه ابنه معزالدين اويس (١٣٥٦ – ١٣٧٤) الذي اتخذ لنفســه لقب سلطان وابتدأ عهده بدخوله تبريز واتخاذها عاصـمة للدولة الجلائرية . وبقدر تعلق الأمر بالعراق واجهت الدولة الجلائرية تحديات عدة اذ فقدت الدولة الجلائرية الســيطرة على معظم مدن شــمال العراق وتحديد الموصـــل وســنجار اذ أعلنت المدينتان ولائهما للمماليك وخطبوا فيها لهم فرحب السلطان المملوكي بتبعيتهم وخلع عليهم الخلع السلطانية(٢).

كان الوضـــع الداخلي للجلائريين في تلك الفترة مضـــطرباً بفعل هجمات القبائل العربية على البصرة، وثورات الموصل وسنجار فأصبحوا عاجزين عن استعادت المدن التي ثارت عليهم لذلك كان لابد من الاســتعانة بقوة خارجية ، ولما كان القرة قوينلو هم اقرب القوى من الموصـــل وســنجار فان ذلك كان أحد الأسـباب الرئيسـية التي دفعت بالسـلطان الجلائري اويس إلى طلب المساعدة منهم ، فوجد القرة قوينلو في ذلك فرصة مشجعة تخدم مصالحهم في إيجاد مناطق نفوذ

---

(١) ولإعطاء صـورة تفصـيلية عن الدور السياسـي الذي اضـطلعت به القبائل العربية خلال فترة الحكم الجلائري يراجع : العاني ، المصـدر السـابق ، ص ٤٣ ؛ جاسم مهاوي حسين ، تاريخ الغزو التيموري للعراق والشـام وآثاره السـياسـية (١٣٨٠–١٦٠٥)، رسـالة ماجسـتير، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٧٩)، ص ٩٢ ؛ صـادق ياسـين الحلو ، " الجيش والسـلاح منذ سـقوط بغداد حتى العصـر العثماني " ، موسـوعة الجيش والســـلاح ، مج٥ ، (بغداد ، ١٩٨٧)، ص ٣٢–٣٣ ؛ يوســـف كركوش الحلي ، تاريخ الحلة في الحياة السياسية ، المكتبة الحيدرية ، (النجف، ١٩٩٥)، ص ٩١–٩٢.

(٢) أحمد عبد الله الحسو ، الموصل في عهد السيطرة الجلائرية ٧٣٦ – ٨١٤ هـ /١٣٣٥–١٤١١م، موسوعة الموصـل الحضـارية، مج٢، ط١، دار الكتب للطباعة والنشـر، (الموصـل، ١٩٩٢)، ص ٣٥٣ ؛ توفيق ، المصدر السابق ، ص ١٧٧– ١٧٨.

جديدة لهم ، لذلك رحب الأمير بيرم خواجة وابنه قرة محمد بطلب السلطان اويس فعقدا معه اتفاق على أن يكونا في خدمته مقابل عدم تعرضه لمناطق نفوذهم في ديار بكر[١].

وبموجب هذه الاتفاقية تحرك بيرم خواجة نحو الموصل وسنجار، وتمكن من القضاء على حركة المقاومة في كلتا المدنيين وإعادتهما لحكم الجلائريين. إلا أن تطورات الأحداث سرعان ما أعطت للأخير فرصة إعادة السيطرة على الموصل وسنجار سنة ١٣٦٣ مستغلاً انشغال السلطان أويس بقمع ثورة مرجان[٢]. والتي استعادها السلطان الجلائري اويس سنة ١٣٦٥، إلا أن بيرم خواجة تمكن من استعادة السيطرة عليها من جديد والتي استمرت حتى سنة ١٣٧١. وفي سنة ١٣٧٢ احتل سنجار ومنها عاود الكرة على الموصل مستغلا الفوضى السياسية التي عمت الإمارة الجلائرية بعد موت السلطان اويس سنة ١٣٧٤ وتمكن من احتلالها[٣].

اما التحدي الآخر الذي واجهته الدولة الجلائرية فتمثل بثورة والي بغداد الخواجة أمين الدين مرجان سنة ١٣٦٥ [٤]، والتي أعلن خلالها البيعة للسلطان المملوكي في مصر ، وقد تعرضت بغداد لخطر كارثة كبيرة نظرا لقيام الخواجة مرجان بكسر سداد نهر دجلة وإغراق ضواحي المدينة أملاً في عرقلة تقدم السلطان وإجباره على الانسحاب غير ان السلطان معز الدين تمكن من القضاء على التمرد[٥]، واصدر عفواً عن مرجان بشفاعة من أعيان بغداد وشيوخها وذلك سنة ١٣٦٥.

---

(١) علاء محمود قداوي ، تاريخ العراق في عهدي القرة قونيلو والاق قوينلو (٨١٦-٩١٤هـ /١٤١١ – ١٥٠٨م)، ط ١، دار غيداء للنشر والتوزيع ، (الأردن ، ٢٠١٢)، ص ٤٠-٤١.

(٢) سيأتي الحديث عن هذه الثورة لاحقا.

(٣) رغد عبد الكريم احمد النجار، العراق في العهد الجلائري ٧٦٠-٨١٦هـ/ ١٣٣٩-١٤١١م دراسة في الأوضاع السياسية ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، (جامعة الموصل، ٢٠٠٥) ، ص ٨٣-٨٦.

(٤) تذكر بعض المصادر أن سبب خروج مرجان على سلطة معز الدين اويس جاءت بتحريض من الأمير احمد شقيق السلطان اويس انتقاماً لقيام الأخير بقتل أخيه حسين خوفا من منافسته له على السلطة. العسقلاني ، الدر الكامنة ، ص ١٣٤.

(٥) عماد الجواهري ، صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني ، الموصل ، ١٩٩٠)، ص ٢٣ ، فيما ذكرت المصادر عن تعرض مدينة بغداد إلى الغرق وللمرة الثانية سنة ١٣٧٤ حيث أمر السلطان أويس والي بغداد وإسماعيل بن زكريا بإعفاء الناس من ضريبة الخراج مدة خمس سنوات للمساعدة في إعادة اعمار المدينة ، المصدر نفسه، ص ١٣٤.

وفي سنة ١٣٧٤ توفي السلطان اويس وكانت وفاته بداية لضعف الدولة الجلائرية وتدهورها ، والواقع أن الجلائريين فقدوا بموته شخصية قوية كان لها من الحنكة السياسية والعسكرية والإدارية مما ساعد على بناء الدولة وتنظيمها وإقالتها من العثرات التي صادفتها ، يعتبر اويس – بحق – المؤسس الثاني للدولة الجلائرية ، وكان كما وصفه أحد المؤرخين ، "ملكا عادلا وإماماً شجاعاً فاضلاً"[١].

نشبت بعد موت اويس سلسلة من الصراعات الأسرية بين أولاده الخمسة وهم حسين وعلي واحمد وحسن وبايزيد فاجتمع أهل الدولة وبايعوا أبنه حسين[٢] وقتلوا أخيه حسن وزعموا أن أباهم أوصاهم بذلك[٣].

واجه السلطان حسين الجلائري (١٣٧٥-١٣٨٢)، العديد من الثورات المبكرة ، حيث استغل بيرم خواجة (الزعيم القرة قوينلوي) ذلك فتمكن من السيطرة على الموصل سنة ١٣٧٥ ، وفي سنة ١٣٨٠ توفي بيرم خواجة فاستقرت الزعامة لقرة محمد الذي لم يتمكن من الاحتفاظ بالموصل التي استعادها السلطان حسين الجلائري وقد توصل الطرفان إلى حل وسط حيث رضي الجلائريون به أو بمن يمثله حاكما للموصل في إطار تبعيته لهم[٤].

ومن ضمن الثورات التي حدثت في عهد السلطان حسين تلك التي قادها البغداديون الذين استقدموا الشاه منصور بن محمد احد الزعماء القرة قوينلويين ، وقد بلغ من خطر هذه الثورة واتساعها ، أن اضطر السلطان حسين الى إصدار الأوامر لقائده عادل أغا بالتوجه على رأس جيش كبير نحو بغداد لإخماد الثورة التي تمكن من القضاء عليها ، إلا أن الثورة سرعان ما اندلعت من جديد عندما وقع اختيار السلطان حسين على الأمير إسماعيل بن الوزير زكريا حاكما على بغداد على أن يدخل في طاعته الشيخ علي بن اويس ، مما اضطر السلطان حسين الى

---

(١) نقلا عن : خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٣٠.

(٢) اما باقي إخوته ومنهم علي بن اويس الذي كان حاكما على بغداد، واحمد الذي كان حاكما على البصرة فقد أعلنا البيعة لأخيهما حسين عبد الله بن فتح الله البغدادي ، التاريخ الغياثي ، تحقيق طارق نافع الحمداني ، (بغداد ، ١٩٧٥)، ص ١٠٠.

(٣) عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ، تاريخ بن خلدون ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٩٧١)، ص ٥٥٢-٥٠٣.

(٤) العاني ، المصدر السابق ، ص ٥٢.

قيادة جيش بنفسه والتوجه إلى بغداد التي دخلها بعد أن انسحب الشيخ علي الى تستر وبذلك تمكن الجلائريون من استعادة السيطرة على بغداد للمرة الثانية ، إلا أن الشيخ علي سرعان ما عاد الى بغداد سنة ١٣٨٠ مستغلا تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والإدارية . أما في البصرة فقد استغل عدد من الأمراء اضطراب الأوضاع فاتصلوا بالأمير احمد حاكم البصرة ، وقد استجاب لهم وبمساعدة من أولئك الأمراء تمكن من قتل أخيه حسين والاستيلاء على السلطة وأعلن نفسه سلطانا[١].

٢- أوضاع العراق خلال حكم السلطان احمد الجلائري ١٣٨٢- ١٤١٧

واجه السلطان احمد الجلائري محاولات عديدة للإطاحة به ، وكان عليه أن يعمل على توطيد مركزه ، والتخلص من العناصر التي كانت تمارس دورا كبيرا في إثارة الفتن وخلق المشكلات في عهد سلفه ، ومن أهم تلك المشكلات والتمردات تمرد عادل أغا في السلطانية[٢]. وبعد أن تمكن السلطان من إحباط محاولات عادل أغا ظهر له منافس أخر على الحكم حيث قام بعض الأمراء الفارين من تبريز الى بغداد مثل بير علي بادوك وعمر قبجا قي ، وقد احتضن حاكم بغداد والشيخ علي بن أويس الأمراء الفارين و توجه بهم على رأس جيش نحو تبريز[٣]، وعندما علم السلطان احمد بذلك خرج عليهم بجيش كبير ، وكان معه حليفه قره محمد أمير القرة قوينلو وصاحب الموصل وعند نهر هشت رود وقعت المعركة الفاصلة التي انتهت بمقتل الشيخ علي سنة ١٣٨٤ ، وكانت فترة حكمه في بغداد تقرب من العشر سنوات[٤]. اما ردود الفعل البغدادية على مقتل الشيخ علي فقد اتسمت بالسلبية اذ سرعان ما عادت الفوضى من جديد وبتحريض من بعض الأمراء وعلى رأسهم الأمير بايزيد وحاكم بغداد السابق عادل خان ، وقد

---

(١) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٠-١٠١؛ علي ظريف الأعظمي ، مختصر تاريخ بغداد ، مطبعة الفرات (بغداد ، ١٩٢٩)، ص ١٥٣؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ١٨٧-١٨٨.

(٢) للاستزادة حول هذا التمرد يراجع : حسين ، المصدر السابق ، ص ٨٥-٨٦.

(٣) مرتضى أفندي نظمي زادة ، كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ، (النجف ، ١٩٧١)، ص ١٦٦ . وكانت العلاقة بين السلطان احمد الجلائري والأمير قرة محمد قد ترسخت أكثر عندما تزوج السلطان أحمد من ابنة الأمير قرة محمد وقد اشترط الأخير بأن تكون قيادة الجيش له حتى بالنسبة للقوات الجلائرية ، وألا يتدخل احد غيره في حركة وتنقل الجيش وان تكون الغنائم له. للتفاصيل يراجع : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، أنباء الغمر بأبناء العمر ، ج ١ ، تحقيق تحسن حبيشي ، ط١ ، (القاهرة ، ١٩٩٩)، ص ٩٩.

(٤) مرتضى أفندي ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ١٨٨.

ساءت الأمور وسادت الفوضى بغداد الأمر الذي أدى إلى إسراع السلطان احمد بالتوجه نحو بغداد ليحسم الخلاف بين الأطراف المتنازعة[١].

كما واجه السلطان احمد الجلائري تحدي آخر تمثل في الثورات العشائرية ولاسيما في جهات الفرات الأوسط فقد بسط نُعير بن حيار[٢] أمير آل فضل نفوذه على جهات الفرات من هيت وحتى الانبار ، كما انفصل حاكم تكريت واستقل بمدينته واخذ يجبي الضرائب من المناطق المجاورة[٣]، كما انتعشت سطوة قبائل خفاجه[٤] في مناطق الفرات الأوسط. فيما استولت قبائل المنتفك[٥] على البصرة في عهد أميرها صالح بن حولان ، وسيطر الشيخ اويس زعيم قبيلة عبادة على واسط[٦] . فيما اكتفى السلطان احمد الجلائري بقبول السيادة الاسمية من حكام الإمارات وزعماء القبائل في شمال العراق[٧]. أما في الموصل فكان يحكمها أمراء التركمان القرة قوينلويين -وحسب الاتفاق السابق- باسم الحاكم الجلائري، إلا أن أمراء التركمان ما لبثوا أن أعلنوا انفصالهم عن السلطة الجلائرية بعد تولي قرة يوسف زعامة هذه القبائل حيث عين أخوه يار علي حاكما على الموصل[٨].

وفي خضم تدهور الأوضاع الداخلية جاء الاندفاع التيموري على الدولة الجلائرية سنة ١٣٨٧ ومنها المدن العراقية ليضيف الى السلطان الجلائري مشكلة جديدة ساهمت والى حد كبير في إضعاف الدولة الجلائرية وكما سيأتي الحديث عنها لاحقا.

---

(١) الاعظمي . المصدر السابق ، ص ١٥٥.

(٢) تولى الإمارة سنة ١٣٧٠ بسط نفوذه على القبائل العربية في أسفل الفرات، وقد اسند المماليك الذين كانوا يحكمون الشام ومصر آنذاك لال فضل خفارة طرق القوافل بين العراق والشام . للاستزادة ينظر: حسين ، المصدر السابق ، ص ٩٠ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢١٠.

(٣) العاني ، المصدر السابق ، ص ٤٩-٥٠.

(٤) إحدى بطون بني عقيل تنتشر تجمعاتهم في الفرات الأوسط ، سيطروا على الحلة سنة ١٩٢٣.

(٥) تجمعات عشائرية بين الكوفة والبصرة ، برز نشاطهم في أواخر العصر العباسي وازداد في العهدين الايلخاني و الجلائري . وهم عبارة عن اتحاد يضم عشائر بنو مالك والأجود وبنو سعيد ، يراجع عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث ، (القاهرة ، ١٩٩٨) ، ص ١٥٢-١٥٣.

(٦) حسين ، المصدر السابق ، ص ٩٢.

(٧) للتفاصيل راجع : توفيق ، المصدر السابق ، ص ١٥٩-١٧٠.

(٨) حسين ، المصدر السابق ، ص ٩٤.

٣- الغزو التيموري للعراق (١٣٩٣-١٤٠٣) وموقف الدولة الجلائرية منه :

- الغزو التيموري الأول للعراق سنة ١٣٩٣:

شـــهد العالم الإســـلامي في النصـــف الثاني من القرن الثامن الهجري – الرابع عشـــر الميلادي موجة مغولية غازية بقيادة تيمورلنك(١). الذي اندفع من أواســـط آســـيا بعد توحيدها نحو إيران عندما تمكن من السيطرة على تبريز سنة ١٣٨٦ (٢). مستهدفا تأمين موارد اقتصادية جديدة لبلاده التي أنهكتها الحروب عن طريق الغنائم من المشـــرق العربي والبحر الأســـود وأوربا حيث تشكل الضـرائب المفروضـة على هذه القوافل والخدمات التي تقدم لها موارد مالية مهمة للمناطق التي كانت تحت ســـيادة تيمورلنك ، وهي موارد كانت قد تعطلت قبل الحملة على تبريز بســـبب تعرض القوافل التجارية لغارات بعض القبائل في المنطقة ، وكانت من نتائجها تدهور اقتصـــاد بلاد ما وراء النهر(٣).

بعد ســـيطرة تيمورلنك على تبريز بدأ بتنظيم شـــؤون الولاية وبعد ان اخضـــع خراســـان وسجستان و مازندران وأذربيجان . ومنها بدأ تيمورلنك يوجه قواته نحو المناطق التي تشكل تهديدا لطرق القوافل التجارية لاسيما مناطق وجود القرة قوينلو حلفاء الجلائريين والمسيطرين على سهل موشـي شـرقي الأناضـول ذي الموقع المهم ولوقوعه على طرق التجارة بين الشـرق والغرب ومنه كان القرة قوينلو يشنون غاراتهم على قوافل الحج والتجارة ، إلا أن قوات تيمورلنك فشلت في كسر شـوكة القوات القرة القوينلوية ، والذي تزامنت مع وصـول أخبار تعرض بلاد ما وراء النهر بحملة قادتها القبيلة الذهبية (القفجاق) ســـنة ١٣٨٧ لذلك قرر تيمورلنك التخلي مؤقتا عن مواجهة القرة قوينلو والعودة إلى بلاده مدافعا عنها(٤).

---

(١) ولد سـنة ١٣٣٠ ينتمي إلى عشيرة مغولية تدعى بادلاس ، وقد اسـتطاع تيمورلنك أن يسـيطر على أوضـاع بلاد ما وراء النهر ويقفز إلى السلطة سنة ١٣٧٠ متخذا من سمرقند عاصمة له ومنطلقا لغزواته التي شملت العالم الإسلامي ، إذ اجتاحت جيوشـه سنة ١٣٧٠ مناطق خوارزم وشيراز ثم جرجان وطبرستان وأفغانستان وأذربيجان ، النجار ، المصدر السابق ، ص ٩٦-٩٧.

(٢) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢١١-٢١٢.

(٣) حسين ، المصدر السابق ، ص ٥٩-٦٠.

(٤) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٠٧.



اسـتغل قرة محمد الزعيم القرة قوينلوي الانسـحاب التيموري لإعادة تحصـين القلاع التي خربها التيموريين وليسـتعيد السـيطرة على تبريز سـنة ١٣٨٨. وهنا خطا قرة محمد خطوة تنم عن ذكاء وفهم لمتطلبات السـياسـة الدولية وتوازن القوى عندما أدرك أن القوى المحيطة بإمارته من تيموريين والاق قوينلويين والذين كانوا في خصـام معه – لن يغفروا له احتلال تبريز فرأى أن الضـرورة تقضـي البحث عن حليف قوي فوجد ضـالته في المماليك في مصـر والشـام الذين كانوا محتاجين ايضـا الى حليف قوي يواجهون معه أعدائهم الآق قوينلو الطامعين بأرض الشـام، والجلائريون بهدف إزاحتهم في حكم العراق.

لذا قدم قرة محمد ولائه لسلطان المماليك برقوق وأرسل اليه سنة ١٣٨٨ يعلمه بأنه نائب السلطان في هذه البلاد، وانه خطب وسك الدنانير والدراهم باسمه ، فاستجاب السلطان الطلبه ، غير أن هذا التحالف لم يدم ، لمقتل قرة محمد سـنة ١٣٨٩ في معركة مع أمير تركماني يدعى قرة حسـن الذي تسـلم زعامة القرة قوينلو إلا أن هذه الزعامة لم تدم طويلا عندما بايع القرة قوينلو احد الأمراء ويدعى قرة يوسف بن قرة محمد(١).

اما بالنسـبة للجلائريين – وكما سـبقت الإشـارة إلى ذلك – فلم يكونوا في وضـع يؤهلهم المواجهة التحدي التيموري ، خاصـة بعد اسـتئناف هجماته من جديد بعد أن اتبع تكتيكاً عسـكرياً جديداً عندما قرر التوجه نحو العراق والجزيرة الفراتية(٢)، وذلك لانشغال السلطان أحمد بالتحديات الداخلية لذلك أهمل المسـاعي التي بذلها الأمير ولي حاكم طبرسـتان، في الوقت الذي سـاءت العلاقات بين الدولة الجلائرية والدولة المظفرية(٣) بسـبب إيواء الأخيرة لبعض الأمراء الخارجين

---

(١) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ٤٤ –٥١.

(٢) نوري عبد الحميد خليل، "حملات تيمور على بغداد " ، مجلة المورد ، م٨ ، العدد الرابع ، ١٩٧٩ ، ص٢٧، ومن الجدير بالذكر أن هدف تيمورلنك من هذا التكتيك العسـكري تطويق القرة قوينلومن الجهتين الجنوبية والجنوبية الغربية الجزيرة الفراتية ، وبالتالي الحيلولة دون وصـول أية مسـاعدات من حلفائهم المماليك والجلائريين ، قداوي ، تاريخ العراق ، ص ٥١.

(٣) إحدى الأسر الحاكمة في إيران (١٣١٣–١٣٩٣) قيل أن نسبهم يعود إلى أمير خراسان حاجي غياث الدين ، وكان حفيده المظفر قد دخل في خدمة بعض خانات المغول ، وعندما توفي أبي سـعيد بهادر خاض مباز الدين محمد بن المظفر (١٣١٣– ١٣٥٩) معارك وحروب ضـد مراكز القوى في إيران خلال أربعينيات وخمسينيات القرن الرابع عشر الميلادي والتي انتهت بتوسيع دائرة نفوذه لتشمل على بلاد فارس و يزد كرمان

عن السلطة المركزية ومنهم عادل خان وعلي بادوك ، ولم يحاول السلطان الجلائري أن يتخذ أية خطوة ايجابية لتحسين علاقته بالمظفريين لاستخدامهم حزاما يقيه خطر اندفاع تيمورلنك[١].

كذلك لم يستفد أحمد الجلائري من الصراع الدائر بين تيمورلنك وتفتش خان حاكم الدشت والقفجاق في الجهة الشـــمالية، فكان لذلك أثر في فقده أذربيجان بعد غزو تفتش خان لبعض جهاتها[٢]. التفت السـلطان احمد الى الجهة الغربية، بعد أن تداعت الجبهتان الشـمالية والشـرقية للدولة الجلائرية فأرسل سنة ١٣٨٧ وفدا إلى السلطان العثماني مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩) من اجل إقامة تحالف ضـد تيمورلنك ، لكن مراد الأول لم يؤيده في مسـعاه فلما مات الأخير سـنة ١٣٨٩، كرر السـلطان الجلائري مع السـلطان العثماني الجديد بايزيد بن مراد (١٣٨٩-١٤٠٢) إلا أن انشغال السلطان العثماني بالجبهة الأوربية حال دون نجاح هذه المحاولة.

حاول السلطان احمد التعاون مع المماليك الجراكسة ، واتضح هذا التعاون سنة ١٣٨٩ حين أرسل وفدا إلى السلطان برقوق محذرا إياه من خطر تيمورلنك . فقام برقوق اثر ذلك بإرسال جيوشـه الى الشـام في السـنة التالية اسـتعدادا لمواجهة أي هجوم تيموري ، ولكن رجوع تيمورلنك الى ســـمرقند بعد ثورة أحد أتباعه الأمير قمر الدين جعله يســـحب قواته إلى القاهرة ويلغي الإجراءات الاستثنائية التي اتخذها[٣].

حاول تيمورلنك استمالة السلطان الجلائري من خلال الرسائل التي بعث بها إلى الأخير سـنة ١٣٩٣ ومنها الخلعة والسـكة ويأمره بذكر اسـمه في الخطبة وسـك النقود باسـمه[٤] إلا أن السلطان الجلائري اظهر استخفافه بتلك الرسائل. زحف تيمورلنك الى بغداد فوصل إلى موضع يدعى كورة كوكان بالقرب من شـــهرزور في كردســـتان ، حيث هزم هناك الجيش القرة قونيلوي بقيادة الأمير قرة محمد التركماني[٥].

وبعض مناطق العراق . وكان من الطبيعي أن يؤدي اتســـاع نفوذه إلى التصـــادم مع الجلائريين الذين بدأ نفوذهم بالتنامي آنذاك . الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٢٣.

(١) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٨؛ للاستزادة يراجع : حسين ، المصدر السابق ، ص ٩٨-٩٩.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٩-١٠٠.

(٤) العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٤٥٣.

(٥) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٨٥.

كانت المحطة التالية بغداد التي دخلها تيمورلنك في شـــوال ١٣٩٣ ، وقد قدرت بعض المصادر أعداد قوات تيمورلنك بـــ(١٠٠) ألف مقاتل[١]. أما السلطان أحمد الجلائري الذي فوجئ بدخول القوات التيمورية بغداد، فقد عبر الى الجانب الغربي من نهر الحلة وأمر بإحراق السفن[٢]، وقد جرت معركة صـــغيرة بينهم وبين السـلطان احمد الجلائري، ومنها توجه الأخير إلى الشـــام فوصل الرطبة وأكرمه نعير شيخ قبيلة آل ربيعة ثم اتجه نحو حلب فاستقبله نائب السلطان برقوق وبعد فترة قصـــيرة ســـافر إلى القاهرة والتي وصـــلها ســـنة ١٣٩٤ وكانت آنذاك مركزا لدولة المماليك[٣].

دخل تيمورلنك بغداد ســـنة ١٣٩٣ بعد أن وجد أن أبواب المدينة مفتوحة أمامه ولم يجد مقاومة تذكر[٤]. خاصـة بعد انسحاب السلطان احمد الجلائري الى مصـر[٥]. حيث فرض على البغداديين الضريبة المسماة آنذاك بضريبة السلم (مال الأمان)، وتشير المصادر انه صادر أهل بغداد ثلاث وجمع في كل مرة (١,٥٠٠) تومان . ورافق جمع الأموال أبشـــع أســـاليب القتل والتعذيب[٦].

ومن بغداد أمر ابنه ميرانشاه بتعقب أخبار احمد الجلائري فتمكن من السيطرة على الحلة بعد أن أعمل السـيف في أهلها، ثم أضـرم النيران في المدينة حتى احترقت وفني معظم أهلها[٧]. ثم توجه نحو تكريت فحاصـــرها أربعين يوما حتى تمكن من دخولها، وســـرعان ما تهاوت المدن

(١) حسين ، المصدر السابق ، ص ١٣١.

(٢) الحلي ، المصدر السابق ، ص ٩٧.

(٣) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١١٢.

(٤) أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج١ ، (القاهرة ، ١٣١١هـ)، ص ٢٩٩.

(٥) حسين ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ ؛ فيما تذكر المصـادر عن زواج السـلطان برقوق من دوندي بنت حسين ابن اويس ابن أخ السـلطان أحمد والتي كانت قد هربت مع عمها الى مصـر والتي سيكون لها دور سياسي بعد مقتل عمها –وكما سيأتي الحديث عنه لاحقا–. المقريزي ، السلوك ، ج٣، ق ٢ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة ، ١٩٧٠)، ص ٧٩٩.

(٦) المقريزي ، الســـلوك ، ج٣، ق ٢ ، ص ٧٩٠؛ العســـقلاني ، أنباء الغمر ، ج ٢، ص ٤٦٥ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣–٢٣٦.

(٧) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٢٩٠؛ العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج ١ ، ص ٤٥٣.

الأخرى تحت ضربات تيمورلنك القوية[١]. فخضعت اربيل للسيطرة التيمورية ويذكر الغياثي أن حاكمها الشيخ علي اويرات قدم الهدايا لتيمورلنك فقبلت منه[٢]. كانت المحطة التالية كركوك التي استقبله حاكمها وقدم ولائه مع حكام المدن والقلاع المجاورة فانعم عليهم وأكرمهم ووزع عليهم الهدايا والأموال[٣]. ثم توجه نحو الموصل وكانت آنذاك تابعة لقرة يوسف أمير القرة قونيلو ويحكمها أخوه يار علي[٤]. وفي محاولة من قرة يوسف للحيلولة دون تدمير الموصل، قام بوضع خطة مواجهة ذات شقين الأول الطلب من أخيه يار علي حاكم الموصل الإسراع في تقديم فروض الطاعة إلى تيمورلنك قبل وصوله إلى الموصل . أما الشق الثاني فهو سحب قواته من الموصل باتجاه موشي ليتسنى له من هناك مراقبة تحركات تيمورلنك العسكرية ، لكي لا يفاجأ بهجوم تيموري سريع كماحدث للسلطان احمد الجلائري[٥].

وبالفعل توجه حاكم الموصل يار علي الى تيمورلنك في محرم سنة ١٣٩٣ وقدم له التحف والهدايا دليلا على التبعية والخضوع فقبلها واقطعه كركوك وألحقها بحكمه في الموصل، وهناك عدة أسباب دفعت تيمورلنك الى عدم إلحاق الأذى بالموصل عند دخوله فيها سنة ١٣٩٣، يأتي مقدمتها رغبته في جعل الموصل قاعدة لتحركاته العسكرية في الجزيرة الفراتية ومركزا لتموين قطعاته بالمؤن والإعلان ، وان يجعل من حاكم الموصل يار علي منافسا لأخيه في زعامة القرة قوينلو عن طريق إجبار يار علي على الاشتراك معه في عملياته العسكرية ضد أتباع قرة يوسف[٦]. ومن الموصل توجه تيمورلنك إلى الرها والتي دانت له سنة ١٣٩٤، ثم أعلن كل من حاكم حصن كيفا وجزيرة بن عمر وماردين تبعيتهم له ، بعدها قرر الرجوع الى الموصل[٧].

اما بالنسبة إلى البصرة فقد أرسل تيمولنك ابنه ميرانشاه على رأس جيش للسيطرة عليها ، وكان يحكمها أمير المنتفك صالح بن حيلان[٨]، الذي استنجد بعرب بني عقيل في البصرة

---

(١) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٤٤.

(٢) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٨٩.

(٣) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٤٤.

(٤) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٨٩.

(٥) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ٥٣.

(٦) المصدر نفسه ، ص ص ٥٢-٥٣.

(٧) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ص ١٨٩-١٩٠.

(٨) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ق٢، ص ٧٩١؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢.

والبحرين فاجتمع لديه جيش كبير من العشائر العربية ، ولما وصل ميرانشاه بقواته الى البصرة اشتبك مع قوات التحالف العشائرية في معركة أسفرت عن اندحار القوات التيمورية ، ولكن تيمولنك أسرع فأرسل حملة ثانية أسفرت عن دخول البصرة تحت الاحتلال التيموري ، وهكذا أصبح العراق كله جزءا من ممتلكات تيمورلنك(١).

- أوضاع العراق إبان الغزو التيموري الأول للعراق سنة ١٣٩٣:

اتخذ تيمورلنك وخلال احتلاله الأول للعراق بعض الإجراءات الإدارية والسياسية فبعد احتلاله لبغداد قام بتعيين مسعود السبزواري حاكما على بغداد ، وترك معه حامية عسكرية تراوح عددها بين (٣,٠٠٠-٥,٠٠٠) فارس وضرب النقود باسمه(٢) وقد حاول تيمورلنك ان يظهر الملتزم بالأحكام الإسلامية فأمر أتباعه بغلق بيوت الدعارة في بغداد ، كما توجه بنفسه الى قصر السلطان احمد وعلى مرأى من العلماء طلب جمع المشروبات الموصلية والدياربكرية وإلقائها في نهر دجلة(٣)، هذا من جهة ومن جهة أخرى لجأ إلى مطاردة أعوان السلطان أحمد ، وفرض الإقامة الجبرية على قسم منهم ، كما انتقى تيمور أحسن المهندسين والمعماريين و أمر بتهجيرهم إلى العاصمة سمرقند(٤).

انتهز تيمورلنك فرصة التجاء السلطان أحمد إلى مصر وراح يطلب من برقوق تسليمه السلطان احمد على ان يعترف له بسيادته على العراق وإيران وان تكون له الخطبة وسك النقود وقد حمل هذه المطالب وفد برئاسة شيخ شاه في ١٣٩٤ برسالة مطولة لم تخلو من التهديد والوعيد في حالة الرفض(٥). وفي هذه الأثناء حدث أمر لم يكن يتوقعه تيمورلنك عندما تمرد عليه احد أتباعه ويدعى توقتاميش مما اضطر تيمورلنك إلى سحب قواته والعودة الى مواجهة تمرد توقتاميش(٦).

---

(١) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٤٤ ، الحلو ، المصدر السابق ، ص ٣٧-٣٨ .

(٢) حسين ، المصدر السابق ، ص ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٣.

(٤) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٤٥ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠.

(٥) خليل ، أوضاع العراق السياسية، ص ١٤٦.

(٦) المقريزي ، السلوك ، ج٣، ق ٢ ، ص ٨٦٢-٨٦٣.

وعلى اثر انســـحاب تيمورلنك من بغداد ، توجه الســلطان أحمد مع طائفة من الأمراء والقادة نحو بغداد ، وعندما ســمع مســعود الســبزاورى بذلك ترك بغداد لخوفه من انتقام الســلطان احمد[1] ويبدو أن أتباع السبزوارى قرروا المقاومة الأمر الذي جعل السلطان احمد يستنجد بحليفه الســابق . قرة يوسـف الذي اسـتعاد السيطرة على عدد من المدن التي سـبق لتيمورلنك ان احتلها ومنها الموصــل التي اســتعادها ســنة ١٣٩٦ [2]. فدخل الاثنان بغداد ســنة ١٣٩٦ [3]. فأعاد السلطان الجلائري تنظيم جيشـه واستخدم فيه العرب والتركمان واسـتطاع أن يعيد سـيطرته على جزءٍ كبير من العراق ، غير أن أوضـــاعه لم تســتقم طويلا في بغداد اذ تدهورت أحوال المدينة الاقتصادية والصحية كثيرا وعمها وباء الطاعون الذي حصد أعدادا هائلة من السكان وأعقب ذلك غلاء فاحش[4]، أن اســتعادة الســلطان أحمد الجلائري جعل الدول التيمورية تفكر جدياً بخطره ، وقد بذل تيمورلنك محاولات سياسية وعسكرية في الفترة الممتدة من ١٣٩٨-١٤٠٠ القضاء على احمد الجلائري باءت جميعها بالفشـل[5]. كما أرسـل تيمورلنك سـنة ١٣٩٧ حملة عسـكرية نحو الجزيرة الفراتية والموصــل ، كان الهدف منها القضـــاء على نفوذ القرة قوينلو فيها ، وتمكنت هذه الحملة من السـيطرة على الموصــل دون أن تتمكن من القبض على قرة يوسـف التي كان قد فر منها الى أطراف الشام. إلا أنه سرعان ما أعاد السيطرة عليها من جديد سنة ١٣٩٨ [6].

جاءت وفاة حليف الســلطان احمد الجلائري الســلطان برقوق لتزيد مخاوف الســـلطان الجلائري ، وبخاصة بعد أن وصلته الأخبار عن طريق جواسيسه بغزو تيمورلنك لشرق الأناضول وان المحطة التالية ستكون بغداد[7]. عند ذلك قرر ترك بغداد وتوجه سرا الى الموصل وذلك سنة

---

(١) نظمي زادة ، المصدر السابق، ص ١٩٨.

(٢) تذكر المصادر أن قرة يوسف يمكن من استعادة جميع القلاع والمدن التي كانت تحت سيطرته والتي استولى عليها تيمورلنك باستثناء تبريز التي بقيت في حوزة القوات التيمورية . للتفاصيل يراجع : المقريزي ، السلوك، ج ٣ ، ق ٢ ، ص ٨٥٠؛ العسقلاني ، أنباء الغمر، ج١، ص ٥٠٩-٥١٣.

(٣) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٥؛ خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٤٧.

(٤) اجبر تدهور الأوضـــاع الصـــحية في بغداد على تركها والتوجه الى الحلة ، ليعود اليها مرة أخرى بعد زوال خطر الطاعون . العســـقلاني، أنباء الغمر، ج ١، ص ٤٨٨؛ النجار ، المصـــدر الســـابق ، ص ١١٩؛ العزاوي، المصدر السابق ، ص ٢٤٥.

(٥) للتفاصيل حول تلك المحاولات يراجع : حسين ، المصدر السابق، ص ٣٤٤-٣٤٧.

(٦) العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج ١، ص ٥٢٣.

(٧) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٢٣؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٨.

١٤٠٠ بعد أن ترك على بغداد احد نوابه ويدعى فرج[١] . حيث استقبله في الموصل قرة يوسف وإدراكا من الحليفين بعدم قدرتهما على مواجهة تيمور لضعف قدراتهما العسكرية قرر الاثنان التوجه الى الشام ، وعند حلب اعترضت الحليفين قوة مملوكية تبادل فيها الطرفين الانتصار والهزيمة حتى تمكنت القوات الشامية سنة ١٤٠٠ من إيقاع الهزيمة بالقوات المتحالفة قررا على أثرها اللجوء الى الدولة العثمانية ، وقد استقبلهم سلطانها بايزيد " يلدرم " (١٣٨٩-١٤٠٢) فاقطع للسلطان احمد مقاطعة كوتاهية والثاني مقاطعة أق شهر[٢]. ويبدو أن استقبال السلطان العثماني للحليفين توحيد الجهود معهما لاستدراج تيمورلنك لخوض معركة في قلب الأناضول تكون هزيمته فيها أمرا ليس من الصعوبة تحقيقه[٣]. انتهز تيمورلنك هروب السلطان أحمد من بغداد فأعد جيشا قدره ابن حجر العسقلاني بحدود خمسة آلاف مقاتل . في حين قدرت مصادر أخرى ذلك العدد بـ (٢٠,٠٠٠) ألف مقاتل [٤].

اما نائب السلطان أحمد في بغداد الأمير فرج والذي أوكلت اليه مهمة الدفاع عن بغداد بعد أن حشد عدد كبير من مقاتلي العرب والتركمان تحت قيادة بعض أمراء المدن العراقية أمثال علي قلندر الذي قدم بقوات مندلي والأمير جان احمد بقوات من بعقوبة . وفرح شاه حاكم الحلة، وميكائيل حاكم السيب (تقع جنوب الكرخ) وصار عددهم (٣,٠٠٠) مقاتل فاستعدوا لمواجهة الغزاة وزحفوا نحو بغداد[٥].

تحرك الجيش التيموري عبر ديار بكر سنة ١٤٠١ ووصل بعد ذلك إلى بغداد وعسكر في القسم الجنوبي من الجانب الغربي لبغداد[٦]، حشرت فيها القوات الجلائرية عدد من القادة ومن الأمير جان احمد وغرق عدد آخر منهم في نهر دجلة أثناء هروبهم فيما انسحبت بقية

---

(١) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٨.

(٢) شرف خان ، شرفنامة ، ترجمه محمد علي عوني ، ج ١ ، (القاهرة ، ١٩٥٨)، ص ٩٧ ؛ البدليسي، المصدر السابق ، ج ١ (القاهرة ، ١٩٥٨)، ص ٩٧.

(٣) الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٢٥.

(٤) المصدر نفسه ص، ٢٥؛ خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٤٩.

(٥) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٢٤؛ خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٤٩؛ حسين ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤.

(٦) العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج ٢، ص ٢٠٨.

القوات إلى داخل بغداد لتتحصـــن فيها[١]. وعلى الرغم من انكســار القوات الجلائرية فان الأمير فرج بذل جهودا للدفاع عن المدينة عندما رفض الاستلام إلا لتيمور نفسه حسب وصية السلطان احمد [٢].

جرت مفاوضــات بين الطرفين، مثل فيها الجانب البغدادي الشـيخ بشـر من محلة الإمام الأعظم أبي حنيفة الذي تأكد من شــخصــية تيمور واقســم لفرج على المصــحف بذلك ، إلا أن البغداديين أصـروا على المقاومة ، بعد أن أنكر قائدهم فرج حضـور تيمور مع القوات المهاجمة ، ويبدو انه فعل ذلك لكي يحافظ على ثبات الجبهة الداخلية لبغداد لأن إشــاعة وجود تيمورلنك مع المهاجمين تثير الرعب في نفوس البغداديين وقد افلح فرج في خطته[٣].

شــدد تيمورلنك من قبضـــته على بغداد ودام حصـــارها أربعين يوما ويبدو أن طول مدة الحصـــــار وقلة الأقوات في المدينة وحرارة الجو كان له اثر في ســـقوط المدينة في ٣٠ حزيران ١٤٠١ [٤].

– أوضاع العراق خلال الغزو التيموري الثاني والثالث للعراق ١٤٠١–١٤٠٣:

ارتكبـت القوات التيموريـة بعـد دخولهـا لبغـداد مجزرة رهيبـة فـاقـت في بربريتهـا مـا فعلـه هولاكو عند احتلاله لبغداد سنة ١٢٥٨[٥]. فيما تذكر مصادر أخرى أن أعمال القتل لم تشمل كل سـكان بغداد اذ أن عددا كبيرا من سـكان المدينة كانوا قد تسـللوا منها في أثناء الحصــار وأعلنوا انصـــياعهم لتيمورلنك فســمح لهم بالعودة الى المدينة وعفا عنهم ومنحهم الأمان وذلك ليكونوا له عونا وابلغهم بأن لهم الخيار في الجهة التي يرغبون أن يرســلوا اليها مع تخصــيصـــه الرواتب . وبعد أن فرغ تيمورلنك من عمليات القتل اســتولت قواته على خزانة الدولة ونهبت أموال ســكان المدينة وغدت المدينة خرابا ، باستثناء بعض المراكز الدينية والعلمية[٦].

---

(١) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٢٠؛ حسين ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥.

(٢) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٢١.

(٣) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٢٠.

(٤) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٥٠.

(٥) اختلفت التقديرات حول أعداد القتلى والتي تراوحت بين ٩٠–٢٥٠ ألف . للاستزادة يراجع: النجار ، المصدر السابق ، ص ١٢٢؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٣.

(٦) حسين ، المصدر السابق ، ص ٣٦٥.

بعد أن أتم تيمورلنك إخضاع بغداد قرر استعادة نفوذه في باقي المدن العراقية الأخرى ، فأرسل سنة ١٤٠١ الخان سلطان محمود وميرانشاه وخليل سلطان وشاه ملك على رأس قوة عسكرية إلى الحلة حيث وتمكنت من إخضاع المنطقة الواقعة بين الحلة والنجف وقد سلمت النجف من النهب والدماء بفضل مساعي وفد نجفي برئاسة أحد أبنائها ويدعى محمد مفتاح الذي قابل تيمورلنك في بغداد وقد واصلت القوات التيمورية زحفها نحو واسط واكتفي بإخضاع مدن الفرات الأوسط ثم قفلوا راجعين وهم محملون بالغنائم[١].

أصبح ميرانشاه حاكما على العراق الذي شكل الجزء الغربي من الإمبراطورية التيمورية ، كما عين عدة ولاة في مدن العراق كما جعل بايندة حاكما على بعقوبة وسيد احمد اويرات على منطقة حربي وتوابعها الواقعة إلى الجنوب من تكريت ، وعين الأمير جلال إسلام مسؤولا عن الشؤون المالية في بغداد ، فيما اسند حكم الموصل إلى أحد الأمراء ويدعى حسن ابن حسين بك، أما بغداد فقد اسند حكمها الى حفيده ابي بكر[٢].

وبغزو تيمورلنك لشرق الأناضول وبلاد الشام والعراق يكون قد طوق الدولة العثمانية من جهة الشرق والجنوب ، لذلك اتجه بعد احتلاله للعراق إلى تصفية حسابه مع العثمانيين وكان من أسباب صدامه معهم يرجع إلى إيواء السلطان بايزيد يلدرم كل من السلطان احمد الجلائري وقرة يوسف فضلاً عن أسباب أخرى[٣]. لذلك أرسل إلى بايزيد رسولا يطلب فيه تسليم قرة يوسف وكتب له " اننا لا نريد درأ السلام مثل بلاد الروم مضطرب أمرها عند غزوي وتعرض لها ، فأعط قلعة كماخ[٤] لأعواننا ولا تضيق على نفسك العالم الفسيح لأن قرة يوسف ذلك الشرير ليس الا قاطع طريق...[٥].

وعندما رفض بايزيد تهديدات تيمورلنك ، تطور الموقف فحسد تيمورلنك جيوشه قاصدا الأناضول سنة ١٤٠٢ واستولى تيمولنك على سيواس وقتل ابن بايزيد (ارطغرل) فسار بايزيد

---

(١) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٥٠.

(٢) حسين ، المصدر السابق ، ص ١٥١.

(٣) محمد فريد بيك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس ، (بيروت ،١٩٨١)، ص ١٤٦.

(٤) كماخ : مدينة من بلاد الروم وتقع بالقرب من أذربيجان.

(٥) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٧.

لقتال تيمورلنك وتلاقي الجمعان في سهل أنقرة سنة ١٤٠٢. اذ مني الجيش العثماني فيها بالهزيمة ووقع بايزيد أسيرا حيث توفي في الأسر [١]. اما موقف قرة يوسف والسلطان احمد الجلائري من تهديدات تيمورلنك لبايزيد فقد تمثل بالتخاذل فبدلا من مؤازرته قرر الانسحاب ليواجه السلطان العثماني بايزيد وحده مصيره المحتوم على يد تيمور، حيث هربا من مدينة بورصة إلى العراق وسلكا طريق قلعة الروم شمال سوريا ، واتجها جنوبا بمحاذاة نهر الفرات حتى وصلا هيت، فاستقر قرة يوسف فيها ، فيما واصل السلطان احمد الجلائري سيره باتجاه بغداد التي دخلها سنة ١٤٠٢ بعد ان كان تيمورلنك قد سحب قواته منها استعدادا لغزو الدولة العثمانية[٢].

واصل السلطان أحمد عملية الاسترداد فزحف في السنة نفسها إلى الحلة فاستولى عليها دون مقاومة تذكر، ثم زحف عبر منطقة الفرات الأوسط راجعاً إلى بغداد ، ثم جهز حملة نحو بعقوبة فاستردها حيث هرب حاكمها بايندة إلى تبريز كما حاول السيطرة على البصرة إلا أن محاولته باءت بالفشل[٣].

كما شهدت الفترة بين ١٤٠١-١٤٠٥ صراعات متداخلة بين السلطان أحمد وابنه طاهر وبين السلطان احمد مع قرة يوسف الذي تكونت له قوة كبيرة من القبائل التركمانية استقر بهم في صحراء هيت[٤] ، مما قاد في النهاية إلى شكوك كل من احمد الجلائري وقرة يوسف بنوايا الطرف الآخر ويبدو أن قرة يوسف شك بنوايا السلطان أحمد فأسرع الى احتلال بغداد ، اما السلطان أحمد فقد هرب إلى تكريت ومنها الى بلاد الشام[٥].

وما أن انتهى تيمورلنك من دحر السلطان العثماني بايزيد حتى قرر استرداد بغداد ، وعندما علم قرة يوسف بقرب وصول تيمورلنك إلى بغداد حتى قرر اللحاق بالسلطان الجلائري في بلاد الشام ، اما تيمورلنك فقد دخل بغداد للمرة الثالثة حيث أسند حكم العراق إلى حفيده ابي

---

(١) شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، جمع أصوله وحققه وعلق عليه: حسن السماحي سويدان ، ط١ ، (دار ابن كثير ، دمشق ، ٢٠٠١)، ص ٦٧.

(٢) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣-٢٠٩؛ حسين ، المصدر السابق ، ص ٣٧١.

(٣) حسين ، المصدر السابق ، ص ٣٧١-٣٧٣.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٨٠-٣٨٣؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٥) المقريزي ، السلوك ، ج٣، ق٣، ص ١١١٩؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩.

بكر ميرزا بن ميرانشاه[1]، وأمره أن يعمل على تهيئة السكان ومساعدتهم على إعادة تشييد بيوتهم وزراعة أراضيهم ، وقد كللت جهوده بالنجاح نسبيا أذ عاد جمع كبير من سكان بغداد الفارين الى مدينتهم وبدأوا بتعميرها ومزاولة نشـــاطهم فيها ، ويبدو أن أبا بكر اســـتطاع أن يعيد العمران الزراعي الى قسم من الأراضـي ويؤيد ذلك كثرة الأراضـي الزراعية في بغداد والحلة وكربلاء التي جعلت وقفا للمراقد السنية والشيعية[2].

كما استطاع أبو بكر أن يوجد نوعا من الاستقرار السياسي النسبي ويشيع الأمن على طريق المواصلات ومما يؤيد ذلك سفر قافلة كبيرة من الحجاج العراقيين لأداء فريضة الحج بعد أن انقطع العراقيون عن ذلك من الغزو التيموري الأول ســنة ١٣٩٣ ، كما قامت قوات تيمورلنك بمطاردة القبائل الكردية التي تتعرض لقوافل التجارة في المناطق الجبلية ، فضـــلاً عن قيامها بمهاجمة القبائل العربية التي تتعرض لقوافل التجارة والحج في الجنوب ووضـــع قوات كافية في واسط للمحافظة على الأمن والسيطرة على هذه القبائل ، لهذا نشطت التجارة خلال هذه الفترة[3]

- **انهيار الحكم الجلائري في العراق :**

لم يكن التجاء كل من السلطان احمد الجلائري وقرة يوسف الى بلاد الشام محل ترحيب من الســلطان المملوكي الناصــر فرج (١٣٩٩-١٤١٢) خاصــة بعد توقيع الأخير على اتفاقية صلح مع تيمورلنك تعهد وبموجب أحد بنودها بعدم إيواء كل طرف أعداء الطرف الآخر[4].

وتنفيذا لبنود هذا الاتفاق أصـدر السـلطان فرج أوامره لنائبه في دمشـق باعتقال السـلطان احمد وقرة يوســف في جمادي الآخرة ســنة ١٤٠٤ [5] . وخلال الفترة التي قضـــاها الاثنان في السـجن تم التوصـل إلى اتفاق سـياسـي تعهد بموجبه الاثنان أن تكون تبريز لقرة يوسـف وبغداد

---

(١) الغياثي ، المصـدر السـابق ، ص ٢١٠؛ الاعظمي، المصـدر السـابق ، ص ١٥٩؛ العزاوي ، المصـدر السابق، ص ٢٨١.

(٢) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٥٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٣.

(٤) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ٦٦.

(٥) العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج ٢، ص ٢٤٦.

للسلطان احمد اذا ما تمكن الاثنان من استعادتهما بعد إطلاق سراحهما ، وتعبيرا عن رغبة الاثنين في تعزيز الصداقة عرض السلطان أحمد الجلائري على قرة يوسف أن يتبنى السلطان احمد ابنه بيربوداق فوافقه قرة يوسف على ذلك [1]، ذلك الاتفاق الذي سيكون بداية النهاية للدولة الجلائرية والذي سيأتي الحديث عنه لاحقا.

ساعد اضطراب الأوضاع السياسية في بلاد الشام[2] ووفاة تيمورلنك كل من احمد الجلائري وقرة يوسف على التحرك من الشام مع بعض أتباعهما ومن ثم مواصلة نشاطاتهما مرة أخرى في العراق وأذربيجان لإزاحة الغزو التيموري بعد وفاة تيمورلنك سنة ١٤٠٥ [3]. أما السلطان احمد الجلائري فقد استعاد السيطرة على بغداد التي دخلها دون أية مقاومة بعد فرار حاكمها التيموري دولة خواجة ايناق إلى بلاد فارس[4]. مكث السلطان احمد في بغداد زهاء الخمس سنوات بذل خلالها جهودا في إعادة تنظيم البلاد وتحصين أسوارها وبعد أن استتب أمر السلطان أحمد في بغداد قرر الزحف نحو تبريز لاسترجاعها وتمكن من ذلك سنة ١٤٠٦ إلا أن سوء تدبير السلطان احمد جعله يقرر تركها دون مقاومة[5].

اما قرة يوسف فقد عمل هو الآخر على استعادة السيطرة على أذربيجان ثانية تلك السيطرة التي قادت في النهاية إلى توتر العلاقات بين السلطان احمد الجلائري وقرة يوسف سنة ١٤٠٨ عندما قام الأخير بتنصيب ابنه بيربوداق حاكما على أذربيجان ومنحه لقب سلطان . وقد هدف قرة يوسف من ذلك إضفاء الشرعية على حكم ابنه أولا وتطلعا لاغتنام أية فرصة ممكنة لتنصيبه سلطانا على الجلائريين ، وحاكما على أملاكهم في حال موت السلطان احمد الجلاتري ثانية ، منطلقا في ذلك من اعتبار ان بيربوداق هو ابن السلطان أحمد بالتبني ومن حق الابن أن يرث أباه في السلطة بعد موته[6].

---

(١) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٣١.

(٢) شهدت بلاد الشام إبان هذه الفترة اضطرابات سياسية بفعل الثورة التي قام بها نائب السلطان فرج في دمشق الأمير شيخ المحمودي. للتفاصيل يراجع : المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ق٣، ص ١١٥٦.

(٣) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٢١٢.

(٤) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٥٤.

(٥) للاستزادة يراجع : النجار ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٣١٩-٣٢٢.

(٦) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ٦٩-٧٠.

توالت الأحداث السياسية التي أدت في النهاية إلى اتخاذ السلطان احمد الجلائري الخيار العسكري عندما قرر غزو تبريز التي دخلها في ربيع الأول سنة ١٤١٠ وبدخوله تبريز يكون قد نقض الاتفاق الذي سبق أن اتفق فيه مع قرة يوسف في السجن والذي تضمن أن تكون أذربيجان لقرة يوسف وان يكون العراق للسلطان أحمد ، ولهذا قرر السلطان احمد حسم الموقف فهاجم تبريز في ربيع الثاني سنة ١٤١٠ بجيش كبير ، إلا أن قواته اندحرت في المعركة ليقتل هو وابنه علاء الدولة على يد قرة يوسف وذلك لقطع أية محاولة قد يقوم بها الاثنان لاستعادة نفوذهما، وكان هذا الإجراء خاتمة الحكم الجلائري وبداية للاحتلال قرة قوينلوي للعراق[١]. ولإضفاء الشرعية على استلام بيربوداق مقاليد السلطة دعى قرة يوسف إلى اجتماع حاشد في تبريز سنة ١٤١١ ، ضم كافة أمراء القرة قوينلو ، أعلن فيه تسلم بيربوداق مقاليد السلطنة الجلائرية تحت ذريعة مقتل السلطان أحمد ، ومن حق الابن أن يرث محل أباه المقتول [٢].

وسبق إعلان تسلم بيربوداق السلطنة توجيه قرة يوسف لحملة عسكرية للسيطرة على العراق أسندت قيادتها إلى ابنه شاه محمد والتي انطلقت من تبريز – اربيل – كركوك – بعقوبة – بغداد سنة ١٤١٠. [٣]. وقد سادت الفوضى بغداد بعد تلقيهم نبأ مقتل السلطان احمد ، لكن الأسرة الجلائرية الموجودة في بغداد واجهت الموقف باتخاذ جملة من الإجراءات وبإيعاز من دوندي خاتون ابنة السلطان حسين عندما تم تنصيب شاه ولد سلطانا للجلائريين بدلا من السلطان المقتول[٤]، كما أمرت بفتح سداد نهر دجلة وإغراق جميع جوانب المدينة ، ولغرض تهدئة اضطراب سكان بغداد تفتحت مخيلتها عن خطة لا تخلو من مكر ودهاء فقد أوعزت الى بخشايش الذي كان شحنة على بغداد ان يبث إشاعة مفادها أن السلطان احمد لم يقتل وانه مختبئ في إحدى دور بغداد[٥]، ولتأييد ذلك استمر بخشايش بالخطبة للسلطان احمد[٦].

---

(١) للاستزادة يراجع : العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج ٣ ، ق٢، ص ٢٣٠ ؛ الغياثي ، المصدر السابق ، ص ١٣٦–١٣٩ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٧–٣٢٩.

(٢) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٤٦.

(٣) علي شاكر علي ، " العراق والغزو القرة قوينلوي في القرن الخامس عشر الميلادي " ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٨، ١٩٨٩، ص ٣٨.

(٤) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٤.

(٥) نوري عبد الحميد العاني ، العراق في القرن الخامس عشر ، (بغداد ، ٢٠٠٢)، ص ٢٠–٢١.

(٦) العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج ٢، ص ٤٦٠.

واستهدفت دوندي خاتون من هذا الإجراء تسخير الأهالي للوقوف الى جانبها المواجهة الحصار القرة قوينلوي لبغداد، وسعياً من بخشايش لتحقيق بعض المكاسب المادية طلب الزواج من ابنة دوندي خاتون طمعا بعرش السلطان ، ولم يكن أمام دوندي خاتون إلا الموافقة على الطلب لأن بخشايش كان له من الأتباع ما يجعله قادرا على زعزعة الوجود الجلائري في بغداد ، لتوعز بقتله بعد ذلك وأشاعت بان مقتله حدث بأمر السلطان احمد(١).

وقد انطلت إشاعة بقاء السلطان احمد حيا على أهالي بغداد لذلك لم يظهر أي رد سلبي تجاه مقتل بخشايش لأنه وقع بأمر السلطان ، ولغرض تقوية تضامن الأهالي مع دوندي خاتون وشدهم للمقاومة عمدت إلى تعيين أحد أتباعها ويدعى عبد الرحيم الملاح شحنة على بغداد بدلا من بخشايش المقتول(٢). فكان خير معين لها لأنه أشاع بأنه " شاهد السلطان في منامه وهو راكب على فرسه ووعده بالخروج في النهار "(٣). كما استمر في الخطبة وسك النقود باسم السلطان أحمد.

أثارت إشاعة قرب ظهور السلطان احمد روح المقاومة والاستبسال عند سكان بغداد حيث قاموا بغارات خاطفة على معسكر شاه محمد تمكنوا من خلالها من إنزال خسائر جسيمة بعسكره والحصول على غنائم منه إلى الحد الذي اضطر فيها الأخير الى الانسحاب من معسكره في بعقوبة إلا أن الغلبة سرعان ما تغيرت لصالحه عندما انفجر الصراع بين عبد الرحيم الملاح ودوندي خاتون عندها أوعزت الأخيرة بقتل عبد الرحيم الملاح وأتباعه بسبب طموحه للانفراد بالسلطة كما فعل بخشايش من قبله(٤).

أثار مقتل عبد الرحيم للملاح ردود فعل أهالي بغداد ضد دوندي خاتون ، ورأت الأخيرة بعد هذه الحادثة أن قدرتها على ضبط البلاد أضحي بحكم المستحيل لتخلي السكان عنها ولطول مدة الحصار ، وبالتالي خططت للهروب مع أفراد أسرتها وهنا تفتحت مخيلتها عن خطة لا تقل ذكاء عن الخطة السابقة وقد أشار الغياثي إلى ذلك فذكر ان دوندي خاتون أعلمت سكان

---

(١) خليل ، أوضاع العراق السياسية ، ص ١٥٩؛ علي ، العراق والغزو القرة قوينلوي ، ص ٣٩ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣.

(٢) علي ، العراق والغزو القرة قوينلوي ، ص ٣٩.

(٣) العاني ، العراق في القرن الخامس عشر ، ص ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣.

بغداد برغبة السلطان أحمد في الخروج من مخبئة فانشغل السكان بتزيين المدينة وإقامة الأفراح واجتمعوا متوجهين الى داره فخرج اليهم رجل في زي السلطان أحمد على الفرس فقبلوا له الأرض وسألوه أن يروه أكثر من مرة، فوعدهم بالخروج عند غروب الشمس(١).

وبينما كان الناس منشغلين بأمر التزيين انسلت دوندي خاتون مع أولادها الستة وجماعتها على ظهر سفينة إلى واسط ومنها توجهت الى شوشتر(٢). ولما علم أكابر البلد بذلك استدعوا الشاه محمد لدخول بغداد في محرم سنة ١٤١١ بعد حصار دام سنة تقريبا(٣)، بعدها جرد حملات عسكرية للسيطرة على باقي المدن العراقية فخضعت له عانه وهيت وتكريت والموصل واربيل وكركوك وداقوق وجصان وكردستان(٤). منهياً بذلك السيطرة الجلائرية على العراق.

الأوضاع العامة العراق خلال فترة السيطرة الجلائرية للعراق ١٣٣٧-١٤١١:

كان للصراعات المتكررة بين الحكام الجلائريين أنفسهم او بينهم وبين الأمراء القرة قوينلوبين أو بينهم وبين التيموريين والتي اتخذت من المدن العراقية ساحة لهذه الصراعات ، انعكاساتها السلبية على عموم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذه المدن والتي يمكن إيضاحها وعلى الشكل التالي:

١ -الأوضاع الاقتصادية :

- الزراعة:

لم يهتم الجلائريون بالنشاط إلا بما يكفي لإعاشة قواتهم ، لذلك اقتصرت عنايتهم على بغداد والمناطق المحيطة بها حتى أن هذه المنطقة دفعت سنة ١٣٩٣ نصف مجموع موارد

---

(١) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٦.

(٢) ومن شوشتر بدأت دوندي خاتون في إرساء دعائم حكمها ، واستمرت في جهودها تلك حتى سنة١٤٣٠ ، عندما تمكن أسبان احد حكام الدولة القرة قونيلوية من القضاء على الدولة الجلائرية. الغياثي ، المصدر السابق، ص ١٣٨ - ٢٦٤.

(٣) العسقلاني ، أنباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٣٠٦.

(٤) النجار ، المصدر السابق ، ص ١٥١.

العراق آنذاك [1].

مما يدل على أن النشـــاط الزراعي اخذ في الانحســـار إلى المناطق القريبة من المدن الرئيســية طلبا للأمن والحماية ، أما إصـــلاح الأنهار وتطهيرها وزيادة الرقعة الجغرافية فلم تلقى من أولئك الغزاة اهتماما إلا في حالات نادرة ، والذي انعكس ســلبا على قلة الإنتاج الزراعي رغم سعة المساحات الزراعية وخصوبة التربة[2]. وقد ألحقت الحروب أضرارا فادحة بالأراضي الزراعية فكثيرا ما يعمد المتحاربون إلى إتلاف الزروع وإحراقها بصورة متعمدة، إرهابا للعدو وبثا للذعر في صفوفه ، ومما زاد في تفاقم الأحوال الاقتصادية سوءاً انقطاع الأمطار ونقصان المياه في الأنهر فضـلاً عن الفيضـانات وتساقط الثلوج التي تتلف الزروع وتقضـي على الثروة الحيوانية كما حدث في الأعوام ١٣٤٣ ، ١٣٥٤، ١٣٧٣ ، ١٣٨٣، ١٤٠٦ ، يضـاف إلى ذلك موجات الجراد التي كانت تلتهم المزروعات حدث في الأعوام ١٣٤٢ ، ١٣٤٦ ، ١٣٦٥ ، ١٤٠١ ، وكانت انتشـار الأوبئة وخاصـــة الطاعون والذي كان يفتك بالقوى العاملة وانعكاس ذلك على نقصـــان الإنتاج الزراعي كما حدث في الأعوام ١٣٤٢ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٢، ١٣٩٨ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٨، ١٤٠٧ [3].

ولم تنجح الجهود الإصلاحية التي اضطلع بها بعض السلاطين الجلائريين لإنقاذ الفلاح العراقي من هذا الواقع المتدهور عندما صـدرت الأوامر بإعفاء سكان بغداد على اثر غرقها سـنة ١٣٧٣ مدة خمس سنوات من دفع الخراج مع اعمار ما دمره الفيضـان وشق الترع وزرع الأرض، ولهذا لا تســـتغرب من أن الكثير من القرى الزراعية التي كنا نســـمع بوجودها قبل الاحتلال المغولي، لم يعد لها ذكر في العهدين الايلخاني والجلائري[4].

---

(١) صـالح محمد العابد وعماد عبد السـلام رؤوف ، " العراق بين الاحتلالين المغولي والصـفوي " ، العراق في التاريخ (بغداد ، ١٩٨٣)، ص ٥٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥٨.

(٣) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ٢٢٩-٢٢٩ ؛ العزاوي ، المصـدر السـابق ، ص ٦٦-٦٧ ، ص ٧١، ص١٣٤؛ خصباك ، المصدر السابق ، ص ٩٣ ؛ العسقلاني ، السلوك ، م ٣ ، ق ٢ ، ص ٨٢٩.

(٤) علاء محمود قداوي ، العراق في القرن التاســع الهجري / الخامس عشـر الميلادي ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة الموصل ، ١٩٩٣)، ص ٣٢ ، ص ٣٤.

وفي العهد الجلائري ظل الإقطاع وأسوة بالعهد الايلخاني أسلوباً من أساليب الإدارة حيث وصـــفت الدولة الجلائرية بانها " دولة إقطاعية " واســـتخدم الإقطاع بنوعيه ســـواء كان من نوع الاســتغلال أو التمليك هو الشـائع ولم يكن الإقطاع الجلائري ســوى تعويض الأمراء الجيش عن الراتب النقدي ، وهو بمثابة ترخيص لهم باســـتحصـــال رواتبهم من موارد وضـــرائب الإقطاعات الممنوحة لهم ، ولم يكن يشـــترط في الشـــخص المقطع أن يقيم في محل إقطاعه، فقد يأخذه في مناطق متباعدة ، فيقوم بإنابة معتمدين يتولون شـــؤون الإقطاع بالنيابة عنه، وقد يتولى أحد الأمراء إدارة إحدى المناطق بنفســـه ، من ذلك الأمير إيكا بن الشـــيخ حســـن، وكان حاكماً على ديار بكر في عهد والده[١].

أما عن كون الإقطاع كأســـلوب من أســـاليب الإدارة فقد اســـتخدم تحت مســـميات عدة المقاطعة) أو (الضـــــمان) والذي اســـــتخدم بكثرة في جميع مناطق العراق في هذا العهد[٢]. كما اســـتمر إقطاع المدن والقرى لأمراء العشـــائر الذين يقدمون خدمات عســـكرية للدولة ، وفي هذا المجال اقطع السلطان معز الدين أويس منطقة الكبيسات إلى الأمير حيار بن مهنا[٣].

وحدث في عهد الســـيطرة الجلائرية شـــيوع نوع من الإقطاع بحدود ضـــيقة عرف بـــــ(السيورغال) أو (الأدرار) ولا يشترط أن يكون الشخص الممنوح من العسكريين ليكون بمثابة راتب لهم والمهم في هذا الادرار ان صـــاحبه كان يمنح من الإعفاءات والامتيازات ما حوله لأن يكون ملكية مطلقة وبخاصـة ما عرف بإقطاع (ادرار مقاصـة) ، والذي تصـبح بموجبه الأرض أو القرية (المقطعة) ملكا مؤبداً لصـاحبها ولذريته من بعده ولا يدفع عنها أية ضـرائب . وإلى جانب هذا النوع بقيت بعض النظم الإقطاعية مثل الإقطاع المستند إلى إحياء الأرض الموات، وبموجبه تصبح الأرض ملكا لمستصلح الأرض ولذريته من بعده وتعرف باسم (القرار الشمسي) [٤].

---

(١) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) صـــالح محمد العابد ، " النظام الإداري من الاحتلال المغولي حتى عهد الســـيطرة العثمانية٦٥٦-٩٤١هـ/١٢٥٨-١٥٣٤م " ، حضارة العراق ، ج١٠ (بغداد ، ١٩٨٠)، ص ١٢.

(٣) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ١٩٦.

(٤) العابد ، النظام الإداري ، ص ١٢.

كما استمر الحفاظ على الملكيات الموقوفة على المساجد والمدارس وتعد وقفية الخواجة أمين الدين مرجان والمنشآت التي أقامها ببغداد (المدرسة المرجانية ، دار الشفاء ، خان مرجان)، من أضخم الوقفيات المعروفة في تاريخ العراق وأدقها[١].

- الصناعة:

رغم وطأة الاحتلال الجلائري ، فان الصناعة شكلت جزءا مهما من النشاط الاقتصادي للسكان ، واستمرت شهرة عدد من المدن بصناعتها مثل بغداد والموصل والنجف والحلة وواسط[٢] واربيل والبصرة ، وجميعها كانت تنتج أنواعا مختلفة من المنتوجات لاسيما النسيج والزجاج والأسلحة ، ففي الموصل مثلاً والتي ظلت متميزة بصناعة المنسوجات والملابس وتحديداً الثياب الموصلية المعروفة بالشاش والموزلين والنصافي الموصلية والتي كانت تلقى رواجا كبيرا في الأسواق الخارجية[٣].

كما أشارت مصادر أخرى إلى وجود مراكز لسك النقود في بعض الاقضية كسنجار وعقرة واربيل . فيما أشارت مصادر أخرى إلى أن بعض أطراف الموصل وديار بكر كانت تنتج في هذه الحقبة أجود أنواع الخمور التي كان يفضلها السلاطين الجلائريون[٤]. وقد وجد تيمورلنك كميات كبيرة منها سنة ١٣٩٣ في شراب خانة السلطان أحمد في بغداد فضلاً عن المشروبات الأخرى[٥].

وأمام افتقار حكام هذا العهد الى مثل هذه الصناعات والذي دفع الكثير منهم إلى محاولة الاستفادة من خبراتهم عن طريق نقلهم إلى عواصمهم كتبرير وسمرقند ، فقد ذكر اليزدي ان تيمورلنك أرسل عددا من علماء بغداد وأصحاب الصنائع والحرف الي سمرقند سنة ١٣٩٣ [٦].

---

(١) العابد ، النظام الإداري ، ص ١٤.

(٢) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ٢٤٢.

(٣) ولبر ، المصدر السابق ، ص ٦٩.

(٤) الحسو ، في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية، ص ٢٥٧-٢٠٨.

(٥) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ٢٥٢.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٧.

- **التجارة:**

شهد النشاط التجاري في هذا العهد ركودا عاما بسبب الظروف الجديدة التي نشأت بعد سقوط الدولة الايلخانية والتي يمكن إجمالها بما يلي :

١- شكلت ظاهرة عدم الاستقرار السياسي إحدى أهم العوائق التي ساهمت في تراجع التجارة في المدن العراقية خلال هذا العهد فانقطعت الطرق أمام التجارة والتجار وكثرت المظالم والنهب وخشي التجار على أرواحهم وأموالهم . إلا أن ذلك لا ينفي بعض المحاولات التي أبداها بعض الحكام الجلائريين لتنشيط التجارة الداخلية خدمة لمصالحهم وطمعا في زيادة ثرواتهم ، فقد ساعد الاستقرار النسبي الذي شهده العراق أواخر عهد الشيخ حسن وابنه معز الدين اويس انتعاشا في الحركة التجارية في بغداد ، وباقي المدن العراقية وتسابق الحكام والولاة على بناء الأسواق والخانات[١].

فعمر مرجان أسواقا وخانات في بغداد منها الخان المعروف بخان الاورتمة[٢]. وعدداً من الدكاكين والأمثلة كثيرة على ذلك إذ استمرت تجارة عدد من المدن العراقية ومنها البصرة التي كانت تصدر التمور إلى الهند والصين والأسماك الى هرمز ، كما أنها ظلت مركزاً لتجارة اللؤلؤ والبهار المستورد من الخليج العربي والهند بل أن بعض المصادر ذكرت أن تجارها كانوا يصلون إلى مكة والقاهرة[٣].

اما المنطقة الشمالية فقد ظلت الموصل مركزا لنشاط تجاري استمر في هذا العهد، حيث قام التجار الموصليون بتصدير ما يفيض عن حاجة المدينة وقد أوردت المصادر أخبار تجارتهم في هذه الحقبة مع مصر وبلاد الشام والحجاز[٤].

---

(١) الخان : وهو بناء فخم يحوي على عدد من الدكاكين ومستودعات البضائع ويتوسطه فناء ضخم يكون مسقفا في بعض الأحيان مثل خان الاورتمة الذي كان يتألف من طابقين ويحوي على (٤٥) غرفة ، وفي الخان يحفظ التجار بضائعهم وفيه يجدون المأوى لهم ولدوابهم وبالتالي يعد هذا الخان احدهم المنشآت التجارية . العاني ، العراق في العهد الجلائري، ص ٢٧٩.

(٢) الاورتمة : شيده الخواجة مرجان في بغداد سنة ١٣٥٨ وسمي بخان الاورتمة أي الخان المستور المغطى (بالتركية) . العزاوي ، المصدر السابق ، ص ١١٥.

(٣) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ٢٧٩.

(٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٢، ق ٢، ص ٥٥٥.

فيما أشارت مصادر أخرى انها ظلت مستودعا لتجارة الحبوب وحاجات المنطقة الجنوبية والتي تنقل اليها بطريق كركوك واربيل ومنها إلى ديار بكر وحلب(١). وبرز فيها عدد من التجار ومنهم الخواجة مجد الدين السلامي والذي كان "ذا خبرة بأخلاق الملوك وما يليق بخواطرهم ، وما يتحفها من الرقيق والجوهر ، وكان السلطان المصري يأمر بمسامحة نصف المكس عن تجارته"(٢).

٢- تأثرت أسواق المدن العراقية بتدهور الأوضاع السياسية بفعل الحروب والصراعات التي كانت إحدى السمات الرئيسة لهذا العهد والأمثلة كثيرة على ذلك ، فقد أوعز تيمورلنك وأثناء احتلاله الثاني لبغداد سنة ١٤٠١ بتخريب جميع أسواقها وخاناتها(٣).

٣ -كان من نتائج ضعف الحكومات ان خلقت حالة من الضنك والضيق الاقتصادي التي عاشتها القبائل العربية ما اضطرها إلى فرض الإتاوات على قوافل التجارة وان حكومة الاحتلال الجلائري تتحمل المسؤولية الرئيسية في تردي الحالة الاقتصادية والأمنية المتدهورة ، والأمثلة كثيرة على ذلك ويلقي الرحالة بن بطوطة ضوءا على ظروف التجارة في المنطقة الجنوبية ، حيث يذكر أنه لا يمكن السفر في هذه المنطقة الا بصحبة القوافل التي يقودها عرب خفاجة وإعراب بني أسد الذين كان لهم نفوذ قوي في المنطقة، ووصف المعادي (المعدان) الساكنين في منطقة المستنقعات الواقعة بين الفرات وواسط بانهم قطاع طرق وقد استمر تعرض القبائل لقوافل التجارة والحج حتى فترة الاحتلال التيموري للعراق(٤).

لم يقتصر تعرض التجارة الى هجمات القبائل العربية بل يقدمها إلى القبائل الكردية ايضا لأن حالة الضنك والضيق دفع عدد من أمرائهم الى اخذ الخاوة على طرق التجارة في منطقة الجبال والجزيرة ، وكان يظهر بين الحين والآخر أحد الأشقياء واللصوص ، يضم حوله عدد من الأفراد ويهاجم المدن والقرى ويقطع الطريق، من ذلك حسن بن هندو سنة ١٣٥٠ وكانت منطقة الجزيرة مسرحا لنشاطه وكذلك المنطقة الواقعة بين الموصل واربيل ، وفي سنة ١٣٨٣

(١) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ٢٨١.

(٢) نقلاً: الحسو ، الواقع الحضاري في الموصل، ص ٢٥٨.

(٣) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ٢٧٩.

(٤) نقلا عن: المصدر نفسه ، ص ٢٨٠.

كان ســـالم الدلكري رئيس طائفة التركمان الدلكرية في بلاد الشـــام يقطع الطريق على حجاج الموصل ويذبحهم ويأخذ أموالهم وكان حكام بعض المدن يستغلون ضعف الحكومة ، فيفرضون الضـــرائب المالية على قوافل التجارة أو ينهبونها مثل حســـن يولتيمور حاكم قلعة تكريت، التي كانت في هذا العهد مأوى للمخالفين وراصدي السابلة المتعرضين لتجار مصر والشام[١].

٤- اعتمدت الدولة الجلائرية على الضـــرائب المفروضـــة على التجارة الخارجية كأحد المصـــادر لتمويل خزائنها وكثيرا ما تعرض التجار الى المضـــايقات وخاصـــة أثناء الاضـــطرابات السياسية وكانت اشد المناطق تضيقا على التجار وخاصة العراقيون منهم هي (قطيا) [٢]، التي كان يرد اليها التجار القادمين من الشام والعراق ، حيث كانت تفتش فيها أمتعة التجار ولا يجتازها أحد إلا ببراءة من الشام ومصر.

٥ -لابد من الإشـــارة إلى تأثير الكوارث الطبيعية وانتشـــار الأوبئة والأمراض - والتي سبقت الإشارة اليها - من انعكاس سلبي على حركة التجارة والتجار وما يصاحب ذلك من ندرة في السلع وغلاء أسعارها[٣].

مع ذلك فقد شـــهد العهد الجلائري ازدهارا في العلاقات التجارية مع المماليك لأنه لعب دعم السلطات الحاكمة في كلتا الدولتين ، كما كانت حركة التجارة العراقية وأسوة بالعهد الايلخاني قائمة مع الصـــين والهند وإيران ، كما كان هناك نشـــاط تجاري مع بلاد الروم وأرمينيا وبعض البلدان الأوربية[٤].

---

(١) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) قطيا : قرية على الطريق بين مصر والشام وسط الرمل قرب الغرما الواقعة على البحر المتوسط، المصدر نفسه ، ص ٢٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

(٤) قداوي ، العراق في القرن التاسع الهجري ، ص ٣٩.

- **الإدارة:**

لم يحصـل تبدل كبير في الإدارة في العهد الجلائري ١٣٣٧-١٤١١ فالسـلالة الجلائرية عملت بالأنظمة الإدارية التي كانت سائدة خلال العهد الايلخاني اذ بقي العراق مقسماً الى ثلاثة ولايات أعمال رئيسية : عراق العرب وديار بكر (الجزيرة) ، وكردستان.

أما عن مساحة هذه الأعمال فلم تكن ثابتة ، ولم يكن تقسيمها يستند إلى أسس طبيعية أو جغرافية ، بل كانت تطبق لتحقيق أغراض اقتصادية منها جباية الضرائب والموارد الحكومية . و لكن الظاهرة الجديرة بالتسجيل ان العراق شكل القسم الأكبر والأهم من الدولة ومن ثم أصبحت بغداد مركزا للدولة ومقرا للحكومة خلال القسم الأكبر من حكم الشيخ حسين الجلائري وابنه معز الدين ويس وحتى سنة ١٣٥٨ تحديدا ، وكما سبقت الإشارة الى ذلك وبعد انتقال العاصمة الى تبريز (١٣٥٨-١٣٨٦) تراجعت أهمية بغداد ولم تعد لها أية سلطة إدارية على الولايات الأخرى بحكم ارتباطها بالعاصمة تبريز ، اذ كان السلطان يعين الحكم على جميع الولايات التابعة له[١].

ومع أن أسلوب الإدارة في العهد الجلائري اتبع نفس الأسس والأساليب التي كانت قائمة في العهد السابق إلا أنها هي الأخرى اتسمت بعدم الثبات تبعا للظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية للدولة . فعلى مدى طويل من حكم الجلائريين شاع أسلوب الإدارة بطريقة المقاطعة (الضمان) وبموجبه يفوض الديوان حكم الولايات أو المدن الى الضامن وعادة ما يكون صدر الديوان ، مقابل دفع مبلغ من المال وعادة ما يقوم الضامن باستحصال الضرائب في منطقته محتفظاً بالزيادة لنفسه ، على أن يقوم بتعيين عمال أو نواب عنه في المدن الواقعة في منطقة ضمانه ، وقد شاع هذا الشكل من أشكال الإدارة في الدولة الجلائرية منذ قيام الدولة ١٣٣٨ وحتى عودة السلطان احمد الجلائري اليها سنة ١٣٨٦ [٢].

أما الشكل الثاني من أشكال الإدارة فعرف بـ(امانت) وقد طبق هذا في العراق ابتداء من سنة ١٣٨٦ واستمر تطبيقه خلال الاجتياح التيموري للعراق واستغلال الكثيرين لحالة الفوضى التي عمت المدن العراقية فأعلنوا استقلالهم فيها، وصار نفوذ السلطان لا يتعدى المدن القريبة من بغداد ، لذلك لجأ السلاطين الجلائريين الى هذا الشكل من أشكال الإدارة وبموجبها كان

(١) العابد ، النظام الإداري من الاحتلال المغولي ، ص ١٢.

(٢) العاني ، العراق في العهد الجلائري ، ص ٥٧.

السـلطان الجلائري يعهد إلى أحد المقربين منه أو حكام الأطراف بحكم احد المناطق والمدن بشكل عهد أو أمانة ولمدة معينة وله راتب معين من الديوان على ان يكون المسؤول عن ضبط الأمن والنظام في منطقته وشـمل هذا النوع من الإدارة مدينة السـيب[١] والحلة ومندلي وبعقوبة وتكريت وارمي[٢] وغيرها وكان مع كل أمير عدد من الفرسـان[٣]. وفي كل مدينة ديوان خاص أو عدد من الموظفين يمثلون ديوان بغداد عرفوا باسـم الحكام أو المتصـرفين والعمال . اما السـلطة العسكرية في بغداد وبقية مدن العراق فكان على رأسها موظف يدعى (داروغة) ويعني الرئيس أو الحافظ ويساعده في أعماله الشحنة[٤].

المبحث الثالث

العراق تحت السيطرة القرة قوينلوية ١٤١١-١٤٦٨

- الأوضاع السياسية للعراق خلال فترة السيطرة القرة قوينلوية:

بسقوط بغداد على يد الشاه محمد بن قرة يوسف أصبح العراق جزءا من دولة عاصمتها تبريز عرفت بالتاريخ باسـم دولة (الخروف) الأسـود أو (البارانية) وهي عبارة عن مجموعة من القبائل التركمانية انضوت في (اتحاد قبلي) ، والتي نزحت من بلاد ما وراء النهر خراسان باتجاه الغرب ثم تابعت سـيرها إلى أذربيجان حيث اسـتقرت في ارزنكان وسـيواس والمناطق المحيطة ببحيرة وان[٥]. ومن هذه المناطق اخذوا يوسـعون مناطق نفوذهم في شـرق الأناضـول والجزيرة الفراتية فدخلوا في حالة صـراع مع جيرانهم من القبائل التركمانية ، وتحديدا الاق قوينلو من اجل الاستحواذ على الأملاك والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا.

---

(١) السيب ، منطقة من سواد الكوفة.

(٢) أرمي : قرية كبيرة من قرى بغداد.

(٣) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٤) العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٣٢٥.

(٥) العابد ، العراق بين الاحتلالين ، ص ٥٥٨.

تعاظم شـــأن هذه القبيلة أيام زعيمها بيرم خواجة، والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن تنامي قوة القرة قوينلو قد تزامنت مع انفجار الأوضـاع السياسية في شمال شرق العراق في عهد السلطان الجلائري معز الدين أويس (١٣٠٩-١٣٧٨) -والتي سبقت الإشارة إليها-. عندما أدرك بيرم خواجة أن الفرصــة أصـبحت مواتية لإظهار قوته ، فعرض خدماته على لسـلطان الجلائري فاستطاع الأخير بالمسـاعدة القرة قوينلوية إخضـاع الموصـل وسنجار مرة أخرى للحكم الجلائري سـنة ١٣٧٣ وفي السـنة التالية زحف مرة أخرى نحو الموصـل ثم أخذها بالأمان وتملك سـنجار منتهزا اضطراب الأمن في الدولة الجلائرية بعد وفاة السلطان معز الدين اويس[١].

ولم يكن أمام الســـلطان احمد الجلائري (١٣٨٢-١٤١٠) إلا الاعتراف بالأمر الواقع فاعترف بحكم بيرم خواجة للموصـــل وســـنجار على أن يأتمر بأوامره ومن ناحية أخرى فإن القرة قوينلو لم يعلنوا انفصالهم لإحساسهم بان الظروف السياسية المحلية تحول دون قيام كيان سياسي مسـتقل بهم . وفي سـنة ١٣٨٠ توفي بيرم خواجة فخلفه في رئاســة إمارة القرة قوينلو الأمير قرة محمد الذي اسـتمر في خدمة سـيده الجلائري، الذي أضـحى بأمس الحاجة الى مسـاعدة القرة قوينلو بسـبب تفاقم الأوضـاع السـياسـية من جهة وتطور الأحداث في بلاد ما وراء النهر بحيث بات الخطر التيموري يطرق حدود الدولة الجلائرية في الجهات الشـــرقية ، لقد دفع الأمير القرة قوينلوي قرة محمد حياته ثمنا لتبعيته للدولة الجلائرية إذ قتل في معركة جرت قرب تبريز بين القوات الجلائرية والتيمورية سنة ١٣٨٨ غير أن موقف خلفه قرة يوسف الذي استمر في مساندة الجلائريين حتى زوال خطر تيمورلنك سنة ١٤٠٥ [٢].

وعلى اثر موت تيمورلنك وانفراط عقد إمبراطورية وتفككها عاد قرة يوســف الى أذربيجان في الوقت الذي كانت الدولة الجلائرية تعاني من الانحلال والانحسار ، وجاءتها الضربة القاصمة على يد قرة يوســف عندما أوقع بالجيش الجلائري هزيمة كبرى قرب تبريز في ســـنة ١٤١٠

---

(١) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٣٤.

(٢) علي شـــاكر علي ، الموصـــل في عهد ســـيطرة دولتي الخروف الأســـود والخروف الأبيض ٨١٤-٩١٤هـ/١٤١١-١٥٠٨م ، موسوعة الموصل الحضـارية ، مج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصـل، ١٩٩٢) ، ص ٢٦٤.

واستولى مع ابنه شاه محمد على بغداد سنة ١٤١١ منهيا بذلك حقبة السيطرة الجلاترية للعراق، وهكذا قامت الدولة القرة قوينلوية في العراق.

لم ينل العراق ذلك الاهتمام من الشاه قرة يوسف حتى وفاته سنة ١٤٢٠، إلا أن بغداد أصبحت هدفا لقواته حينما امتنع ابنه شاه محمد عن تقديم الأموال إلى تبريز، فحاصرها الشاه قرة يوسف سنة ١٤١٨ واجبر ابنه شاه محمد على تقديم الأموال[١]. ويقول المؤرخ بن تغري بردي الذي كان قريبا من الأحداث بعد موت قرة يوسف سنة ١٤٢٠ " نسأل الله تعالى أن يلحق به من بقي من ذريته فانه وأولاده كانوا سببا لخراب بغداد وغيرها من مدن العراق..." [٢].

أحدثت وفاة قرة يوسف ارتباكا وفوضي واسعة شارك فيها أولاده قرة يوسف[٣] اذ أصبحت البلاد مسرحا للتطاحن للانفراد بحكم المدن ذات الأهمية الستراتيجية والاقتصادية لينتهي هذا الصراع بمقتل شاه محمد سنة ١٤٣٤ وبمقتله ما لبث أن حسم الصراع نهائيا لمصلحة أسبان بن قرة يوسف الذي ما لبث أن سيطر سنة ١٤٣٦ علي كركوك وأربيل والموصل وتلعفر وسنجار[٤]. ثم امتدت سيطرته حتى تمكن في سنة ١٤٤١ من احتلال الجزيرة وأطراف البصرة[٥].

وفي سنة ١٤٤٤ توفي أسبان فنصب أنصاره ولده الصغير فولاذ[٦]، وطمع أخوه السلطان جيهان شاه بالسلطة فقاد جيشه وحاصر بغداد سنة ٤٤٥ ام وقد استغرق الحصار ستة أشهر التي دخلها سنة ١٩٤٦ فتولى حكمها على التعاقب ولديه محمد ميرزا (١٤٤٧ - ١٤٤٩) وبيربوداق (١٤٤٩–١٤٦٧) إلا أن الأخير سرعان ما اختلف مع والده جيهان شاه بسبب جهوده

---

(١) الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٢٦.

(٢) العابد ، النظام الإداري من الاحتلال المغولي ، ص ١٤.

(٣) دخلت البلاد في لجة صراع اسري بين أولاد قرة يوسف الخمسة حول من سيخلفه في حكم الدولة القرة قوينلوية خاصة وان وريثه بيربوداق قد توفي سنة ١٤١٨. المقريزي ، السلوك ، ج٤ ، ق١، ص ٤٦٦.

(٤) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٦.

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ . ولإعطاء صورة تفصيلية عن الصراع الأسري الذي شهدته الدولة القرة قوينلوية. يراجع : قداوي ، العراق في القرن التاسع الهجري ، ص ١١٣–١١٩.

(٦) كان أسبان قد أوصى بالحكم من بعده لابن أخيه الوند إلا أن أنصاره سرعان ما تنكروا لهذه الوصية ، خوفا من استئثاره بالحكم ، لذلك اختاروا فولاذ بن أسبان حاكما لهم ، الغياثي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٩-٢٨٠.

لتوسيع دائرة نفوذه في إقليم فارس[1]. وكان موقف الشاه من هذه المحاولات سلبية الأمر الذي دفع بيربوداق إلى الانقطاع عن إرسال الأموال مدة ثلاث سنوات[2]. فما كان من جيهان شاه إلا أن سار إلى بغداد وحاصرها سنة ١٤٦٤، مدة تزيد على السنة اضطر فيها السكان إلى أكل الجيف ، كما تعرضت مدنها إلى خراب مدمر وأخيرا نجح جيهان شاه في دخول بغداد سنة ١٤٦٥ حيث أمر بإعدام ابنه وولي أمور بغداد الى بير محمد التواجي[3].

عمل جيهان شاه على استعادة نفوذه عندما تمكن من الاستحواذ على مناطق نفوذ التيموريين في بلاد إيران حتى حدود خراسان كما نجح في ضم جورجيا وأرمينيا ولم يبقى من القوى القادرة على تحديه غير الاق قوينلو في ديار بكر[4]. والعثمانيين في بلاد الأناضول والمماليك في بلاد الشام ومصر ، واذا كانت علاقاته قد تحسنت مع العثمانيين بسبب توافق مصالحهم في معاداة الاق قوينلو بزعامة حسن الطويل[5]، الا أنه فشل في كسب المماليك إلى

---

(١) ولأجل تقويم محاولات بيربوداق في فارس لابد من الإشارة إلى أن شاه رخ بن تيمورلنك حاكم الدولة التيمورية في هرات كان يدعم بقايا الأسرة الجلائرية التي ظلت تهيمن على أجزاء من وسط وجنوب العراق فضلا عن هجماته المتكررة على تبريز ، الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٣٧.

(٢) التفاصيل يراجع : الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣١٧-٣١٨؛ العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص١٧٣-١٧٥.

(٣) لقب بمعنى رئيس الخدم . للاستزادة حول محاولات جيهان شاه للهيمنة على حكم بغداد يراجع: الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٩-٣٣١.

(٤) قبائل تركمانية سميت ب (البايندرية) ، لانتسابها إلى بايندر احد أحفاد اوغوز البطل الأسطوري للأتراك ، نزحت من أواسط آسيا واستقرت فترة في أذربيجان ، وفي مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ، بدأت دائرة النفوذ الاق قوينلوي في الاتساع لتشمل ماردين وخربوت إضافة إلى ديار بكر ويعود الفضل في تأسيس هذه الإمارة الى (قرة عثمان بلوك) ، الذي يعد المؤسس الحقيقي للإمارة والذي تولى زعامتها (١٣٨٩-١٤١٥) كانت لهم تحالفات مع الدولة الصفوية ولم يعترفوا بزعامة السلطان العثماني للمسلمين، للتفاصيل يراجع : الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٢؛

Encyclopedia of Islam, (London, 1971), Vol. 3 P.315

(٥) كانت العلاقات بين الدولة العثمانية ودولة الاق قوينلو قد ساءت كثيرة في عهد السلطان حسن الطويل اس بسبب محاولاته التوسع على حساب العثمانيين في منطقة قرمانيا في جنوب غرب الأناضول أولا ووبسبب تحالفه مع إمارة طرابزون المسيحية ومصاهرته لحكامها ثانية ، فضلاً عن جهوده في تشكيل جسم جبهة ضد العثمانيين مع الطرابزويين والبنادقة و إزاء هذا الموقف لجأ العثمانيون إلى انتهاج السياسة و المياه ذاتها ولكن بأسلوب آخر وذلك بإيوائهم للأمراء الفارين منهم الأمير محمد اوغرلو سنة ١٤٧٤ والتي سيأتي الحديث عن محاولته لاحقا، إلا أن العلاقات الاق قونيلوية العثمانية طرأ عليها بعض التحسن في عهد

جانبه ضـد حسـن الطويل المتحالف مع المماليك ضـد العثمانيين ، ولم يبقى سـوى المواجهة العسكرية والتي اشتعل أوارها سنة ١٤٦٥ اثر تأزم العلاقة بين المماليك والاق قوينلو بسبب قيام حسن الطويل بمهاجمة بعض الأملاك العائدة للمماليك حلفاء القرة قونيلو.

تحركت" القطعات العسـكرية بقيادة جيهان شـاه نحو ديار بكر معقل القرة قوينلو حيث كانت المواجهة الحاسمة التي أنهت بمقتل جيهان شاه سنة ١٤٦٦ (١). والتي عدت بنظر البعض بداية النهاية لإمارة القرة قوينلو والتي انهارت نهائية سنة ١٤٦٩ (٢).

– إدارة العراق في فترة السيطرة القرة قوينلوية ١٤١١-١٤٦٨

لم يتخلص القرة قوينلو من نظمهم العشـائرية في إدارة الإمارة والولايات التابعة لها فقد بقي الحكم في نظرهم إرثا مشـتركا يتقاسـمه أبناء العائلة الحاكمة ولا يجوز لأحد غيرهم أن يشاركهم فيه(٣).

كان السلطان على رأس الهرم السلطوي الذي يقيم في العاصمة تبريز ، ساعده في الحكم أبنائه وبالتالي كان جميع حكام المدن العراقية من أبناء قرة يوسـف وأحفاده ، مما حتم عليهم الرجوع الى السلطان في كل أمر وقت السلم والحرب ، وكان سلاطين القرة قوينلو يعمدون الى تعيين أبنائهم وهم صـغار السـن حكاما على الولايات والمدن ليتعلموا ويمتلكوا خبرة في الإدارة والحكم فمثلا عين جهانشاه ابنه الصغير السن محمد علي واليا على بغداد سنة ١٤٤٦ وجعل تدبير المملكة بيد الأمير عبد الله " فكان هو الحاكم والمتولي ، وما كان لمحمدي غير الاسم."

السلطان الاق قوينلوي يعقوب والذي عاصر – السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٨) للتفاصيل ينظر : الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٤٣-٤٤.

(١) للاسـتزادة يراجع : قداوي ، العراق في القرن التاسـع الهجري ، ص ١٩٢-١٩٧ . وقد ارتأت الباحثة عدم الخوض في تفصيلات الصراع الدائر بين الحاكم القرة قوينلوي (جيهان شاه) والاق قوينلوي (حسن الطويل) وموقف القوى السياسية من تيموريين و عثمانيين ومماليك لبعد ذلك عن موضوع الدراسة.

(٢) دخلت الدولة القرة قوينلوية بعد مقتل جيهان شاه في لجة صراع اسري للسيطرة على مقاليد الحكم ففي الوقت الذي وقع اختيار الأمراء القرة قوينلويين على حسن علي بن جيهان شاه قدمت بيكم خاتون زوجة جيهان شاه مرشحها وهو حسين علي بن اسكندر بن قرة يوسف . قداوي ، تاريخ العراق ، ص ١٦٩.

(٣) ولمزيد من التفاصيل حول طبيعة التشكيلات الإدارية للمدن العراقية خلال فترة السيطرة القرة قوينلوية يراجع: المصدر نفسه، ص ١٩٠-١٧٢.

اما بالنســبة للتقسـيمات الإدارية فالمعلومات المتوفرة تشــير إلى توحيد العراق بولاياته الثلاث تحت إدارة واحدة هي إدارة الشاه محمد والذي مد نفوذه إلى شمال العراق بما فيه شهرزور ونصب ابنه شاه علي حاكما على الموصل وأربيل ، وفي أواخر عهد أسبان كانت صورة العراق الأوحد أكثر وضوحا فقد امتدت مناطق نفوذه من سنجار وتل عفر والموصل وأربيل شمالا وعلى الحويزة وأطراف البصرة جنوبا.

مع ذلك لم يول الحكام الجدد للعراق أي اهتمام والذي تحول إلى ســاحة للغزوات الموسـمية والحروب الأهلية بين الأمراء . وعبر عن حالة العراق في هذا العهد المؤرخ ابن تغري بردي بقوله عند وفاة قرة يوسف " نسأل الله تعالى أن يلحق من بقي من ذريته ، فانه وأولاده كانوا سببا لخراب بغداد وغيرها ... وهم شر عصبة لا زالت الفتن في أيامهم ثائرة والحروب قائمة إلى يومنا هذا ..." [١].

- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للاحتلال القرة قوينلوي للعراق:

ألحقت الصراعات السياسية لحكام القرة قوينلو بالمدن العراقية الكثير من الخراب والدمار والفوضــى والشـقاء. ولا يحتاج المتتبع للمصــادر العراقية الى عناء كبير في تشـخيص مظاهر الانحلال السـياسـي وفي مقدمتها نهب المدن وتخريبها وانتشـار الأمراض والأوبئة فضـلاً عن تخريب الأراضــي الزراعية وتقلص مسـاحتها، ومما زاد في سـوء الأوضــاع الكوارث الطبيعية كالفيضانات وموجات الجفاف والثلوج لتزيد من سوء الأوضاع الاقتصادية السكان هذه المدن.

كانت بغداد وبوصـفها مركز الولاية أكثر المدن العراقية تضـررا على يد هؤلاء الغزاة ففي أثناء حصـار الشـاه محمد لها سـنة ١٤١٠ "حصـد السـيف خلقا كثيرا من أهلها وبعد دخوله فيها سنة ١٤١١ أجاز لعسكره نهبها ليوم كامل وفي سنة ١٤١٧ صـادر سكانها بعد ان استولى على أوقافها"[٢].

واذا ما انتقلنا إلى باقي المدن العراقية نجد أن هذه المدن قد أصــابها ما أصــاب ببغداد، وقد أشـادت المصـادر إلى تعرض أربيل والموصـل للنهب والاسـتباحة ففي سـنة ١٤٥٣ حاصـر

---

(١) نقلاً عن: العابد ، النظام الإداري من الاحتلال المغولي ، ص ١٤.

(٢) نقلاً عن: قداوي ، تاريخ العراق ، ص ١٥٣ – ١٥٤.

أسبان مدينة أربيل واستمر الحصار أكثر من سنة وعندما عجز عن اقتحامها عمد إلى تسميم آبار الشرب في قلعتها فأعلنت المدينة الاستسلام غير أن هذا لم يمنع الغزاة من نهبها ، بعد ان حولوا بيوتها إلى أخربة ، توجه أسبان الى الموصل ، فنزح بعض سكانها خوفا من تعرضهم للمرض[١].

وشهدت باقي المدن العراقية كالحلة وواسط والنجف وكربلاء والمدائن وبعقوبة ومهرود عمليات القتل والنهب والتجويع ، كما تدهورت الأوضاع الاقتصادية بدرجة لم يسبق لها مثيل بسبب سوء تصرف الحكام القرة قوينلويين تجاه الأرض ولعل أبرز مظهر لهذا التصرف التعسفي هو شيوع إقطاع الاستغلال (اولكة) والذي شمل مدنا بأكملها فقد كانت كركوك وأربيل وداقوق إقطاعات استغلال لأبناء الحكام والأمراء المتنفذين في الدولة[٢].

وبقدر تعلق الأمر بالأمراض والأوبئة، فقد ارتبط انتشارها بحوادث حصار المدن في العراق وكثرة المستنقعات ومن أكثر الأمراض انتشار ، مرض الطاعون ، وقد ميزت المصادر التاريخية سنوات معينة داهم فيها المرض العراق ففي سنة ١٤١٦ زحف الطاعون من بلاد فارس إلى الموصل والجزيرة وبغداد[٣]، كما تكرر انتشاره في سنوات ١٤٢٤، ١٤٢٥ ، ١٤٣٩، ١٤٥٥، وفي سنة ١٤٧٠ أصيبت به بغداد ثم انتقل الى تكريت وشهرزور وأربيل والموصل[٤].

اما المجاعات والتي كثيرا ما تزامنت حدوثها مع حصار المدن وسنوات القحط وانتشار الأوبئة والأمراض والزلازل[٥]. ويمكن الإشارة الى سنوات ١٤١٤، ١٤٣٦، ١٤٣١، ١٤٥٦، بانها سنوات قحط ومجاعة لعموم المدن العراقية[٦].

---

(١) علي ، الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض ، ٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ٢٦٧.

(٣) العمري، الدر المكنون، ص ٨٥٠؛ العزاوي ، المصدر السابق ، مج ٣ ، ص ٤٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٩ ، ١١٢، ١٥١ ، ٢٤٥.

(٥) في سنة ٤٥٦ ام ضرب زلزال كبير عدد من المدن العراقية (بغداد ، البصرة ، الكوفة).

(٦) العزاوي ، المصدر السابق ، م ٣ ، ص ٤٣ ، ص ١٠٤-١٠٥.

- موقف القوى العربية المحلية من الأوضاع السياسية في العراق حتى سنة ١٤٦٨:

١- آل فضل:

وهي أكبر بطون قبيلة آل ربيعة كانت منازلهم في حوران من أعمال دمشق ومنها وسعوا مناطق نفوذهم لتمتد من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة اخذين شرقي الفرات وأطراف العراق اخذين يسارا إلى البصرة ومن هذا الامتداد الجغرافي الذي يتحكم بطرق المواصلات التي تربط العراق ببلاد الشام بدأ آل فضل في مقاومة المغول ، فقد كانوا قوة الصد الأولى أمام غارات المغول المتكررة على بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي ، كما انهم اشتركوا مع الجيش المملوكي في العمليات التي استهدفت تحرير العراق[١].

كانت العلاقة بين آل فضل والجلائريين قد تحددت على الشكل التالي اذ التزم ال فضل جانب الجلائريين حلفاء المماليك في هذا الصراع واشتركوا معهم في استرداد بغداد وطرد التيموريين منها سنة ١٣٩٣[٢]. اما بالنسبة لعلاقتهم مع القرة قوينلو ، فقد تحددت تلك العلاقة بعد أن أنقلب قرة يوسف على حليفه السلطان احمد الجلائري وانتزع بغداد سنة ١٤٠٢ الأمر الذي دفع آل فضل حلفاء السلطان احمد الجلائري إلى عدم الترحيب بقرة يوسف حين هرب من بغداد اليهم بعد انكساره على يد التيموريين سنة ١٤٠٣ وتعرضوا له ونهبوا ممتلكاته[٣] . فكان ذلك بداية الصراع بين القرة قوينلو وآل فضل فكان ذلك بداية لسلسلة من الهجمات ابتدائها قرة يوسف سنة ١٤٠٤ ليستمر هذا الصراع حتى سنة ١٤٣٠. ففي سنة ١٤٢١ هاجم عذرا بن علي بن نعير الحلة وتمكن من السيطرة عليها وعين فيها نائبة يمثله في حكمها وبذلك آخر احتلال القرة قوينلو لها عشر سنوات[٤]. وبعد مقتله تولى أمور المشيخة أخوه مدلج[٥]، الذي شن ستة

---

(١) علي ، إمارة آل فضل ، المصدر السابق ؛ محمد ، المصدر السابق، ص ٤٢-٤٣.

(٢) للتفاصيل حول الدور الذي اضطلع به أمراء هذه الإمارة في صد الهجمات التيمورية على العراق، حسين ، المصدر السابق ، ص ١٤١-١٤٥ ، ص ٢٤٩-٢٥١ ، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣) المقريزي ، السلوك ، ج٣، ق٣، ص ١١١٨.

(٤) طارق نافع الحمداني ، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٩ ، ص ١٢.

(٥) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٨١٤.

هجمات ضد مراكز القرة قوينلو ولم تتوقف تلك الهجمات الا في سنة ١٩٢٩ حينما نشب صراع عشائري داخل إمارة آل فضل ، وانتهى بمقتل الشيخ مدلج على يد ابن عمه (قرقماس) (١) الذي استعان على ما يبدو بالقرة قوينلو لتثبيت سلطته على أبناء إمارته(٢).

ونظرا لتفاقم الصراع الأسري بين أمراء القرة قوينلو فقد لعب شيوخ إمارة آل فضل دورا جديدا في المرحلة اللاحقة فقد ساندوا بعض أمراء القرة قوينلو ضد منافسيهم الآخرين فعلى اثر تفاقم الصراع بين شاه محمد وشقيقه أسبان ساند الشيخ حارث بن عذرا بن حديثة الطائي الشاه محمد وأمده بالخيل والعسكر فشكل حكومة مستقلة واستعاد السيطرة على الموصل وأربيل سنة ١٤٣٢، فكافأه الشاه محمد بأن أعطاه الموصل(٣)، وبذلك يكون آل فضل قد وسعوا مناطق نفوذهم الى مناطق تقع أصلا ضمن النفوذ السياسي للقرة قوينلو. .

وبعد هذا التاريخ دخلت هذه الإمارة في خضم صراع اسري في عهد أسرهم فضل بن عليان حيث نشب خلاف بينه وبين إخوته أدى إلى لجوء بعضهم الى المشعشعيين مما أتاح القوة الأخيرة التدخل في شؤون إمارة آل فضل وإضعاف دورها في مقاومة المحتلين والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا.

٢ -الإمارة المشعشعية:

ينسب المشعشعيون إلى مؤسس امارتهم محمد بن فلاح المشعشعي ويقول البعض أن هذه التسمية لصقت بمحمد بن فلاح لأنه كان يتشعشع عندما يقوم بأعمال خارقة(٤). وقد اظهر

---

(١) العزاوي، المصدر السابق ، ص ٨٣.

(٢) علي ، " العراق والغزو القرة قوينلوي " ، ص ٦٢.

(٣) أناط الشاه محمد حكم أربيل لميرزا علي ، وحكم كركوك وداقوق لأحد قواده المسمى علي اتابك ، علي ، الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض ، ص ٢٦٥؛ العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٩١.

(٤) ولد في واسط سنة ١٩٠٢ ، وتلقى فيها مبادئ العلوم ، ومنها انتقل إلى الحلة حيث أكمل تحصيله الدراسي بمدرسة الشيخ احمد بن فهد الحلي ، تولى زعامة الإمارة للفترة ١٤١١-١٤٦١ . للتفاصيل يراجع : علي نعمة الحلو ، الاحواز و عربستان في أدوارها التاريخية (بغداد ، ١٩٦٩) ، ص ١٤٧.

محمد بن فلاح منذ شبابه طموحا للزعامة والإمارة[١]. حتى استقر به المقام في جنوب العراق ، حيث أخذ يتصل بالقبائل العربية وقد التف حول لواء هذه الإمارة عدد من القبائل العربية منها قبيلة عبادة[٢] وبني ليث وبني حطيط[٣] وبني سعد وبني أسد ، كما انضمت اليه قبيلة نيس الدوب – وتسمى المعادي ايضا – الواقعة على نهر دجلة والقريبة من الحويزة[٤].

وقد أشارت المصادر التاريخية أن محمد بن فلاح قام بمهاجمة الحويزة سنة ١٤٤١ ضد حاكمها التيموري الذي اضطر إلى تركها[٥] حيث أصبحت مركزا ومقرا للإمارة الجديدة لكونها منطقة مستنقعات واسعة صعبة المنال لمن يريد التوغل فيها . ومنها بدأ محمد بن فلاح في التوسع على حساب المناطق المجاورة مما جعله في حكم المواجهة مع حكام القرة قوينلو تلك المواجهة التي اتخذت لها أبعاد عدة سياسية وعسكرية فكرية تمثلت الأبعاد السياسية برغبة الطرفين في السيطرة على وسط وجنوب العراق، اما المواجهة الفكرية فتمثلت برد فعل الحاكم القرة قوينلوي (أسبان) على المشعشعيين الذين كانوا قد اتخذوا التشييع شعارا لهم من أجل إضفاء طابع روحي على حركتهم وأتباعهم في محاولة لكسب سكان وسط وجنوب العراق بحركته ومن الجدير بالذكر أن النجاح الذي حققه محمد بن فلاح لا يعزى إلى العامل الديني فقط وإنما الى حالة التشرذم التي كان عليها السكان وحاجتهم إلى رجل قوي ينقذهم فوجدوا في محمد بن فلاح خير من يقوم بهذه المهمة لاسيما وانه عربي منهم[٦].

بدأ محمد بن فلاح بشن سلسلة من الهجمات على مناطق وسط وجنوب العراق مستغلاً حالة الفوضى التي شهدتها حكومة بغداد على اثر وفاة حاكمها أسبان سنة ١٤٤٤ فدانت له البصرة والرماحية وجهات المجر والغراف بالولاء فضلا عن توسعاته في الأحواز[٧].

---

(١) محمد هليل الجابري ، إمارة المشعشعيين، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ١٩٧٣)، ص٣٦.

(٢) وتسكن المنتفق وهم من قبائل الأجود ، ومنها من يقيم في الناصرية بجوار المحاويل وفي كربلاء وكذلك في البصرة ، العزاوي ، المصدر السابق ، مج٢ ، ص ١٢١.

(٣) وتسكن أطراف المحمرة ويدعون البو حطيط ، المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٨؛ الحلو ، المصدر السابق ، ص ١٥١.

(٥) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ١١٨.

(٦) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ١١١.

(٧) الحلو ، المصدر السابق ، ص ١٥٩؛ العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ١١٨-١٢١.

كانت المحطة التالية واسط التي سيطر عليها سنة ١٤٥٣ وعين عليها أحد أعوانه ويدعى دراج ومن واسط هاجم مدينة النجف ومنها هاجم الحلة فانتزعها سنة ١٤٥٤ ، وقد اضطرت حكومة بغداد القرة قوينلوية إلى إرسال حملة عسكرية مكونة من عساكر بغداد تحت قيادة دوبك بك وعساكر الحلة بقيادة بسطام بك (الشحنة)، لكن الأمير تمكن من إلحاق الهزيمة بهذه الحملة وهروبها إلى بغداد وقد واصل الأمير ملاحقتهم إلى الحلة والتي أمر بتخريبها وإحراقها ثم توجه إلى النجف ثانية ومنها الى كربلاء التي جعلها مستباحة[١].

ويلاحظ أن هجمات المشعشعيين لم تكن بقصد الاستقرار في المدن التي دخلوها باستثناء واسط ، وانما كان هدفهم هو حرمان القرة قوينلو من موارد تلك المدن لإضعافهم ومن ثم الإجهاز عليهم ، أما السبب الثاني فان المشعشعيين لم تكن لديهم قوات كافية لحماية تلك المدن التي سيطروا عليها ، كما انهم كانوا بحاجة الى قوة كبيرة جاهزة ليس لمواجهة القرة قوينلو فحسب بل التيموريين الذين كانت لهم أطماع في الأحواز لاسيما الحويزة التي كان المشعشعيون قد انتزعوها منهم مع ذلك نجد أن معظم مدن وسط وجنوب العراق بقيت خارج النفوذ القرة قوينلوي وهذا يعني من الناحية النظرية بقاء هذه المناطق ضمن دائرة نفوذ المشعشعيين [٢].

هيأت سيادة الفوضى والاضطرابات في العراق إلى تكرار هجمات الأمير علي بن فلاح المشعشعي على بقية المدن العراقية مثل بعقوبة والمدائن دون أن يحرك الحكام القرة قوينلويين ساكنا ، وفي سنة ١٤٦١ توفي محمد بن فلاح المشعشعي فخلفه ابنه محسن بن فلاح[٣]، وقد أضحت الإمارة المشعشعية راسخة القواعد قوية البنيان واسعة النفوذ وعرضت بعض المصادر حدود هذه الإمارة فقالت أن ملكه " امتد في بلاد العرب إلى سور بغداد وملك البصرة وشط بني تميم وامتدت أملاكه في عبادان والاحساء والقطيف ثم الدورة وسواحل الخليج العربي مرورا ببندر عباس والى حدود فارس ثم كوة قيلوية ودهدشت ورامهرمز ثم شوشتر وبشتكوه وكرمنشاه وسميرا

(١) الغياثي، المصدر السابق، ص ٣٠٩-٣١٠؛ العزاوي، المصدر السابق ، مج٣، ص ص ١٤٨-١٤٩.
(٢) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ١١٥.
(٣) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ١٦٥.

وبهبهان بالإضـــــافة الى مناطق البختيارية وأكراد لورســـــتان الفيلية وبيات وغيرها من المناطق المتاخمة لها [١].

وبذلك يكون المشعشعيون كأقرانهم (آل فضل) قد ساهموا في تحجيم النفوذ القرة قوينلوي في العراق وجعله قاصــراً على بعض مدنه وتحديدا المدن الواقعة إلى الشــمال منها شــرقي نهر دجلة.

المبحث الرابع

الاحتلال الاق قوينلوي للعراق : ١٤٦٨–١٥٠٨ :

– الأوضاع السياسية للعراق خلال فترة السيطرة الاق قوينلوية:

اســتغل الحاكم الاق قوينلوي (حســن الطويل) حالة الصــراع على الســلطة والتي كانت تشـهدها البلاد فحرك قسـم من قطعاته بقيادة خليل أغا التواجي لاحتلال العراق ، بعد أن كان قد مهد لذلك برســائل لبعض حكام المدن العراقية فاســتجاب له حكام بعض قلاع الأكراد كما تمكن خليل أغا من السيطرة على مدن العراق الشمالي (الموصل ، اربيل ، سنجار) بعد ان نظم الحكم فيها بتعيين حكام عليها[٢]. كما أرسل الشهرزادة محمد بيك مع (٢٠٠٠) مقاتل إلى جهات العراق الشمالية الغربية حيث فرضت السيطرة عليها ، فيما فشلت القوات الاق قوينلوية في السيطرة على العمادية وتوابعها والتي كانت بحكم من قبل إمارة بهدينان[٣].

اما الحاكم القرة قوينلوي الجديد حســــن علي فقد بدأ يعمل على بســـط نفوذه على باقي الولايات التي سـبق أن كانت خاضــعة لحكم والده جيهان شـاه ومنها أذربيجان بما فيها العاصـمة تبريز ، ثم بدأ في اســتكمال جهوده للســيطرة على باقي الولايات التي كانت خاضــعة لحكم والده ومنها بغداد حيث حاول استمالة حاكمها القرة قوينلوي بير محمد التواجي الذي بعث له خزانة من المال كان قد اسـتولى عليها في أثناء دخوله تبريز . إلا أن حكم حاكم بغداد لم يسـتمر طويلا إذ

---

(١) الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٣٦ ؛ الحلو ، المصدر السابق ، ص ١٦٦–١٦٧.

(٢) بغية إعطاء صـورة تفصـيلية عن موقف المدن العراقية من التحدي الاق قوينلوي يراجع: الغياثي ، المصـدر السابق ، ص ٣٢٩–٣٣١.

(٣) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ١٩٥.

توفي سنة ١٤٦٩ بعد أن أوصى الحكم من بعده للأمير حسن علي بن زينل[١] الذي لم يستمر في حكم بغداد هو الآخر سوى بضعة أشهر حيث توفي سنة ١٤٦٩.

اما بالنسبة لموقف الدولة القرة قوينلوية من الدور المتنامي لحسن الطويل – وكما سبقت الإشارة إلى ذلك – والذي تمثل بانهيار المقاومة القرة قوينلوية عند أول مواجهة سنة ١٤٦٨ والتي أنتهت بوقوع حسن علي في الأسر والذي اثر الانتحار سنة ١٤٦٨. [٢]

وبانهيار الحكم القرة قوينلوي في أذربيجان وإيران لم يبق للنفوذ القرة قوينلوي مناطق نفوذ سوى بغداد التي أنيطت أمور إدارتها بعد مقتل حاكمها الى شاه منصور بن زينل الذي وصفه الغياثي " بأنه كان ظالما غشوما جاء قد ذهب ضحية نزواته أكابر العسكر والناس الأبرياء "[٣] وأمام حاكم بهذه الشاكلة لم يبدي سكان بغداد أية مقاومة ضد القوات الاق قوينلوية التي كانت تتحرك بقيادة خليل أغا مقصود بن حسن الطويل لاحتلالها والذي أعلن إسلامه ، ودخل العسكر – الاق قوينلوي – بغداد ومعهم شاه منصور وبعد مرور سبعة أو ثمانية أيام على احتلال بغداد جرت محاكمة شاه منصور والذي أدين بقتل عدد كبير من الرعية في أثناء فترة حكمه ، فأدانه القضاء وحكم عليه بالموت هو وعدد من أعوانه وبمقتل شاه منصور انتهى الحكم القرة قوينلوي نهائيا في العراق [٤].

بعد ان احكم حسن الطويل سيطرته على جميع الولايات التي كانت تابعة للقرة قوينلو ، أصبحت تبريز عاصمة السلطان الاق قوينلو وأصبح العراق ولاية تدار من هذه العاصمة كما كان في عهد القرة قوينلو [٥].

لم يشهد العراق خلال هذه الفترة أية اضطرابات باستثناء التمرد الذي قام به ابن السلطان حسن الطويل ويدعى اوغرلو محمد سنة ١٤٧٤ وبتأييد من مقصود بيك للسيطرة على بغداد، إلا أن هذا التمرد فشل وبجهود من خليل بيك الذي كان هو الآخر احد الطامعين بحكم بغداد[٦]، مما

---

(١) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ١٥١.

(٢) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٣٤.

(٤) قداوي ، العراق في القرن التاسع الهجري ، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٥) الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٣٧.

(٦) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٢٤٤ ، ص ٢٤٦.

أثار سخط السلطان الطويل الذي بادر الى إجراء تغييرات مهمة في إدارة بغداد في أعقاب القضاء على التمرد شملت جميع الأمراء المتواطئين مع الأمير اوغرلو والمؤيدين له وعلى رأسهم مقصود بيك وخليل بيك(١). والذي عزل عن حكم بغداد وعين محله شاه علي الذي استمر في حكم بغداد ثلاث سنين(٢) ليعزل ويعين من بعده حاكم جديد يدعى إبراهيم الوزير ، إلا أنه لم يستمر طويلا إذ سرعان ما عزل في السنة ذاتها ليعين حاكم جديد لبغداد وهو الأمير شيخ حسن(٣). والذي تزامنت فترة حكمه لبغداد مع وفاة السلطان حسن الطويل سنة ١٦٧٧ وما رافق ذلك من صراع اسري بين أولاد السلطان حسين الطويل الخمسة لينتهي هذا الصراع بتولي ابنه خليل مقاليد السلطة(٤).

وفي غضون ذلك دخل المشعشعيون طرفا في تلك الصراعات عندما أرسل محسن بن فلاح نائبه على الرماحية إلى الحلة بحجة تعقب جماعة كانوا قد فروا منه وصاحب ذلك أعمال قتل ونهب للسكان وتحديدا قبيلتي آل جحيش(٥) وآل جوذر(٦) ثم قفل راجعاً ، ليعد نفسه للهجوم آخر مستهدفة ديالى والخالص وعدد من النواحي الواقعة في أطراف بغداد(٧)، ويبدو آن عدم تصدي الشيخ حسن للمشعشعيين كانت أحد أسباب قيام السلطان خليل الذي عزله وعين بدلا منه حاكما جديدا هو كلابي الذي وصلها في ربيع الأول ١٤٧٨ (٨).

عاود محسن بن فلاح هجماته في السنة ذاتها لاسيما أطراف بغداد وتجاوزها شمالا إلى ديالى والخالص ورافق هذه الهجمات أعمال القتل والنهب كما اسر العديد من سُكان هذه المناطق ثم عاد أدراجه بعد ثمانية أيام ، أما عن موقف حاكم بغداد كلابي فانه قرر مغادرة بغداد طلبا للنجاة عندما بلغه وصول المشعشعيون ، لكنه عاد وعلى جناح السرعة بعد انسحاب المشعشعيين

---

(١) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٨-٢٨٩ ؛ الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٣٧- ٣٨.

(٢) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٢٥٧.

(٣) الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٣٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢.

(٥) إحدى قبائل زبيد في انحاء الحلة.

(٦) إحدى قبائل الجبور وتمتد ديرتها من أطراف الحلة حتى الديوانية. الجابري ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

(٧) البدليسي ، المصدر السابق، ج ١ ، ص ٤١٦.

(٨) لم يدم حكم السلطان خليل سوى ثمانية أشهر ، اذ لقي مصرعه على يد أخيه يعقوب الذي تقلد مقاليد السلطة من بعده . البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٠٨.

مظهرا سخطه على بعض الأشخاص متهما إياهم بالتعاون مع المشعشعيين حيث أمر بإعدام حاجي ناصر القتباني وأولاده بحجة تعاونهم مع المشعشعيين على أن إجراءات حاكم بغداد المذكور لم تنقذه من سخط ولاة الأمور في تبريز وتحديدا السلطان يعقوب الذي تولى أمور السلطنة في ربيع الثاني سنة ١٤٧٩ (١). عندما أصدر أوامره بعزل كلابي عن حكم بغداد محملا إياه مسؤولية الفوضى التي ضربت أطنابها في بغداد وأطرافها(٢).

لم تنقطع هجمات المشعشعيين على الأراضي والمناطق القريبة من مراكزهم ، وحسما الموقف بدأ السلطان يعقوب بمباشرة الاستعدادات العسكرية التجريد حملة سنة ١٤٨٤ الى الإمارة المشعشعية ويظهر أن هذه الحملة جاءت بنتائج مرضية للسلطان يعقوب(٣)، فقد بادر محسن المشعشعي بإرسال وفد للمفاوضة برئاسة ابنه مبديا رغبة والده من أجل تخطيط الحدود بين الدولتين معربا عن نية والده الوصول إلى الرماحية والحلة فقط (٤).

وبوفاة السلطان يعقوب سنة ١٤٩٠ (٥) تجددت الاضطرابات ، وكثرت الحروب الأهلية بين مختلف الطامعين من السلالة الحاكمة ، وأدى ذلك إلى تفكك سلطة الاق قوينلو ، وأصبح العراق إقليمياً مهماً من دولة مجزأة يتنافس فيها الطامعون لفرض سيطرتهم بالسيف تارة والقتل تارة أخرى ، فقد خلف يعقوب ابنه بايسنقر وهو فتى في العاشرة من عمره(٦)، فطمع الأمير رستم بن مقصود بالعرش وبالتالي قصد تبرير سنة ١٤٩١ وأعلن تسلطه فيها وجاءته الوفود من العراق وفارس وباقي الولايات لتقديم الهدايا وفروض الطاعة(٧).

وتتابعت حركات التمرد والعصيان ولم تنته إلا بعد أن تمكن الأمير أحمد أحد أحفاد حسن الطويل من دحره وقتله سنة ١٤٩٦. وأعلن احمد نفسه سلطاناً لكن حكمه لم يدم أكثر من

---

(١) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣٨٦؛ الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٣٩.

(٣) الجابري ، المصدر السابق ، ص ٧٧.

(٤) كانت الإمارة المشعشعية تواجه تحديات داخلية وخارجية قادت محسن بن فلاح الى الدخول في المفاوضات مع السلطان القرة قونيلوي والتي وضعت حدا لهجمات الأمراء المشعشعيين على المدن العراقية وطوال فترة السيطرة القرة قوينلوية للعراق التفاصيل يراجع : الجابري ، المصدر السابق ، ص ٧٧.

(٥) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ١١٤.

(٦) العزاوي ، المصدر السابق ، م ٣ ، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٧) نظمي زادة ، المصدر السابق ، ص ١٧٨.

ســتة أشــهر قتل في نهايتها على يد بعض أمرائه ســنة ١٤٩٧ [١]. وأعلن ثلاثة من الأمراء في وقت واحد أنفســهم ســلاطين وهم كل من الأمير مراد بن يعقوب في شــيروان ، والأمير الوند بن يوسـف في أذربيجان وأخوه محمدي في يزد . اما العراق فقد اشـتدت المنافسـة عليه بين مراد بن يعقوب ومحمدي اللذين دخلا في مواجهة عسكرية أسفرت عن مقتل محمدي واستيلاء مراد على العراق[٢].

- الأوضـــاع الاقتصـــادية للعراق خلال فترة الســيطرة الاق قوينلوية ١٤٦٨ - ١٥٠٨:

تحاول الكثير من المصـادر والمراجع إضـفاء صـورة ايجابية نوعا ما على أوضـاع الدولة الاق قوينلويـة خلال هـذه الفترة معللـة أســـبـاب ذلـك إلى مجموعـة القوانين الإداريـة والمـاليـة والاجتماعية التي أصـدرها بعض حكام هذه الدولة وعلى وجه الخصـوص السلطان حسن الطويل الذي أصدر ما يعرف بـ(قانون نامة) أو ما يعرف بـ(دستور حسن بيك) [٣]. والذي طبق حسب ما جاء في رواية البدليســـي[٤] في العراق وفارس وأذربيجان[٥]. وقد أشـــار الغياثي الى ذلك بقوله " كتب قانون نامة في الشــكاوي والتخاصـــم الذي يقع بين ما يوجبه على كل شـــيء من التعزيز والتجريم وغير ذلك فأرســـلها إلى بلاده ... ولم يغادر من أمور العدل شـــيئا يقدر عليه إلا

---

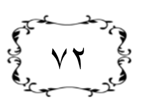
(١) البدليسـي ، المصـدر السـابق ، ج ٣ ، ص ١١٤-١١٥؛ العزاوي ، المصـدر السـابق ، مج٣، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٢) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ١٦٠.

(٣) الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣٩١.

(٤) ادريس بن حســـام الدين علي البدليســـي (١٤٥٢-١٥٢٩) ولد في بدليس، بدأ حياته كاتباً للســـلطان الاق قوينلوي يعقوب بن أوزون حسـن، تمكن من الوصـول إلى البلاد العثماني، اعجب به السـلطان سـليم الاول واستصـحبه معه في حربه ضـد الشاه اسماعيل وتذكر المصـادر انه قدم معلومات للسلطان سليم الاول عن شـمال العراق وجنوب شـرق الاناضـول. له عدد من المؤلفات منها "تاريخ البدليسـي" وهو كتاب في التاريخ وكتاب "سليم نامه" كما ترجم كتاب حياة الحيوان للدميري عن التركية. للمزيد يراجع: عبد الفتاح علي يحيى، "ادريس البدلسي دوره وأثره في التاريخ الكردي"، مجلة كاروان، ع ٢٦، (اربيل، ١٩٨٤)؛ كمال مظهر احمد، كركوك وتوابعها حكم التاريخ والضـمير دراسـة وثائقية عن القضـية الكردية في العراق، ج١، مطبعة رينوين، (د.م)، (د.ت)، ص ٢٨.

(٥) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٧-١٠٨.



وفعله"[١]، كما أصدر قانونا جديدا أراد بموجبه " أن يبطل التمغا من أصلها في جميع بلاده ، فلم يوافقه أمراؤه فجعلها درهما على النصـــف واقل مما يأخذه الســـلاطين قبله... وأطلق خارج المال الذي كانوا يأخذونه من جميع بلاده الضرائب "... وكان يحب العلماء والأدباء وتعامل أهل البلاد والمفتوحة بالرأفة والعدل..." [٢].

واســـتكمالاً لإجراءات الســـلطان حســـن حاول الســـلطان يعقوب حذوا حذو أبيه في هذا المجال والذي استند في برنامجه الإصلاحي إلى شخصيتين بارزتين هما القاضي مسيح الدين عيسى الساوي والذي اسند اليه منصب الصدارة (الوزير الأعظم) والذي شخص أسباب تدهور واقع الأراضي الزراعية في عموم الدولة بمشكلة – ضريبة التمغا –- ولمعالجة هذا الواقع دعى إلى إعفاء الرعية من هذه الضريبة فاستجاب له السلطان يعقوب[٣].

اما الشخصية الثانية التي اسند اليها السلطان يعقوب إصلاح الواقع الزراعي فكان الوزير والمشرف على الديوان شرف الدين محمد الدليمي وساعده نائبه وشقيقه أمام الدين شيخ علي والذي تولى ضـــبط النظام الضـــريبي وإلغاء جميع الضـــرائب التي لا تتوافق مع أحكام الشـــرع الإسلامي حيث كانت الخطوة لتحقيق هذه الغاية هو إجراء مسح عام للأراضي وتدقيقها[٤].

وعلى الرغم من النجاحات التي حققها البدليســـــي في هذا المجال إلا أن إجراءاته تلك كانت سببا في معارضة كثير من كبار الملاكين والذين استمروا في حبك الدسائس والمكائد لينهي هذا المشروع الإصلاحي بعزل الدليمي وإعدام نائبه سنة ١٤٩١ [٥].

وقدر تعلق الأمر بالأوضاع الاقتصادية فقد استمر الاق قوينلو في توزيع الأراضي على أتباعهم لاسيما في عهد السلطان حسن الطويل وابنه السلطان يعقوب فكان أراضي اردستان من أعمال إقليم الجبل وقفا لأعمال البر السلطانية مستهدفين بإجراءاتهم تلك كسب علماء الدين إلى

---

(١) نقلاً عن: الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤.

(٢) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٢٦٠.

(٣) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٢٨٣ ؛ قداوي ، العراق في القرن التاسع الهجري ، ص ٢٦٦.

(٤) قداوي ، المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

(٥) المصدر نفسه . ومن الجدير بالذكر أن أصناف الأراضي في هذه الفترة بقيت هي الأصناف الشائعة خلال الفترات السابقة باستثناء تغيير بعض التسميات فأراضي الخليفة أطلق عليها خلال هذه الفترة تسمية أراضي الخاصات ثم الأراضي الديوانية ، وأراضي الأوقاف ، والملكيات الفردية.

جانبهم ، وتحقيقا للغاية نفسها لجأ عدد من حكام الدولة القرة قوينلوية – ومنهم حسن الطويل والسلطان يعقوب وابنه رستم إلى إقطاع رجال الدين أقطاعات واسعة من نوع السيورغال في سابقة لم يقدم عليها أي من حكام العهود السابقة وما رافق ذلك من انعكاسات سلبية على مالية الدولة عندما أعفي هذه الفئة من أية التزامات مالية للدولة(١). فيما أشارت مصادر أخرى إلى قيام بعض الأشخاص بشراء مساحات من الأراضي وإيقافها على جهات خيرية(٢).

بقيت الزراعة هي المحور الرئيسي لنشاطات الغالبية العظمى من السكان في هذه الفترة والفترات السابقة ، وان كان الفوضى السياسية والحروب التي شكلت المدن العراقية إحدى ساحاتها الرئيسية ، بالإضافة إلى قلة الاهتمام بمشاريع الري وكثرة الضرائب(٣) وانعكاسات كوارث الطبيعة من انحباس الأمطار وهجمات الجراد وانتشار الأوبئة والأمراض السلبية على عموم النشاطات الزراعية للمدن العراقية(٤).

اما بالنسبة للصناعة فقد حافظت المدن العراقية على نشاطاتها الصناعية – مستغلة حاجة الأسواق الخارجية الى منتجاتها ، وتأتي في مقدمة هذه الصناعات صناعة المنسوجات لاسيما بعض الأنواع منها لاسيما الموزلين الذي اشتهرت به الموصل والذي كان يلقى رواجا لدى الأسواق العالمية لاسيما بلاد الشام مصر(٥). وكذلك القماش المسمى بـ (المحررات) وهو منسوج مزيج من القطن والحرير ، وكان بلاط سلاطين المماليك حتى عهود متأخرة يستخدم المنديل الموصلي(٦). ومن الصناعات الأخرى التي حافظت عليها المدن العراقية وعبر الحقبة السابقة

---

(١) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ١٩٢.

(٢) منها ما قام به البطريك شمعون الباصيدي الدهوكي بن فرج الشماس عندما قام بشراء أراضي وطواحين في الموصل وأوقفها لصالح الطائفة النسطورية وأديرتها . المصدر نفسه ، ص ١٨٩.

(٣) سيأتي الحديث عنها لاحقا.

(٤) هناك العديد من المصادر التي أفردت خيرا من اهتمامها للحديث عن المنتجات الزراعية للمدن العراقية لذلك أثرنا عدم الخوض في هذه المسألة . للتفاصيل : ابو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (بن بطوطة) رحلة بن بطوطة ، دار صاد ، (بيروت ، ١٩٦٤)، ص ٢٥٣-٢٥٦ ؛ الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٢٧١-٢٨٢ ، ص ٣٩١-٣٩٣.

(٥) احمد عبد الله الحسو ، " الواقع الحضاري في الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والأبيض ٨١٤-٩١٤هـ/١٤١١-١٥٠٨م " ، مج٢، (الموصل ، ١٩٩٢)، ص ٢٧٣.

(٦) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ٢٠٥.

واللاحقة الصناعات المعدنية والخشبية ومواد البناء وصناعة الأسلحة والسفن وغيرها ، إلا أن ذلك لا ينفي تراجع صناعات وانقراض أخرى ومنها صناعة الورق والأواني الزجاجية ... [١].

- **الضرائب:**

كانت الضرائب الاق قوينلوية هي استمرار الضرائب التي كانت تجبي في الفترة الايلخانية والجلائرية والقرة قوينلوية وان الاختلاف الوحيد هو في التسميات فقط، فضلاً عن الضرائب الشرعية (الجزية والخراج) والتي استمرت جبايتها خلال هذه الفترة على الرغم من جهود بعض السلاطين الإصلاحية والتي سبقت الإشارة إليها، كما كانت هناك الضرائب الغير شرعية والتي اتسمت بتنوعها وخضوعها لأمزجة الحكام المحليين ومن الضرائب التي شاعت في عهد الاق قوينلو هي ضريبة (اردغادية) وهي ضريبة كانت تؤخذ من المنازل لأغراض تعمير القلاع وكذلك ضريبة تمغاي سياة (ضريبة التمغا) وباج برزك[٢] وقد أراد حسن الطويل وكما سبقت الإشارة إلى ذلك أن يبطل ضريبة التمغا في جميع بلاده ، ولكن الأمراء عارضوه ، فجعلها من كل عشرين درهما على النصف أي بنسبة ١/١٠[٣].

وضريبة الشكشاي (الهدايا) وضريبة سلمانة وهما ضريبتان غير رسميتين كانت تقدمان السلطان في المناسبات والتهاني وكان مقدارها زمن حسن الطويل (٢٢) اقجة[٤] جرى استيفائها من أصحاب الجواميس وضريبة القصابين[٥]. كما فرض الاق قوينلو رسم السياب ومستحصل من

---

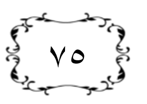
(١) قداوي ، تاريخ العراق ، ص ٢٠٩.

(٢) وهما ضريبتان تفرضان على السلع والمنتوجات الزراعية والصناعية والأواني النحاسية والفضية والأحمال والأملاك ، أما الفرق بينهما أن الضريبة الأولى تؤخذ على السلع التي تمر من مدينة الى أخرى وهي للبيع في حين أن ضريبة باج برزك هي ضريبة للعبور فقط . المصدر نفسه ، ص ٢٧١.

(٣) الغياثي ، المصدر السابق ، ٣٩١.

(٤) كلمة تركية تعني الضارب إلى البياض وتعني القطعة البيضاء (عملة فضية) ، وهي وحدة النقد القياسية في الدولة العثمانية حتى النصف الأول من القرن السابع عشر ، وقد ضربت في زمن اورخان واستخدمت بمثابة الدرهم الذي كان يستخدم في البلدان المجاورة . ينظر : خليل علي مراد ، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٠٤٨-١١٦٤هـ/ ١٦٣٨-١٧٥٠، رسالة ماجستير، كلية الآداب (جامعة بغداد، ١٩٧٠) ص ٦٣٧-٤٣٨.

(٥) قداوي ، العراق في القرن التاسع الهجري ، ص ٣٠٠.



أصحاب الطواحين ، ورسم العروس كما تعسف أمراء الاق قوينلو في جمع الضرائب الديوانية"[1]. واستخدم الاق قوينلو نفس الأساليب التي كانت شائعة في العهود السابقة في جباية الضرائب، وهي الإقطاع والضمان والجباية المباشرة.

فيما تولى ديوان الاستيفاء مهمة الإشراف على ميزانية الدولة من خلال ضبط الصادرات والواردات وإجراء الموازنة بينهما ويشرف عليه موظف خاص يعرف بمستوفي الممالك ومقره تبريز[2]، أما في باقي المناطق الإدارية فكان المسؤول عن الأمور المالية موظف خاص يدعى (اتو شمال) وواجبه الإشراف على جمع الضرائب والرسوم وإرسالها الى ديوان الاستيفاء[3].

– الإدارة:

أما فيما يتعلق بالأوضاع الإدارية فلم يطرأ ذلك التغيير الواضح باستثناء انفصال الجزيرة عن تبعيتها للموصل، فشكلت بذلك وحدة إدارية واحدة ويشير البدليسي ان أول حكامها في عهد حسن الطويل هو علي بك . كما لم تعد الموصل مركز اقليم كما كانت في عهد القرة قوينلو بل أصبحت مدينة تابعة لولاية ديار بكر مركزها امد[4].

الحياة الثقافية في العراق ١٢٥٨–١٥٠٨

١– تدهورت الثقافة والناحية الثقافية اذ تدهورت مكانة اللغة العربية والتي نافستها لغة المحتل كاللغة الفارسية والتركية مع قلة المؤرخين في هذه الحقبة فلدينا من المؤرخين العراقيين الذين وصلتنا أخبارهم عبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بالغياثي، وقد عاش شطراً من حياته في بغداد في عهد القرة قوينلو ثم تركها الى حلب تخلصاً من الظلم والاضطهاد وفي حلب كتب عن أخبار العراق وحوادثه وجمعها في كتاب اسماه (التاريخ الغياثي) الذي يعد من أهم

---

(١) الضرائب الديوانية : ضريبة تفرض لمواجهة الحالات الطارئة مثل المجاعة أو الحرب من قبل السلطان الاق قوينلوي ، علي ، الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض ، ص ٢٧٢.

(٢) قداوي ، المصدر السابق ، ص ١٦٨.

(٣) علي ، الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض ، ص ٢٦٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠–٢٧١.

المصادر التي تبحث عن تاريخ العراق بعد الغزو المغولي. ومن كتب التراجم، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبن حجر العسقلاني.

٢- طالت سيوف المحتلين منذ بداية احتلالهم المدن العراقية وحتى سنة ١٥٠٨ أعداد كبيرة من العلماء وقد أشار السخاوي مبالغا أن بغداد عند احتلالها سنة ١٢٥٨ لم يبقى فيها بفعل المجزرة من يعرف شيئا من العلم ومن افلت من القتل فضل الهجرة الى البلاد المجاورة مطلبا للأمان وحرية الفكر، والمتتبع لكتب التراجم التي تخص القرون الثلاثة التابعة لزوال الخلافة العباسية يجد الأصول العراقية لمعظم العلماء والفقهاء الذين ظهروا في بلاد الشام ومصر واليمن في ظل الدولة المملوكية الحاكمة في المناطق المذكورة وكنماذج على ذلك فضل الله البغدادي الحنبلي الذي توفي سنة ١٤٢٤، وعبد الله بن محمد الجمال العراقي وإبراهيم بن أبي بكر عبد الله الموصلي وأعداد كبيرة لا يتسع المجال لذكرها . فالهجرة كانت لعدة اعتبارات :

١) لم يجد العلماء في ظل الحكم الايلخاني ١٢٥٨-١٣٣٧، والحكم الجلائري ١٣٣٧-١٤١١ والحكم القرة قونيلوي ١٤١١-١٤٦٨ أو الحكم الاق قوينلوي ١٤١١ - ١٥٠٨ الرعاية الكاملة والتشجيع كما كان يحصل في العهد العباسي، ولهذا لم ينل العلماء العراقيون الخطوة عندهم إلا بالقدر الذي كان يتماشى مع حاجات المحتل العلمية فعلى سبيل المثال أولى الحكام الايلخانيون العناية للعلماء في مجال الفلك لحل مشاكلهم اليومية والمستقبلية وكذلك الطب لأغراض العلاج.

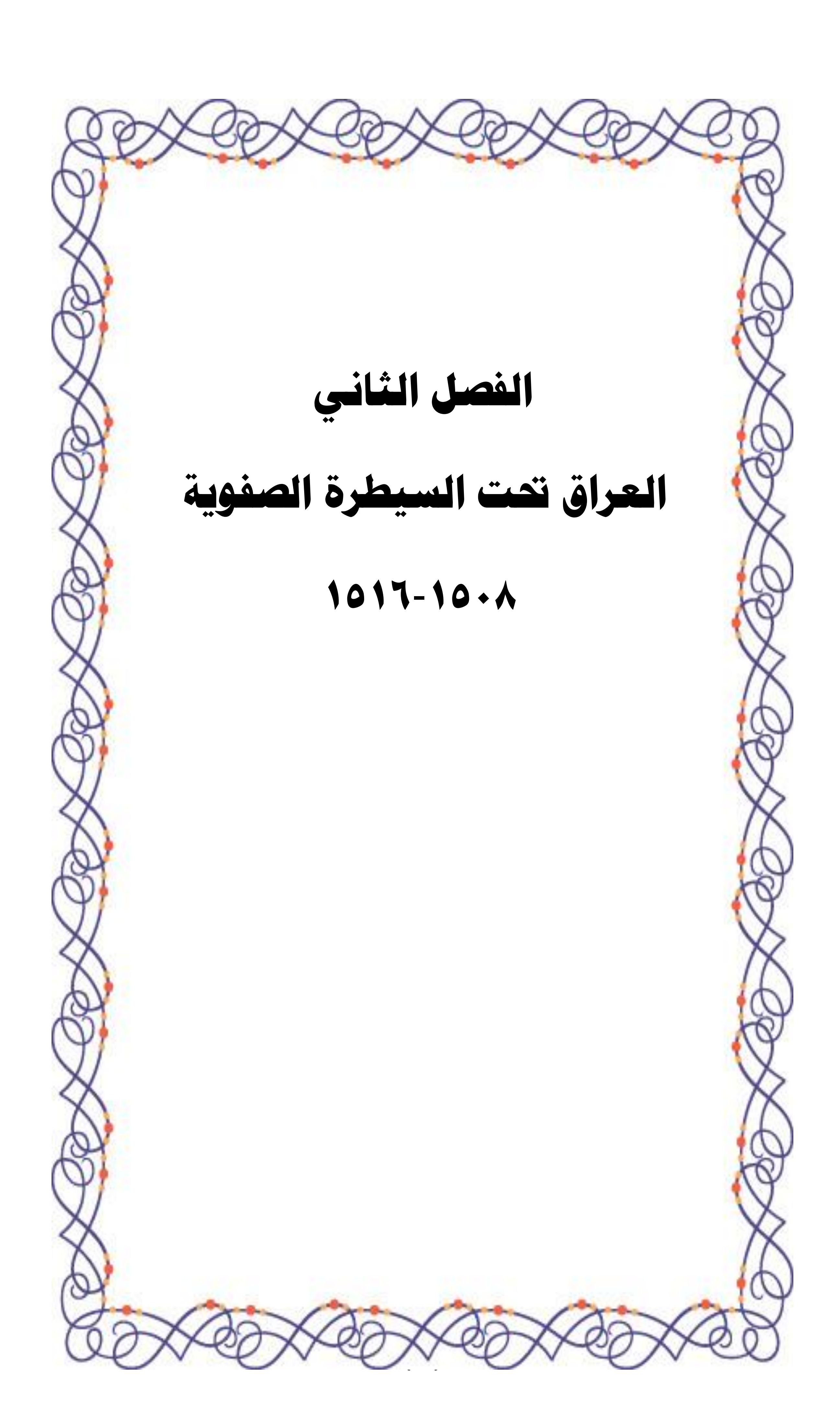
٢) لم يكن فهم هؤلاء للإسلام فهما عميقا فقد ظل الغزاة ينظرون للإسلام بمنظارهم القبلي الرعوي وظهرت تيارات صوفية ابتعدت عن الجوهر الحقيقي للإسلام وكنموذج على ذلك دعم الحكام القرة قونيلويين لبعض الطرق والحركات الصوفية التي تحللت من الفرائض كترك الصلاة وإسقاط التكاليف الإسلامية ومنها الطريقتين القلندرية والحيدرية التي وردت العراق من إيران(١). فوجد العالم نفسه مضطرا الى ان يرحل الى حيث الرعاية والتشجيع حيث الثقافة العربية في بلاد الشام ومصر واليمن.

---

(١) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣ ، ص ١٢٦.

٣) ان عمليات الحصـار المدن بسـبب تنافس الأسـر على السـلطة خاصـة في العهد الجلائري حيث الحصـار التيموري للمدن الرئيسـية (البصـرة ، بغداد ، الموصـل ، الحلة)، وكذلك حصـــار أمراء القرة قوينلو للمدن فمن الطبيعي أن تتراجع الثقافة والناحية الثقافية لأن هذه الناحية لا يمكن أن تزدهر في ظل الفوضـــى وانعدام الأمن إلا أن ذلك لا يعني عدم وجود العلماء لكن أعدادهم كانت قليلة بالقياس إلى فترة الخلافة العباســية ، فقد أوردت إحدى الدراســات أن عدد العلماء في الموصل كان في العهد الايلخاني بحدود (١٢١) عالما تناقص في العهد الجلائري إلى (٤٦) عاما ليصـــل العدد إلى (٢٠) عالم خلال فترة الســيطرة القرة قوينلوية والاق قوينلوية[١].

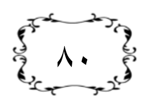
(١) الحسو ، الموصل في عهد السيطرة الجلائرية ، ص ٢٧٦.



الفصل الثاني

العراق تحت السيطرة الصفوية

١٥٠٨-١٥١٦



الفصل الثاني

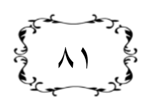
السيطرة الصفوية على العراق ١٥٠٨-١٥١٦

في مطلع القرن السادس عشر حدث اختلال كبير في ميزان القوى السياسية عندما نجحت الأسرة الصفوية في الوصول الى السلطة في بلاد فارس والإعلان عن قيام دولة تقوم على أسس دينية مذهبية متطرفة ، فوضعت نفسها في مواجهة الدولة العثمانية في الأناضول وكانت الأرض العراقية ميدانا لأولى العمليات العسكرية بين العثمانيين والصفويين عن ما توسعت الدولة الصفوية وخلال الحقبة التاريخية (١٥٠٢-١٥٠٨) في جنوب شرق الأناضول وشمال العراق في محاولة من الدولة العثمانية لمواجهة هذا الخطر الجديد فإنها انتهجت ستراتيجية جديدة وتحديدا إبان فترة السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) [١] عندما أوقفت اندفاعها في الجبهة الغربية للتفرغ للخطر الجديد والمتمثل في جنوب شرق الأناضول وشمال العراق.

وقبل الحديث عن التوسع الصفوي وموقف الدولة العثمانية من هذا التحدي لابد من إعطاء القارئ فكرة عن نشأة الدولة الصفوية (١٥٠١-١٧٣٠) ليسهل لنا فهم اندفاعاتهم التوسعية وأسباب صراعها مع القوى السياسية آنذاك وتحديدا دولة الاق قوينلو (١٤٦٨ - ١٥٠٨)، ثم الدولة العثمانية.

---

(١) ولد في أماسيا ، يعد أول السلاطين العثمانيين الذين حولوا ستراتيجية الفتوحات العثمانية نحو الشرق ، حيث استهل حملاته بتلك التي استهدفت الدولة الصفوية في بلاد فارس والتي انتهت بهزيمة الشاه إسماعيل الصفوي في معركة جالديران سنة ١٥١٤، كذلك خاض حرب ضد الدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام وتمكن من الانتصار عليها في معركتي مرج دابق سنة ١٥١٦ والريدانية سنة ١٥١٧. التفاصيل : جاسم محمد حسن العدول ، الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم الأول ١٥٢١-١٥٢٠م، أطروحة دكتوراه، كلية التربية (جامعة الموصل ، ٢٠٠٤).



المبحث الأول

الخلفية التاريخية لقيام الدولة الصفوية

تعود أصول الدولة الصفوية (١٥٠١-١٧٣٠) الى الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ صفي الدين اسحق الأردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤) الذي ينحدر من أسرة ثرية معروفة كانت تقيم في مدينة اردبيل الواقعة جنوب أذربيجان . وقد ذاعت شهرته بوصفه صوفياً[١].

بعد وفاة صفي الدين تولى مشيخة الطريقة الصوفية ابنه صدر الدين إسحاق (١٣٣٤ – ١٣٩٢) بعدها انتقلت المشيخة إلى ابنه خواجة علي والذي أضفى على الطريقة الصوفية طابعا شيعياً[٢]. وبعد وفاة خواجة علي سنة ١٤٢٧ تولى ابنه إبراهيم مشيخة الطريقة لحين وفاته سنة ١٤٤٧ ، عندما تولى ابنه جنيد مشيخة الطريقة (١٤٤٧-١٤٦٠) [٣] اذ تحولت الطريقة الصوفية الى حركة يغلب عليها الطابع السياسي ، وتمكن من كسب الأعوان بين أوساط القبائل التركمانية في جنوب شرق الأناضول[٤].

كما اعتبر جنيد أول قائد صفوي حاول توسيع النفوذ الصفوي بقوة السلاح ، الأمر الذي أثار حفيظة وقلق الحاكم القرة قونيلوي جيهان شاه ، فأمر جنيد بتفريق أتباعه والرحيل عن اردبيل وقد ترك جنيد اردبيل وأمضى بضع سنوات متنقلا بين الأناضول وبلاد الشام[٥]. إلا أن استقر به المقام في بلاط حسن الطويل حاكم دولة الاق قوينلو في ديار بكر سنة ١٤٥٦ حيث مكث مدة ثلاثة سنوات ، وتشير المصادر إلى أن جنيدا تزوج من خديجة بيكم شقيقة السلطان حسن الطويل ، كما زوج ولده الشيخ حيدر من حليمة بيكم ابنة السلطان حسن الطويل وهكذا شكل هذا

---

(١) ولبر ، المصدر السابق ، ص ٨٦.

(٢) إبراهيم خليل احمد وخليل علي مراد، إيران وتركيا دراسية في التاريخ الحديث والمعاصر، الموصل ، ١٩٩٢)، ص ١٧؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ٩٠٧-١١٤٨هـ/ ١٥٠١-١٧٣٦م، ط٢، دار النفائس، (بيروت، ٢٠١٢)، ص ٣٨، ص ٤٥.

(٣) يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود، م١، (استانبول ، ١٩٨٨) الى ص ٢٠١.

(٤) العدول ، المصدر السابق ، ص ٤٤، طقوش، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٥) احمد ومراد ، المصدر السابق ، ص ١٨.



الزواج مرحلة جديدة من التحالف الصفوي الاق قوينلوي لتحقيق غايات سياسية مستقبلية[١]. وبذلك تطور نفوذ الصفويين وبدأت الدعوة الصفوية بالانتشار إلا أن الشيخ جنيد سرعان ما لقي مصرعه اثر اشتباك دارت رحاه في جهات شيروان –الواقعة قرب مدينة باكو جنوب القفقاس– سنة ١٤٦٠ [٢].

استمر التحالف الصفوي الاق قوينلوي بعد مقتل الشيخ جنيد فقد أحاط السلطان حسن الطويل الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بالرعاية ومكنه من تولي أمر أتباعه الصفويين باعتباره الخليفة المنتخب للصفويين ، وكان من ابرز الأعمال التي قام بها حيدر الصفوي تشكيل القوات العسكرية الصفوية –القزلباش– أي أصحاب الرؤوس الحمراء[٣]. وفي هذه المرحلة أدرك الاق قوينلو الأبعاد السياسية للحركة لذلك عملوا على محاصرتها لغرض القضاء عليها ، وكدليل على انهيار التحالف بين الطرفين هو موقف الاق قوينلو من الصدام المسلح الذي وقف بين الشيخ حيدر الذي حاول الثأر لمقتل أبيه وبين حاكم شيراوان[٤]، ويستفاد من المصادر التاريخية أن حاكم الاق قوينلو يعقوب حسن الطويل (١٤٧٨–١٤٩٠) قد ساند حاكم شيروان وذلك ضمن جهود مشتركة ضد الصفويين إلا أن الشيخ حيدر مني بهزيمة وقتل سنة ١٤٨٨ [٥].

التف الصفويون عقب ذلك حول أبن حيدر سلطان علي (١٤٨٨–١٤٩٤) إلا أن حاكم الاق قوينلو السلطان يعقوب ألقي القبض على سلطان علي وزجه برفقة أخويه وهما إبراهيم وإسماعيل في قلعة اصطخر شيراز الواقعة في جنوب بلاد فارس[٦]. حيث بقوا فيها حتى سنة ١٤٩٣ عندما أطلق سراحهم بشفاعة من والدتهم لدى ابن أخيها رستم بن مقصود بك (١٤٩١ –١٤٩٦) والذي آلت اليه مقاليد الأمور في دولة الاق قوينلو، وبذلك حلت الأسرة الصفوية في بلاط السلطان رستم فيما يمكن أن نسميه "ضيافة إجبارية" غير أن الظروف تطورت سريعا بسبب

---

(١) عماد الجواهري ، " العراق والتوسع الصفوي ١٥٠٢–١٥٣٠م"، مجلة الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٢٠ (د.ت)، ص ٧٩، طقوش، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٢) العمري، الدر المكنون، ق٢، ص ٦١٩؛ العدول ، المصدر السابق ، ص ٤٤.

(٣) الجواهري، صراع القوى السياسية، ص ٥١؛ طقوش المصدر السابق، ص ٤٥.

(٤) احمد ومراد ، المصدر السابق ، ص ١٨.

(٥) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله الى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥ ، دار العلم للملايين (بيروت ، ١٩٦٨) ، ص ٤٩٥.

(٦) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ١١٩.

اندلاع الحرب الأهلية بين أمراء أسـرة الاق قوينلو الحاكمة (١٤٩٧-١٥٠٢) وقد اسـتغل الصفويون هذه الفرصـة فتمكن أبناء الشيخ حيدر من الإفلات واجتمع الصفويين بعد فترة قصيرة من الزمن مع مجموعة المريديين والأتباع وبالرغم من أن أول اشـتباك جرى بين الصـفويين وبين جيش الاق قوينلو قد أسفر عن مقتل الشيخ علي الصفوي[١]، إلا أن انتقال زعامة الصفويين إلى الشـيخ إسـماعيل يعتبر نقطة تحول مهمة في تاريخ الحركة الصـفوية والتي أضـحت أقرب إلى الحرب السـياسـية الخالصـة منها إلى الطريقة الصـوفية التي كانت تسـتند إلى الزهد والرياضـة الروحية والانقطاع الى الطقوس والفرائض ، فقد أقام إسـماعيل في لاهيجان حتى سـنة ١٤٩٩ والتي قضاها في تنظيم أتباعه ومن ثم استئناف نشاطه العسكري[٢].

- الحملة الصفوية على العراق ١٥٠٨:

بدأ إسماعيل الصفوي نشاطه العسكري في الولايات الشمالية لدولة الاق قوينلو وتحديدا شيروان[٣]. اذ تمكن من إلحاق الهزيمة بحاكمها فرخ يسار وقتله وقد وضع هذا النصر إسماعيل وجها لوجه مع (الوند ميرزا) حاكم الاق قوينلو في أذربيجان حيث كانت معركة (شـرور) المعركة الفاصلة سنة ١٥٠١ والتي انتهت بهزيمة الجيش الاق قوينلوي حيث زحف إسماعيل بعد أنتصاره إلى تبريز[٤]، واتخاذها عاصـمة له ، معلنا قيام الدولة الصـفوية متخذ لنفسـه لقب الشـاه وإعلانه

(١) الجواهري ، صراع القوى السياسية ، ص ٥٢-٥٣.

(٢) طالب محيبس حسـن الوائلي ، إيران في عهد الشـاه إسـماعيل الأول ٩٠٦-٩٣٠هـ /١٥٠١-١٥٢٤م ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، (جامعة بغداد ، ٢٠٠٧)، ص ٩٠-٩٥.

(٣) تذكر المصـادر أن هناك أسباب لاختيار إسماعيل الصـفوي لهذه المناطق كقاعدة لنشـاطه العسكري والتي يأتي في مقرتها أن حكام هذه المناطق كانوا دوما أدوات بيد الاق قوينلو ضـد الصـفويين ، أصـبحوا الآن بعيدين عن قواعد الاق قوينلو في بغداد وديار بكر . للتفاصيل يراجع : الجواهري ، العراق والتوسع الصفوي، ص ٦٩.

(٤) في الوقت الذي كانت الجيوش الصـفوية تتقدم للسـيطرة على تبريز كانت دولة الاق قوينلو مسـرحاً للاقتتال والصـراع ، إذ كانت مقسـمة إلى دويلات عدة فعلى سـبيل المثال كان مراد بيك بايندري يحكم في يزد ، والسلطان مراد في عراق العجم ، والرئيس محمد في لورستان ، وباريك بيك برناك في العراق العربي ، وقاسم بيك بن جيهان كير في ديار بكر ، وناظم بيك بن جهانگير بن علي بيك في ديار بكر ، وقاضـي محمد وجلال الدين مسـعود في كاشـان ، ومولانا بديع الزمان التيموري في بلخ ، وابو الفتح بايندري في كرمان ، وفي كردستان كان يحكم الأمراء الكرد ، والمشعشعيون في الأحواز ، والسادة المرعشية في مازندران و آل كيافي كيلان ، أما المناطق الشرقية فكانت تحت سلطة حسين بايقرا الذي ورث الإمبراطورية التيمورية ، لكن

المذهب الشيعي (الاثني عشر) مذهب رسمية الدولته[١].

احتاج الشاه إسماعيل بعد جلوسه على العرش الى عشر سنوات ليكمل احتلاله لبقية مناطق بلاد فارس والعراق ، اذ حاول الوند ميرزا الاق قوينلو في أذربيجان جاهدا أن يوقف الصفويين عن ذلك التقدم فسعى الى جمع فلول أتباعه كما قام بمحاولات للتنسيق مع سلطان الاق قوينلو مراد بن يعقوب (١٤٩٧ – ١٥٠٧) غير أن تلك الجهود لم تكن مجدية مما اضطر الوند ميرزا للفرار الى بغداد ثم غادرها الى ديار بكر[٢].

أدرك السلطان مراد يعقوب انه سيكون الهدف التالي للشاه لذلك أخذ يتشبث بالمعونة من جميع الجهات ولكنها لم تأته من أحد ، فالمماليك الذين قصدهم لم يسعفوه لأن أوضاعهم السياسية لم تساعدهم على تقديم العون له بسبب انشغالهم في مواجهة الخطرين العثماني والبرتغالي[٣]. كما أن إمارة ذي القادر التي كان أميرها علاء الدولة[٤] قد تحالف معه إلا أنها لم تستطيع أن تسانده لأن الصفويين قد اكتسحوا بلاده وأمام هذا الإخفاق فضل الالتجاء الى بلاط السلطان العثماني ليقيم هناك تاركا أمر بغداد وتقرير مصيرها لنائبه فيها الأمر باريك بيك برناك، ليحكمها باسم الاق قوينلو ويبدو أن هذا الحاكم حاول أن يتجنب الاحتلال الصفوي عن طريق التودد والمهادنة مع الشاه ، فبينما أرسل الشاه إسماعيل سنة ١٥٠٨ خليل بيك مبعوثا عنه طالبا من برناك الخضوع له والتسليم ، وقد أحسن الأخير استقبال الوفد وأرسل بصحبتهم ابا اسحق

دولته كانت تسير نحو الزوال وتعاني من الانقسام والضعف نتيجة هجمات الاوزبك والأمير ذو النون في قندهار ، فضلا عن الشاه إسماعيل في تبريز وقد أعلن هؤلاء عن استقلالهم التام . الوائلي ، المصدر السابق ، ص ٩٩–١٠٠.

(١) بديع جمعة و احمد الخولي ، تاريخ الصفويين وحضاراتهم ، ج ١ ، (مصر ، ١٩٧٦)، ص ٥٤.

(٢) نظمى زادة ، المصدر السابق ، ص ١٨٣–١٨٤.

(٣) للاستزادة يراجع: طقوش، المصدر السابق، ص٦٠.

(٤) هناك أسباب عديدة وراء تدهور علاقة الشاه إسماعيل مع هذه الإمارة التي كانت تسيطر على مناطق عينتاب وملطية ، لعل أبرزها أن حاكم تلك الإمارة منح السلطان مراد بن يعقوب حق اللجوء إلى إمارته عقب هزيمته أمام الشاه إسماعيل سنة ١٥٠٣م بل انه زوجه ابنته ، وكان علاء الدولة قد رفض طلباً تقدم به الشاه إسماعيل الزواج من ابنته فكان ذلك سببا في توجيه الشاه إسماعيل حملة ضد السلطان الاق قوينلوي. جمعة و الخولي ، المصدر السابق ، ص ٥٠.

السيرجي (أحد أتباع باريك) وكان له مكانة مرموقة بين حاشيته حاملا الهدايا للشاه ، ولما وصل ابو اسحق الى ديوان الشاه غضب الأخير لعدم حضور باريك بيك بنفسه[1].

والواقع أن هذا السبب يبدو واهياً أمام عزم الشاه احتلال بغداد بالقوة وان يجعل من نفسه القوة الوحيدة في هذه المنطقة ، لذلك ألح على أبا إسحاق بضرورة ضرب النقود في بغداد باسم الشاه وحده دون مشاركة احد معه وحذر من الغش والتلاعب في الوزن[2].

لم يعبأ باريك بإنذار الشاه مما يدل على أنه كان قد بيت أمرا ، ولكنه لم يفصح عنه أول الأمر فكانت استعداداته للدفاع عن بغداد ضد الهجوم الصفوي المرتقب تسير على قدم وساق ، كما قام باريك ايضا بإجراءات تتعلق بحفظ الأمن وتطوير القدرات الدفاعية ، اذ أمر ببناء القلاع وتقوية الأسوار وخزن الحبوب وفرض الضرائب ، كما القي القبض على نقيب أشراف الشيعة محمد كمونة وأودعه السجن لاتهامه بموالاه الشاه والاتصال بالفرس[3].

اما الشاه إسماعيل فقد أرسل حملة بقيادة (حسين بك لله شاملو) (لا لاحسين) حيث اتجهت عبر كرمنشاه – خانقين ومنها إلى بغداد وعلى الرغم من أن برناك استعد لجيش الشاه إلا أنه وجد نفسه أضعف من الاستمرار في الدفاع عن المدينة فما كان منه إلى اللجوء الى حلب[4].

وقبل وصول الجيش الصفوي الى أسوار بغداد تشكلت في بغداد حكومة محلية لا تقدم المصادر معلومات مهمة عنها غير أن المصادر الفارسية تدعي أن زعامة تلك الحكومة أعلنت الخطبة للشاه وسكت النقود باسمه ولكن المصادر الغربية الموثوقة نفت أن تكون هناك نقود ضربت في بغداد باسم الشاه[5].

بعد رحيل باريك بيك وكإجراء مقبول قام أهالي بغداد بإخراج محمد كمونة من السجن وتوليه الأمور لحين اتضاح الموقف، وعندما وصلت طلائع الجيش الصفوي خرج البغداديون

---

(١) الجواهري ، صراع القوى السياسية، ص ٥٥ ؛ العزاوي، المصدر السابق، مج ٣، ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) حسين محمد القهواتي ، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني ١٥٣٤-١٦٣٨م/ ٩٤١-١٠٤٨هـ دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، (جامعة بغداد، ١٩٧٥)، ص ٤٤.

(٣) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٣٤٧.

(٤) نظمي زادة ، المصدر السابق ، ص ١٨٣.

(٥) الجواهري ، صراع القوى السياسية ، ص ٥٦.

لاســتقباله[١]، وكان على رأس المســتقبلين محمد كمونة واعيان بغداد وجمع من الأهالي ، ولعل ذلك من المرات النادرة التي يخرج فيها سكان بغداد لاستقبال جيش محتل وعلى كل حال فالمعتقد اذا صــحت الرواية ، أن خروج محمد كمونة واعيان بغداد لاســتقبال الجيش الصــفوي ربما كان لسببين:

١. لم تكن في بغداد قوة عسكرية يمكن الاعتماد عليها للدفاع عن المدينة خاصة وان مناورة باريك بيك لإبعاد الصفويين قد فشلت وما أعقبها من مغادرته وقواته إلى حلب.
٢. ان العناصر التي خرجت لاستقبال المحتل كان لها ارتباطاتها ومصالحها التي تحرص على استمرار تقدمها خلال العهد الجديد[٢].

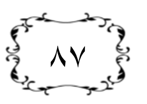
مع دخول الجيش الصفوي الى بغداد ووصول الشاه اليها في سنة ١٥٠٨، اصدر أوامره بتعيين خادم بيك[٣]، أمير ديوانه حاكما للمدينة ، وأطلق عليه لقب خليفة الخلفاء[٤]. وتم تعيين الأمير نجم زركل بوظيفة " الوكالة " وعين الأمير بار محمد الخوارزمي مشـــرفاً على شـــؤون الوزارة، كما عهد مســؤولية الأمور المالية إلى شــمس الدين الأصــفهاني، اما محمد كمونة فقد أسندت اليه وظيفة الإشراف على العتبات المقدسة[٥].

لم يقم الشـاه إسـماعيل في بغداد سـوى يوم واحد توجه بعدها الأداء مراسـيم الزيارة لمرقد الإمام الحسين وأبدى اهتمامه به[٦]. بعدها سار الى النجف الأداء الزيارة، كما أمر بإيصال الماء اليها عن طريق قناة من نهر الفرات الارتفاع ارض النجف عن مستوى ماء الفرات[٧].

وفي الحلة اشـــتكى بعض رجال الدين لدى الشـــاه من غارات قبيلة غزية البدوية في الصـــحراء وما رافق ذلك عرقلة حركة التجارة في المنطقة فجرد حملة لقمعهم وتمكن من إلحاق

---

(١) نظمي زادة ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٣٤٧.
(٢) الجواهري ، صراع القوى السياسية ، ص ٥٦.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٧.
(٤) الوائلي ، المصدر السابق ، ص ١٢٤؛ الجواهري ، العراق والتوسع الصفوي ، ص ٧٣.
(٥) عبد الحســـين آل كليدار آل طعمة، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، تحقيق علي الكليدار، (بغداد ، د.ت) ، ص ٧٢؛ العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٣٤٨.
(٦) جعفر باقر محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها، ج١، (النجف ، ١٩٥٨)، ص ١٩١-١٩٢.
(٧) العزاوي ، المصدر السابق ، مج٣، ص ٣٥٢-٣٥٣.



خســــائر كبيرة بهم حيث قتل أعداد منهم(١). ومن ثم عاد إلى بغداد ومنها اتجه لزيارة مرقدي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في سامراء ، وفي موازاة ذلك استولى الشاه إسماعيل على الحويزة عاصمة الإمارة المشعشعية(٢)، وقد مهد لذلك جوها السياسي المضطرب ، فقد عارض حاكم هذه الإمارة فلاح بن محســـن حكم أخويه علي وأيوب وغادر الحويزة الى مدينة شــوشــتر ومن هناك بدأ حربا ضــدهما ، وقيل أنه قبض على علي وأيوب وقتلهما اما فلاح بن محســـن فقد التمس من الشـــاه تعيينه حاكما على الحويزة مقرناً ذلك بهدايا وأموال فوافق الأخير على ذلك وصدرت الإرادة بهذا الخصوص(٣)، فيما سيطر الصفويون على المدينة سنة ١٥١٠ ويقال أن الشاه عين عليها " احد الخانات " ويدعى أحمد أفشار والذي استمر حاكما عليها حتى السيطرة العثمانية للموصل سنة ١٥١٦ (٤).

اما عن موقف الســلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢) فانه لم يحرك ســـاكنا والأنكى من ذلك أنه بعث برسالة تهنئة الى الشاه إسماعيل سنة ١٥٠٨ يهنئه فيها" بفتحه العراق وفارس " وينعته بـــــــ " الملك الأعظم المتوج الأكرم... الشاه إسماعيل الصفوي أسس الله قواعد عدله و عمره وأيده بتوفيقه. " ويرى البعض أن هذا الموقف ينطوي على ضعف وقصر نظر من جانب السلطان بايزيد الثاني اذ ان السياسة السلمية... لا تقيه من مسؤوليته تجاه اتساع النشاط الصفوي في جنوب شرق الأناضول(٥).

أن عجز بايزيد الثاني عن معالجة النشاط الصفوي في إزاحته، فضلاً عن قيام الشاه إسماعيل باحتضان الهاربين من البلاط العثماني دفع السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠)

---

(١) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الجواهري ، صراع القوى السياسية ، ص ١٨. وقد استمر أمراء هذه الإمارة في انتهاج السياسة ذاتها حتى تولى مبارك السيطرة عليها سنة ١٥٩٠ والذي انتهج سياسة قائمة على محاولة التخلص من السيطرة الصفوية والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا.

(٤) الجواهري ، صراع القوى السياسية ، ص ٥٨.

(٥) علي شاكر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر دراسة في أوضاعها السياسية والإدارية والاقتصادية أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، (جامعة الموصل ،١٩٩٢) ، ص ٤.

حاكم طرابزون على إجبار والده بايزيد على التنازل عن العرش سـنة ١٥١٢[1] . بدعم وتأييد من الانكشـارية الذين سئموا من سياسـة بايزيد الثاني المتخبطة تجاه النشـاط الصـفوي فدخل الموقف العثماني بذلك مرحلة جديدة.

- معركة جالديران سنة ١٥١٤:

مع اعتلاء السـلطان سـليم الأول عرش الدولة العثمانية (١٥١٢-١٥٢٠) سـارع باتخاذ الاجراءات الكفيلة لوضع حد لتغلغل الحركة الصفوية في الدولة العثمانية بل والقضاء على الدولة الصـــفوية ذاتها[2]. وكخطوة اولى كان لابد من تأمين الحدود الغربية للدولة العثمانية من خلال عقد عدد من المعاهدات مع عدد من الدول الاوربية أو تجديد المعاهدات السابقة وفي هذا المجال استغل السلطان سليم الاول فرصـة الاحتفالات التي اقيمت بمناسـبة تنصـيبه على العرش والتي شـارك فيها مندوبو عدد من الدول مثل روسـيا والمجر والبندقية والافلاق لعقد هدنة طويلة الأمد مع تلك الدول[3]، تحقيقاً لهدف رئيســـي هو تأمين عدم مواجهة هذه الدول أو ارســـال الحملات اليها ليتفرغ إلى الجبهة الشرقية. وبالتالي شكل عهد السلطان سليم الاول البداية الحقيقية للصراع العثماني- الصفوي سياسياً وحربياً واقتصادياً وعقائدياً وقبل الخوض في تفاصيل هذا الصراع لابد من القاء نظرة سريعة على العوامل التي أججت هذا الصراع والتي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

١. احتلال الدولة الصـفوية للعراق ومما زاد في توتر العلاقات العثمانية-الصـفوية قيام الشـاه اسـماعيل الصـفوي بنشـر المذهب الصـفوي في الاناضـول والتي كانت تحت حكم الدولة العثمانية فضـلاً عن النجاحات التي حققها اسماعيل الصفوي في شرق الاناضـول، ومما زاد في توتر العلاقات ايواء اســـماعيل الصـــفوي للأمراء الفارين من الدولة نذكر منهم

---

(١) أنجب بايزيد الثاني ثمانية أولاد وعند وفاته ترك ثلاثة منهم أحياء وهم، احمد كركود وســـليم، وعشــــرة أحفاد وكان وصـول سليم الى العرش نتيجة الصـراع المستمر بين أخوة بايزيد وأولاده ومما سـاعده في ذلك ضـعف الحكومة المركزية وشغب الانكشـارية – وبمجرد اعتلائه العرش سنة ١٥٠٢ نفذ حكم الموت بأخويه وأولادهم حتى أطلق عليه لقب ياووز والتي تعني الصارم ، اوزتونا ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧.

(٢) العدول، المصدر السابق، ص ١١٥.

(٣) محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، (بيروت، ١٩٧٧)، ص ٧٣.

StanFord J Shaw, History of the Ottoman empire and modern Turkey, Vol 1, (Cambridge, 1978), p. 79

الأمير احمد بن اخ السلطان سليم كمحاولة لاستخدامهم في اثارة الفتنة في الدولة العثمانية وتأليب المعارضة على السلطان العثماني(١).

٢. عدم وجود خط واضح للحدود بين الدولتين وتحديداً بعد سقوط دولتي الاق قوينلو وذي القادر(٢).

٣. ظهور البرتغاليين في المحيط الهندي واحتكارهم لتجارته مما يعني تهديد اقتصاديات الدولة العثمانية.

٤. طموحات العثمانيين في السيطرة على طرق التجارة الرئيسية وتحديداً الطريق التجاري الذي يمتد من تبريز ثم ارضروم (توقان)(٣) ثم بورصة(٤).

جرد السلطان الاول حملة عسكرية قادها بنفسه في ٢٠ اذار ١٥١٤ بالغت المصادر في تقدير اعدادها والتي اوصلها البعض إلى (١٨٠) الف مقاتل(٥)، سبقها تبادل اطراف النزاع للرسائل الاستفزازية حاول كل طرف التشكيك في قدرات غريمه(٦).

أما خط سير الحملة العسكرية فكان ازميت، اسكي شهر، قونية، قيصرية. وعند هذه المدينة اجرى السلطان اتصالات مع حاكم امارة ذي القادر (علاء الدولة) على أمل الحصول على امدادات من المؤن والرجال(٧). إلا ان الاخير امتنع عن تقديم المساعدات متذرعاً بتبعيته للدولة المملوكية(٨). لذلك كانت صعوبة ايصال الامدادات إلى الجيش العثماني احدى المشكلات

---

(١) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، (دمشق، ١٩٧٦)، ص ٥٦.

(٢) امارة ذي القادر (ذي القدر): يرقى تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع عشر وهي إحدى الامارات التركمانية وتقع إلى الجهة الشرقية من الاناضول، عاصمتها مرعش.

E.E.Hassan, Turkey and middle east (Istanbul, 1966), p.17

(٣) طوقات: تقع إلى الشمال من الاناضول، جنوب البحر الاسود.

(٤) بورصة: تقع إلى الجنوب من بحر مرمرة. صالح أوزبران، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، ترجمة: عبد الجبار ناجي، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ٢٧.

(٥) ابراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، طبعة جديدة منقحة ومزيدة بالوقائع والصور والتواريخ، ط١، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ١١٢.

(٦) علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، ط١، (الاردن، ١٩٩٠)، ص ٢٩؛ طقوش، المصدر السابق، ص ٧٨-٧٩.

(7) Shaw, op.cit., p.81.

(٨) رغم توقيع الدولة المملوكية معاهدة ١٥١٣ مع السلطان سليم الاول إلا انها سرعان ما تخلت عن تعهداتها بل انها ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما عقدت الدولة المملوكية سنة ١٥١٤ معاهدة جديدة لكن هذه المرة مع الشاه اسماعيل تعهدت بموجبها بقطع علاقتها الدبلوماسية مع السلطان سليم الاول. زين الدين نور الدين زين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط٣، (بيروت، ١٩٧٩)، ص١٩.

التي واجهت السلطات العثمانية ولمعالجة ذلك اضطر الاخير إلى استخدام السفن لإيصال الامدادات إلى ميناء طرابزون–الواقع على البحر الاسود–ومن هناك يتم ايصالها إلى الجيش العثماني باستخدام الجمال والبغال. فضلاً عن استخدام الوسيلة ذاتها في نقل المعدات الثقيلة من العاصمة استانبول إلى طرابزون لتنقل براً إلى الجيش العثماني(١).

في ٢٣ اب ١٥١٤ وقعت المعركة الفاصلة في سهل جالديران–يقع شمال شرق بحيرة وان–التي مُني الجيش الصفوي بالهزيمة لقي خلالها آلاف من القزلباش مصرعهم. وفي الجانب الآخر أشارت المصادر المساعدة التي قدمها الامراء الاكراد للجيش العثماني حيث ذكرت المصادر التحاق (١٦) أميراً كردياً بالسلطان العثماني منهم الامير شرف بك امير بدليس الذي وقف إلى جانب الجيش العثماني املاً في اعادة السيطرة على امارته التي انتزعها الفرس منه(٢). بعد (١٢) يوماً من المعارك الضارية دخلت القوات العثمانية تبريز وتشير المصادر إلى ان "السلطان العثماني صادر أموال الشاة وخزائنه وعرشه وارسلها إلى استانبول وجمع العمال المهرة والحاذقين من أرباب الحرف والصناعات والخطاطين والشعراء والكتاب والصحافيين ونساجي السجاد فضلاً عن بعض التجار والاعيان"(٣).

كان في نية السلطان قضاء فصل الشتاء في تبريز تمهيداً للزحف على بلاد فارس والقضاء على الدولة الصفوية ومن ثم استكمال السيطرة على بلاد فارس والعراق كما كان يطمح إلى فرض السيطرة على تركستان(٤). إلا ان اسباب عدة وقفت حائلاً دون اتمام مبتغاه لعل ابرزها رفض ضباط جيشه من الانكشارية البقاء في تبريز(٥). فضلاً عن نقص المواد الغذائية وتأخر وصول الامدادات للجيش العثماني وانتشار الامراض بين صفوف الجيش العثماني(٦). أمام هذه

بل ان السلطان المملوكي ذهب إلى ابعد من ذلك عندما أوعز إلى بعض العشائر الموالية له بمهاجمة قوافل المؤن العثمانية والاستيلاء عليها. Shaw, op.cit.

(١) البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٠.

(٢) محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، ترجمة: محمد علي عوني، (القاهرة، ١٩٦١)، ص ١٧٧.

(٣) نقلاً عن: المحامي، المصدر السابق، ص ٧٤، ص ١٧٠.

(٤) اوزتونا، المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٥) الجواهري، صراع القوى السياسية، ص ٧٠؛ اوزتونا، المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٦) البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٠.

الاسباب قرر الرجوع إلى بلاده مما أعطى المبرر للشاه اسماعيل لاستعادة السيطرة على تبريز والتي دخلها دون اية مقاومة.

ترتبت على معركة جالديران العديد من النتائج لعل ابرزها زعزعة الوجود الصفوي في مناطق شمال العراق وجنوب شرق الاناضول من خلال الانتفاضات العديدة التي اندلعت ضدهم في تلك المناطق مما هيأ الفرصة المناسبة لبسط النفوذ العثماني عليها[١]. وكما سيأتي ذكر ذلك لاحقاً. وفي طريق عودة السلطان سليم إلى اماسية دانت له عدد من المدن مثل نخيوان (تقع جنوب غرب ارمينيا) وايروان (بريفان) ثم قارض، ارضروم ليصل إلى اماسيا في ٢٤ تشرين الثاني ١٥١٤[٢]. كما اصدر اوامره إلى احد ابرز قادته وهو سنان باشا بمعاقبة حاكم امارة ذي القدر لموقفها المعادي من حملة السلطان سليم الاول[٣]. فكانت المواجهة العسكرية في ٢٢ حزيران ١٥١٥ مُنيت على اثرها هذه الامارة بهزيمة في توربناداع (قرب مرعش) قتل على اثرها حاكم الامارة علاء الدولة وعدد من افراد اسرته على اثر ذلك وقع اختيار السلطان سليم الاول على علي بك بن شهسوار كأول حاكم لهذه الامارة[٤].

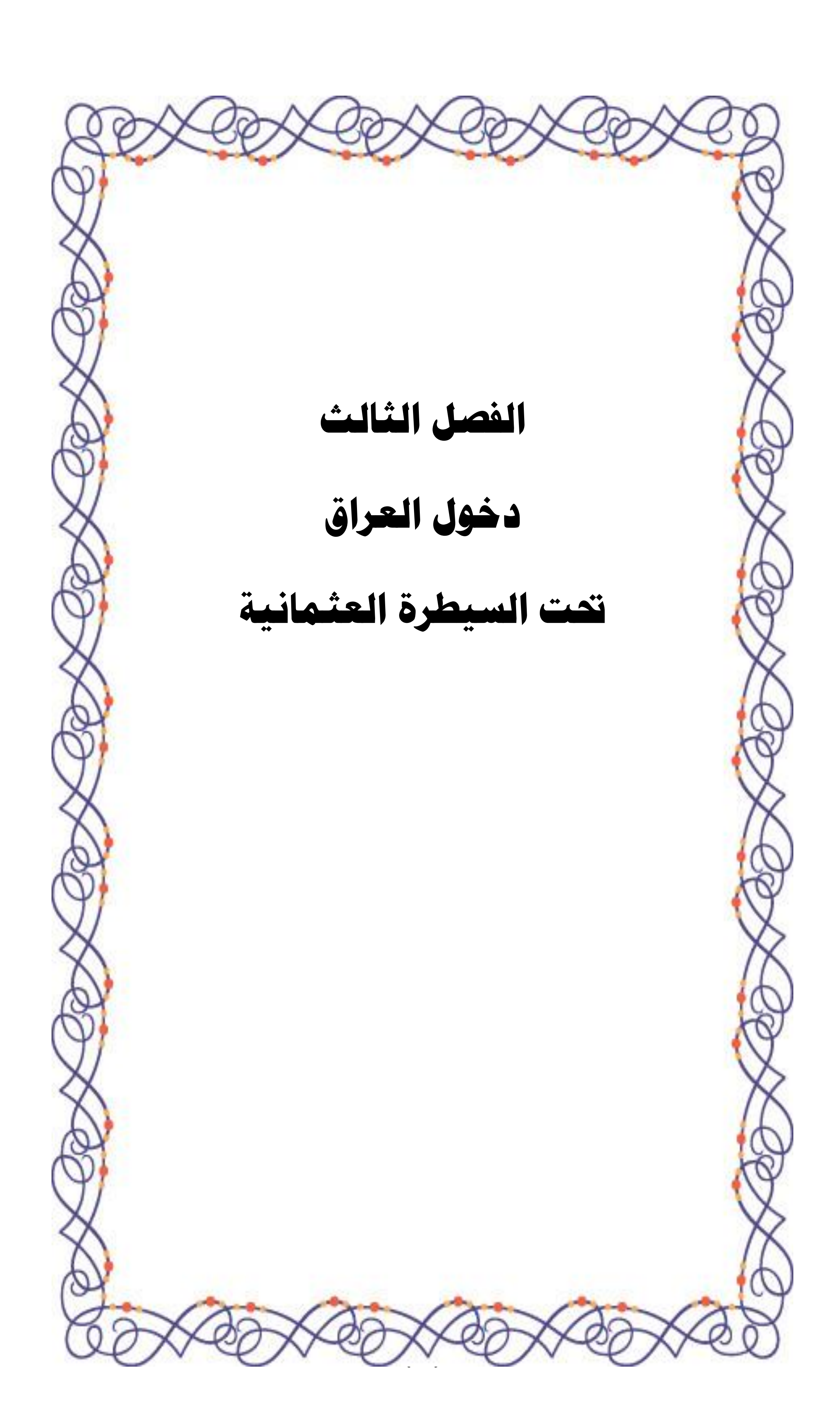
---

(١) خليل علي مراد، "الموصل بين السيطرة العثمانية وقيام الحكم الجليلي (٩٢٢-١١٣٩هـ/١٥١٦-١٧٢٦م)"، موسوعة الموصل الحضارية، مج٤، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٩٢)، ص ١٤.

(2) Hassan, op.cit., 17.

(3) I bid.

(٤) العدول، المصدر السابق، ص ١٥٠-١٥١.



الفصل الثالث

دخول العراق

تحت السيطرة العثمانية

الفصل الثالث

دخول العراق تحت السيطرة العثمانية

المبحث الأول

اخضاع شمال العراق وجنوب شرق الاناضول تحت السيطرة العثمانية

كما سبقت الاشارة إليه وعلى اثر هزيمة الشاه اسماعيل الصفوي في معركة جالديران شهدت مناطق شمال العراق وتحديداً كردستان[1] تطورات مهمة عندما اجتاحت هذه المنطقة العديد من الثورات[2] والتي عزت المصادر التاريخية اسبابها إلى الاختلاف المذهبي بالإضافة إلى فرض الشاه اسماعيل لعدد من الضرائب والرسوم والتي خلقت استياءً عاماً لدى الاهالي وعدد آخر من الاسباب[3].

ومن الجدير بالذكر ان دخول هذه المناطق تحن السيطرة العثمانية جاء في ظل غياب كامل للوجود العسكري العثماني وعن اسباب عدم اتخاذ السلطان سليم الاول للخيار العسكري في اخضاع شمال العراق فيعود إلى رغبة الاخير في عدم تشتيت قواته التي كانت تستعد لتوجيه

---

(١) وتمتد من بحيرة اورمية إلى الفرات ويقع قسم منها في الاناضول أما القسم الآخر فيقع في اذربيجان. Shaw, op.cit, p. 82.

(٢) قام اهالي ديار بكر وعلى اثر مقتل واليهم محمد خان أستاجلو في معركة جالديران وطرد ما تبقى من الصفويين من مدينتهم وفي حصن كيفا وسعرت ثار الامير خليل على الصفويين وفي بدليس خلع شرف بك احد امراء القزلباش ويدعى (كرد بك شرفلو) واستطاع (سيدي بك بن شاه علي) امير سوران استرجاع كل من اربيل وكركوك في الوقت الذي استولى جمشير بك المرادسي على بالو، أما قاسم بك فتمكن من استرجاع قلعة الكيل. للمزيد يراجع: سيار كوكب الجميل، "دراسات في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٦ وبدايات الصراع العثماني–الايراني الصفوي في عهد السلطان سليم الاول"، مجلة بين النهرين، العدد ٣١، (الموصل، ١٩٨٠)، ص ٣٢٧.

(٣) للمزيد يراجع: "اقدم وثيقة عثمانية مؤرخة في ١٤ شباط ١٠٣٧م، ٤ رمضان ٩٦٣هـ"، بتعريف وتعليق طازري باشي، مجلة المورد، مج٨، العدد ٤، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ٥٢٢–٥٢٤.

ضـــربتها للمماليك[1]. مما افرغ هذه الثورات من محتواها الهادف إلى التحرر من الاحتلال الصفوي.

أما عن موقف الشاه اسماعيل الصفوي من هذه الثورات، فقد استدعى قائد الحامية الصفوية في بغداد[2] ويدعى قرة خان (شقيق محمد خان استاجلو) لقيادة حملة عسكرية والذي زحف إلى كركوك واربيل والموصل[3] كما جرى استقدام قوات اخرى من اورفا حصن كيفا ماردين واير عني[4]. وبعد وصوله إلى دياربكر فرض حصاراً قاسياً على المدينة. وخلال ذلك كان سكان امد قد دخلوا في طاعة السلطان سليم عندما اخرجوا حاكمهم الصفوي وارسلوا إلى السلطان بطلب الولاية العثمانية والذي ارسل اليهم محمد بيك الامدي كوالي لامد[5]. والذي طلب هو الاخر من السلطان العثماني قوة عسكرية وبالفعل وصلت قوة عسكرية تحت قيادة ادريس البدليسي الذي كان تحت امرته قوة عسكرية (كردية) مؤلفة من (١٠) آلاف مقاتل وعلى رأسهم عدد من القادة وهم قاسم بك –أمير اكيل– وجمشير بك –أمير بالو– و–أمير خربوت– حسين بك، فضلاً عن قوات امارة بهدينان البالغة (٥) آلاف مقاتل. حيث تحركت هذه القوات نحو دياربكر. ادرك قرة خان استحالة مواجهته لتلك القوات لوحده لذلك قرر ترك دياربكر والتوجه نحو ماردين مما اعطى المجال للقوات العثمانية للدخول إلى المدينة وذلك ما تم في ايلول ١٥١٦ حيث عين محمد باشا بيقلي حاكماً للمدينة[6].

جاء قرار القيادة العثمانية بتوجيه حملة ثانية لمطاردة القوات الصفوية في ماردين والتي اسندت قيادتها إلى عدد من القادة وهم (ادريس البدليسي ووالي سيواس شادي باشا وحاكم دياربكر محمد بيقلي باشا) وتذكر المصادر ان خلافاً نشب بين كل من محمد بيقلي باشا وشادي باشا حول الخطة العسكرية القادمة، إذ كان رأي شادي باشا هو اعطاء الجيش العثماني فرصة

---

(١) نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦–١٥٧٤، ترجمة: يوسف عطا الله، ط١، (بيروت: ١٩٨٨)، ص ٨٤.

(٢) الجميل، المصدر السابق، ص ٢٢٩.

(٣) علي، المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٤) زكي، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٥) قائد عسكري عثماني، شغل في البداية ميراخور (المسؤول عن اسطبل الخيل)، في ايلول ١٥١٦ عين حاكماً لطرابزون. البدليسي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٣.

(٦) العدول، المصدر السابق، ص ١٥٦.

للاستراحة ومن ثم مواصلة التقدم باتجاه ماردين ذلك الاقتراح الذي لم يحظى بموافقة بيقلي باشا البدليسي[١]. ازاء ذلك قرر شادي باشا الانسحاب مما جعل البدليسي يطلب امداده بقوات اضافية وبالفعل ارسل السلطان سليم الاول قوات عسكرية مؤلفة من (٢٠) الف مقاتل لقيادة والي قرمان خسرو باشا التي التحقت بالقوات العثمانية المتقدمة باتجاه ماردين[٢]. عقد القادة الثلاثة اجتماعاً لبحث خطة الهجوم وتذكر المصادر ان بيقلي باشا اقنع خسرو باشا والبدليسي بإرسال قوة استطلاعية لتعرف حجم القوات المعادية. حيث كلف حسين بك حكام خربوت بهذه المهمة إلا ان مهمة الاخير فشلت في تحقيق الهدف المنوط بها عندما تكبدت خسائر فادحة على يد قوات قرة خان ومن نجى من القتل لم ينجوا من الاسر[٣].

ازاء هذه الهزيمة انسحب بيقلي باشا إلى دياربكر بعد ان ترك وحدة عسكرية في ماردين. اعطى الانسحاب العثماني فرصة ذهبية لقرة خان لاستعادة السيطرة على ماردين من خلال ارسال قوة من الحرس الشاهاني مؤلفة من (٢٠٠) مقاتل تولى قيادتها حكام كلشهر فكانت المواجهة العسكرية بين القوتين إلا ان القوات العثمانية بقيادة "ابي المراهب جلبي" احد قادة ادريس البدليسي سرعان ما منيت بهزيمة جديدة آثرت على اثرها الانسحاب لتدخل القوات الفارسية ماردين[٤].

---

(١) اختلفت الآراء حول دخول القوات العثمانية المتقدمة لمدينة ماردين إذ يرى جلاد زادة مصطفى عن قيام ادريس البدليسي وعدد من الامراء الاكراد وهم جمشيد بك وقاسم بك بغارة عسكرية يعتقد انها كانت غارة استطلاعية وصلت إلى اطراف ماردين، فيما اشار منجم باشا ان ادريس البدليسي تمكن من دخول المدينة بعد مفاوضات سرية اجراها مع سكانها. نقلاً عن: علي، ولاية الموصل، ص ٥٠.

(٢) زكي، المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٣) العدول، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٤) الجميل، المصدر السابق، ص ٣٣٢-٣٣٣.

معركة قرة غين ددة سنة ١٥١٦

اعطت الهزائم العثمانية في ماردين الفرصــة للقائد الفارســي قرة خان بتحريك قواته باتجاه دياربكر مما اجبر القوات العثمانية تحت امرة محمد بيقلي باشـــا لمواجهة هذا التحدي فكانت المواجهة العســـكرية في ٤ أبار ١٥١٦ في موضـــع يقال له "قرة غين ددة"[١] توزعت القوات العسكرية ضمن خطة عسكرية وعلى الشكل التالي:

تولى قيادة الجناح الايسر للقوات العثمانية ادريس البدليسي والتي بلغ تعدادها (٤) آلاف مقاتل[٢]. خســرو باشــا على الميمنة، فيما اتخذ بيقلي باشــا مواقعه في القلب عندما دارت رحى معركة عنيفة منيت فيها القوات العسكرية الصفوية بالهزيمة[٣].

ترتب على هذه المعركة نتائج عدة لعل أبرزها توسـيع رقعة الاراضــي التي سـيطر عليها العثمانيون وتحديداً في مناطق شمال العراق وجنوب شرق الاناضول وهي كل من امارات خربوط ودوريكي وجرمك وســيوه رك واورمية واتك وجزرة وحيزان وتبليس وايفل وميافارقين وبالوا وكارزان ونيرة وحصـــن كيف واروفة. وتأخر الحاق ماردين حتى نيســـان ١٥١٧ حتى تمكن محمد بيقلي باشـا من السـيطرة عليها[٤]. كما دخلت مناطق اخرى تحت السـيطرة العثمانية مثل اربيل سـنجار كركوك وتلعفر وحديثة وعانة وهيت[٥]. وبذلك وصـــلت الحدود العثمانية إلى مســـافة (١٠٠)كم شـــمال غرب بغداد[٦]. أما بالنســبة لدخول الموصــل تحت الســيطرة العثمانية فالمعلومات قليلة ومتضــاربة حول تحديد تاريخ ثابت وعلى الاغلب فإن السـيطرة عليها كانت بعد معركة مرج دابق التي حدثت في ٢٨ اب ١٥١٦[٧].

---

(١) قرة غين ددة: تبعد حوالي (١٠-١٧)كم جنوب غرب ماردين. اوزتونا، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٢) انضوى تحت قيادة ادريس البدليسي عدد من الامراء والقادة وهم كل من: محمد بك امير ساسون وداؤد بك حاكم نميران وقاسم بك امير اكيل وامراء شيروان واحمد بك حاكم هتاخ وشاه ولد بك امير سليفاني. زكي، المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٣) ايفانوف، المصدر السابق، ص ٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٥) نظمي زادة، المصدر السابق، ص ١٩٧؛ ناظم بيك، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٦) اوزتونا، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٧) تحدد مصادر اخرى تاريخ السيطرة العثمانية على الموصل بسنة ١٥١٦. للمزيد يراجع: مراد، "الموصل بين السيطرة ، ص ١٥. إلا أن مصادر اخرى ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما ذكرت خطأ أن السيطرة العثمانية

ادرك السلطان سليم الاول صعوبة السيطرة على منطقة كردستان عسكرياً، لذلك فضل الطرق الدبلوماسية ووقع الاختيار على ادريس البدليسي للقيام بهذه المهمة عندما نجح في اقناع الامراء الاكراد بالموافقة على مشروعه الذي يقر ببقاء امراء الامارات الكردية في امارتهم وبموجب الفرمان الذي استلمه البدليسي من السلطان سليم الاول والذي اعطاه الصلاحية في التنظيم السياسي والاداري لكردستان، واضافة لهذا الفرمان ارسل السلطان سليم الاول اوراق بيضاء متوجة بـــ "العلامة السلطانية" ليملئها ويوزعها على من يشاء من الامراء الاكراد[1]. وعن ذلك يتحدث البدليسي "وجعلت ملوك وامراء جميع ممالك كردستان بدءً بأمراء برادوست الذين كانوا يتولون ولاية اورمية على الترتيب وانتهاء بملوك العمادية وسوراء ومملكة بهتان وكارزان وزوزكان والايوبيين يبايعون سلطان الاسلام بالعهود المؤكدة"[2].

وفي هذا المجال اكدت المصادر ان الاتفاقية العثمانية الكردية "اوجدت (١٦) امارة كردية مستقلة و(٥٠) سنجقاً كردياً وعدد من السناجق العثمانية..."[3] وبموجب التقسيم الاداري الجديد تم تقسيم الامارات الكردية إلى مجموعتين المجموعة الاولى تمتعت فيه الامارات بالاستقلال التام أو شبه التام من خلال تقديمها الولاء للسلطان العثماني مع اعطاء افراد هذه الامارة الحرية في "اختيار الامير الجديد من ابناء السلالة الحاكمة في حال غياب الوريث الشرعي أو في حالة وجود عدة مرشحين من دون تدخل عثماني أو غير عثماني"[4]. أما الامارات الداخلة ضمن المجموعة الاولى فاشتملت على امارات سوران، بوتان، جنكين، حكاري،

على الموصل كانت في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م). محمد امين بن خير الله الخطيب العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، حققه ونشره: سعيد الديوه جي، (الموصل، ١٩٦٧)، ص ١٣٤.

(١) كاميران عبد الصمد الدوسكي، كردستان في العهد العثماني في النصف الاول من القرن التاسع عشر، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ١٨.

(٢) نقلاً عن: العدول، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(3) A, Chaliand Gerard, in empire Ottoman the under Kurds the Kendal people with oley a country, (London, 1993), p. 14.

(٤) ناظم بيك، المصدر السابق، ص ٢٦.

محمدي، برادوســت، بادينان. أما المجموعة الثانية فكان على الاشــراف المحليون اختيار الامير الجديد من ابناء السلطة الحاكمة شرط اخذ موافقة الباب العالي(١).

أما اسباب اختيار السلطان سليم الاول للخيار الدبلوماسي في شمال العراق فترجع إلى الطبيعة الجغرافية للمنطقة كونها منطقة جبلية ووعرة فضلاً عن مناعتها(٢). أما ستانفورد شو فقدم ســبباً آخر عندما قال "اعتقد ســليم أن أي جهود لفتح بلادهم تتطلب على الارجح قوات اكبر من القوة التي يستطيع تكليفها بهذه المهمة..."(٣). يضاف إلى الأسباب سبب آخر وهو استياء الاكراد من سياسة اسماعيل الصفوي وتعامله معهم(٤).

كان لمعركة قرة غين ددة نتائج عديدة لعل أبرزها امتداد الســيطرة العثمانية–وكما ســبقت الاشارة اليه–إلى اراضي تقع شمال العراق وجنوب شرق الاناضول، مما ترتب عليه سيطرة الجولة العثمانية على مسالك نهرية وبرية ترتبط مع بغداد والبصــرة اللتان بقيتا تحت السيطرة الصــفوية، كما أثرت هذه المعركة بشـــكل أو بآخر على العلاقات التجارية للموصـــل مع المناطق الاخرى وتحديداً منطقة البحر المتوسط(٥).

اتسمت الاوضــاع السياسية للمناطق التي دخلت حديثاً تحت السيطرة العثمانية وتحديداً الموصــل بعدم الاســتقرار فضــلاً عن المخاوف من احتمالية اســتعادة الشــاه اسـماعيل الصــفوي الســـيطرة على هذه المناطق وتعززت تلك المخاوف في نيســـان ١٥١٧ بعد وصـــول عدد من التقارير إلى محمد بيقلي باشــا حاكم دياربكر من احد الجواســيس تفيد بإرســال الشــاه اســماعيل الصــفوي لتعزيزات عسـكرية إلى بغداد تحت قيادة جيان سـلطان للتباحث مع درويش خان حاكم بغداد حول الحملة المقبلة على الموصل. وفي السياق نفسه تلقى حاكم دياربكر تقريرين رسميين احداهما من محمد بك (سـنجق الموصـل) والآخر من بلال بك (سـنجق عانه) حذرا فيه من تقدم

---

(١) ناظم بيك، المصدر السابق، ص ٢٦.

(٢) علي، ولاية الموصل، ص ٩٤.

(3) Shaw, op.cit., p.82.

(٤) علي، ولاية الموصل، ص ٩٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٢–٥٣.

القوات الصفوية وحدد التقرير الاخير موعداً للهجوم الصفوي على الموصل بعد شتاء سنة ١٥١٧[١].

أمام هذه التطورات قرر السلطان سليم الاول توجيه حملة عسكرية سنة ١٥١٨ اسندت قيادتها إلى الصدر الاعظم بيري باشا والتي اتخذت من الموصل قاعدة عسكرية لإدارة العمليات العسكرية ضد الصفويين نجحت خلالها القوات العثمانية من السيطرة على اربيل وتكريت لتتقدم القوات العثمانية نحو سنجقي الديوانية والدليم التابعتين ادارياً لايالة بغداد في الوقت الذي بقيت فيه كل من خانقين والسليمانية تحن السيطرة الصفوية[٢].

المبحث الثاني

حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد سنة ١٥٣٤

- حركة ذو الفقار الاستقلالية ١٥٢٤-١٥٣٠:

اعتلى السلطان سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية (١٥٢٠-١٥٦٦) حيث وصلت الدولة في عهده إلى أوج توسعها وقوتها، ولم تمضي فترة طويلة حتى كانت وفاة الشاة اسماعيل الصفوي حتى تبوأ ابنه الشاه طهماسب عرش الدولة الصفوية (١٥٢٤-١٥٧٦) وبسبب انشغال السلطان سليمان القانوني بفتوحاته بالجبهة الاوربية حاول انتهاج الاسلوب الدبلوماسي بالتقرب إلى الدولة الصفوية عندما ارسل وفداً لمباركة الشاه طهماسب لمناسبة اعتلائه عرش هذه الدولة. إلا انه لم يسقط من حساباته مشروع السيطرة على العراق[٣].

وكما سبقت الاشارة اليه فإن الشاه اسماعيل الصفوي أوكل ادارتها إلى ابراهيم خان (١٥٠٨-١٥٢٤). أما عن طبيعة الحكم في العراق الاوسط والجنوبي فامتازت بالضعف وعدم

(١) علي، ولاية الموصل، ص ٥٦-٥٧.

(٢) فاضل مهدي بيات، "تكريت في العهد العثماني"، موسوعة مدينة تكريت، ج٤، ط١، (د.م، د.ت)، ص ٥٠.

(٣) القهواتي، المصدر السابق، ص ٧٨.

الاستقرار مما هيأ الفرصة لإحدى الشخصيات الكردية ويدعى ذو الفقار رئيس عشيرة الموصللو (موسللو). ليقوم بحركة بارعة اغتال فيها حاكم بغداد ضمن قوة عسكرية لا تتجاوز (٣٠٠) فارس وبعد مقتل حاكم بغداد اعلن ذو الفقار نفسه حاكماً عليها[١].

ادرك ذو الفقار علي ومنذ بداية حركته ضعف امكانياته العسكرية في مواجهة الدولة الصفوية لذلك سارع إلى التقرب إلى السلطان سليمان القانوني عندما أمر بذكر اسم السلطان في الخطبة فضلاً عن ضرب النقود باسمه كما ارسل له السفراء ومفتاح بغداد[٢].

اما عن موقف الشاه طهماسب من هذه الحركة فقد وجه جيش سنة (١٥٣٠) باتجاه بغداد التي فرض عليها حصاراً قاسياً، إلا أن هجمات الجيش الصفوي فشلت أمام صلابة ومقاومة ذو الفقار، إلا أن الخيانة لعبت دورها في استعادة السيطرة الصفوية على بغداد سنة (١٥٣٠) عندما استعان الشاه طهماسب بأخوة ذو الفقار وهم كل من علي بك واحمد بك اللذان تمكنا من قتل ذو الفقار[٣]. وبمقتل ذو الفقار علي دخل الشاه طهماسب بغداد حيث عين محمد تلكوا خان حاكماً على بغداد، كما عمد إلى اختيار بعض من الشخصيات الفارسية حكاماً على عدد من المدن العراقية حيث عين غازي خان حاكماً على كركوك وكلهر ومندلجين وقانصوه بك على واسط وما جاورها كما عين سيد سلمان كمونة بك حاكماً على الحلة. كما اهتم بالإشراف على تنظيمات الجيش الموجود في بغداد وقفل راجعاً إلى قزوين[٤]. رغم استعادة طهماسب السيطرة على بغداد وعدد من المدن العراقية إلا ان السيطرة الصفوية لم تكن شاملة على جميع المدن ومنها البصرة التي لم تمتد إليها السيطرة الصفوية[٥].

---

(١) للمزيد يراجع: طارق احمد شيخو الهسنياني، الدولة العثمانية والمشرق العربي في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م)، رسالة ماجستير، كلية التربية، (جامعة الموصل، ٢٠٠٨)، ص ٧٣.

(٢) القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ٨٠.

(٣) كافأ الشاه طهماسب الاخوين علي بك واحمد بك بإعطائهما الهدايا والمناصب. وفي هذا المجال اقطع الشاه طهماسب علي بك مقاطعة جرباوة قرب قم كإقطاع له. المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٤) نظمي زادة، المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٥) في سنة ١٥٢٩ وجه البرتغاليون حملة عسكرية وبالاتفاق مع حاكم البصرة تولى قيادتها القائد البرتغالي ملبشور تافو زدي سوزا Zdi Souza Tavo Melchate إلا ان هذه الحملة منيت بالفشل بسبب عدم التزام حاكم البصرة بوعوده للبرتغاليين. ج.ج.لوريمر، دليل الخليج، ج١، قسم الترجمة بمكتب امير قطر، (د.ت)، ص ١٥، ص ١٦.

حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد سنة ١٥٣٤:

قبل الحديث عن الحملة السلطانية التي قادها السلطان سليمان القانوني والتي عدت من اكبر واطول العمليات العسكرية التي قام بها الجيش العثماني في شرقي الدولة وتسمى في التاريخ العثماني بـــ (عراقيين سفري) بحكم انضواء عراق الغرب[١] وعراق العجم[٢] للدولة العثمانية وقبل الخوض في تفاصيل هذه الحملة لابد من القاء نظرة سريعة على اسباب هذه الحملة والتي يمكن ايجازها بالنقاط التالية:

- تغير الولاء:

تغيير ولاء بعض الولاة أي خيانة هؤلاء الولاة لأسيادهم والذي عدته المصادر سبباً مباشراً للحملة وكمثال على ذلك لجوء الوالي الفارسي اولامه تكلو خان[٣] إلى السلطان العثماني سليمان القانوني فعلى اثر وفاة الشاه اسماعيل الصفوي وتنصيب القزلباش ابنه طهماسب شهدت بلاد فارس اضطراباً في الاوضاع السياسية مما أعطى الفرصة لبعض الزعامات لرفع لواء العصيان ومنهم اولامه تكلو خان امير اذربيجان والذي اتجه إلى قزوين محاولاً فرض نفسه بالقوة وبعد افتضاح امره قرر التوجه إلى منطقة وان[٤] ومن هناك عرض الطاعة على السلطان سليمان القانوني. ولتأمين وصول اولامه تكلو واتباعه ارسل السلطان القانوني حاكم تبليس[٥] الامير شرف

---

(١) عراق العرب: ويطلق على المنطقة السهلية على حوض نهر دجلة والفرات.

(٢) عراق العجم: ويفصلها عن عراق العرب سلسلة جبال كرمنشاه والري واصفهان وقزوين وتعرف هذه المنطقة تاريخياً باسم (اقليم الجبل).

(٣) اولامه تكلو خان: بدأ حياته موالياً للسلطان العثماني بايزيد الثاني، إلا انه انقلب في ولائه السياسي بعد ظهور الشاه اسماعيل الصفوي جرى تعيينه في عدد من الوظائف الادارية كان آخرها حاكماً لأذربيجان. للمزيد يراجع: حسين محمد القهواتي، "حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد ١٥٣٤"، مجلة المورد، م٨، العدد ٤، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٧٣.

(٤) وان: تقع في تركيا الاسيوية (الاناضول). ش. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار بن حزم، ط١، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ٤٨٦.

(٥) تبليس: مدينة تقع جنوب بحيرة وان، كانت ذات موقع استراتيجي مهم بحكم اشرافها على الطريق الذي يربط الاناضول بأذربيجان. محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ط١، دار النفائس، (بيروت، ٢٠٠٨)، ص ٢١٠.

الذي التقى بأولامه تكلو بالقرب من وان. وفي هذه الاثناء وصلت إلى مسامع الامير شرف محاولات اولامه تكلو للاتصال بالشاه طهماسب مطالباً فيها العفو من الأخير مما ادى إلى توتر العلاقات بينهما. وبعد وصول اولامه تكلو إلى استانبول عمد إلى اثارة السلطان سليمان القانوني ضد الامير شرف فأصدر السلطان سليمان القانوني اوامره بعزل الامير شرف وتعيين اولامه تكلو حاكماً لتبليس عندها عمد الامير شرف إلى اعلان ولائه للشاه طهماسب وذلك سنة ١٥٣٢[١].

- **العامل الاقتصادي:**

محاولات العثمانيين المتكررة لضرب الاقتصاد الفارسي من خلال السيطرة على طريق الحرير تبريز –أرضروم–طوقاد–الاناضول–بورصة. ومن الجدير بالذكر ان هذا الطريق ومنذ حملة السلطان سليم الاول قد اصبح سالكاً أمام التجار، إلا أن محاولة الصفويين استعادة ما فقدوه في هذه الحملة جعل هذا الطريق معرضاً للخطر، مما أجبر السلطان سليمان القانوني على التدخل العسكري لضمان بقاء هذا الطريق سالكاً. كما حاول العثمانيون السيطرة على طريق التوابل البصرة، بغداد، حلب [٢] وما كان يتعرض له من مخاطر أولها: الخطر البرتغالي في خليج البصرة فيما سيطر الصفويون على الاجزاء البرية من هذا الطريق وبالتالي فإن السيطرة على طريق التوابل كانت من اولويات الاهتمام العثماني[٣]. يضاف إلى ذلك فإن ايصال النفوذ العثماني إلى البصرة يعني سيطرة العثمانيين على الطريق البحري بين الشرق الاوسط والهند[٤].

٤– رسائل الاسترحام التي كانت تصل إلى السلطان العثماني داعية اياه إلى انقاذ بغداد من السيطرة الفارسية[٥].

---

(١) انعم الشاه طهماسب على الامير شرف خان بلقب مير ميران. للمزيد ينظر: فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً ومطلع العهد العثماني اواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٧)، ص ٢٥٦.

(٢) بيات، الدولة العثمانية، ص ٢٥٨.

(٣) الهسنياني، الدولة العثمانية والمشرق العربي، ص ٧٧.

(٤) بيات، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(٥) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص ٥٥.

٥- استياء السلطان سليمان القانوني من تحسن العلاقات بين الشاه طهماسب وامبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة الملك شارل الخامس[١].

مع توتر العلاقات العثمانية-الصفوية كان العثمانيون مشغولين بعملياتهم العسكرية في الجبهة الاوربية لذلك كان لابد من تعليق العمليات العسكرية في الجبهة الاخيرة طالما ان الحرب مع الصفويين اصبحت حالة واقعة. لذلك قام السلطان سليمان القانوني بتسوية خلافاته مع أوربا ومنها النمسا بالتوقيع على معاهدة سنة ١٥٣٣[٢].

أما فيما يخص الحملة العسكرية نحو بغداد والتي اسندت قيادتها إلى الصدر الاعظم ابراهيم باشا[٣] والتي كان من المقرر ان تكون الموصل نقطة لانطلاقها نحو وسط وجنوب العراق. إلا ان اسكندر بك الدفتري[٤] الذي كان مرافقاً للحملة العسكرية اعترض على ذلك وكانت وجهة نظره تقوم على تغيير وجهة الحملة العسكرية نحو تبريز وفي حال سقوطها تسقط بغداد لا محالة. وترجح المصادر ان قبول الصدر الاعظم لاقتراح اسكندر الدفتري كان على مضض ولتفادي وقوع المشاكل اثناء سير الحملة[٥].

---

(١) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج١، (القاهرة، ١٩٨٤)، ص ٣٢٦.
(٢) للمزيد يراجع: اوزتونا، المصدر السابق، ص ٢٧٠-٢٧٩.

(٣) إبراهيم باشا: ولد سنة ١٤٩٣ من أبوين نصرانيين، وهو يوناني الأصل كان ابن لأحد البحارة، وقع في إحدى الرحلات البحرية أسيراً بيد البحارة الأتراك والذي بيع إلى امرأة في مفنيسيا والتي اعتنت بتربيته، تعلم إلى جانب اللغة التركية اللغة العربية والفارسية، قدم إلى الأمير سليمان بن السلطان سليم كأحد الأرقاء فأدخله في حزبة (السراي الهمايوني)، تدرج في المناصب الإدارية وكان مقرباً إلى السلطان سليمان القانوني، تولى منصب الصدر الأعظم بناءً على رغبة السلطان سنة ١٥٢٣ واستمر في هذا المنصب حتى مقتله سنة ١٥٣، وبأمر من السلطان سليمان. للتفاصيل يراجع: وبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ج١، دار الفكر للدراسات والنشر (القاهرة، ١٩٩٢)، ص ٢٢٣-٢٢٤؛ أندريكلو، غازي، الغزاة سليمان القانوني، ترجمة: محمد الزروقي، دار التركي للنشر، (تونس، ١٩٩١)، ص ١٢٢؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، "السلطانة الروسية في البلاط العثماني"، مجلة العربي، الكويت، العدد ١٩٨٢، ص ٩١؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة إبراهيم، م١٠، ص ٤٥-٤٧.

(٤) بعد دخول السلطان سليمان القانوني أمر بإعدام اسكندر الدفتري، ولم تتفق المصادر حول اسباب اعدامه ويبدو ان اعدامه كان بتحريض من الصدر الاعظم ابراهيم باشا. القهواتي، العراق بين احتلالين، ص ١٢١.
(٥) علي، المصدر السابق، ص ٧٧.

وقبل انطلاق الحملة ارسل السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٣ قوة استطلاعية نحو اذربيجان اسندت قيادتها إلى اولامه بك. وما أن وصلت من الاخير انباء مشجعة حتى صدرت الاوامر من السلطان سليمان القانوني إلى الصدر الاعظم بالتوجه على رأس حملة عسكرية قدر عددها بـ (٨-٩) آلاف مقاتل[١].

في ٢١ تشرين الاول ١٥٣٣ انطلقت الحملة من مدينة قونية حلب إلى ديار بكر قاصداً تبريز التي سقطت في ١٣ تموز ١٥٣٤ دون اي قتال يذكر. حيث جرى تعيين اولامه تكلو حاكماً عليها[٢].

وما ان علم الشاه طهماسب الذي كان مشغولاً بقتال الاوزبك بسيطرة ابراهيم باشا على تبريز حتى بادر إلى عقد صلح مع الاوزبك[٣] ليتفرغ لمواجهة الجيش العثماني في تبريز، الأمر الذي أثار مخاوف الصدر الاعظم الذي أرسل إلى السلطان سليمان يستقدمه على جناح السرعة لعدم استطاعته لوحده من مواجهة الشاه طهماسب وجيشه العائد من جهات خراسان[٤].

وهكذا أعد السلطان حملة عسكرية متوجهاً نحو السلطانية التي وصلها في ١٣ تشرين الاول ١٥٣٤ لتكون محطته التالية قزوين[٥]. في ظل ظروف مناخية صعبة اضطر الجيش العثماني إلى دفن العديد من المدافع في الارض كمحاولة لمنع الجيش الصفوي من الاستفادة منها، فضلاً عن هلاك الكثير من الحيوانات التي كانت تتولى حمل المؤن والذخائر للجيش العثماني[٦]، مما ادى إلى خلق حالة من التذمر بين صفوف الجيش العثماني إلى الحد الذي

---

(١) الهسنياني، الدولة العثمانية والمشرق العربي، ص ٧٩.

(٢) المحامي، المصدر السابق، ص ٩٠؛ اوزتونا، المصدر السابق، ص ٣٤٠.

(٣) للمزيد يراجع: طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص ٩٠-٩١.

(٤) القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ٩٢. فيما ذكرت مصادر اخرى عن حدوث تمرد في صفوف الجيش العثماني عندما رفض عدد من القادة القتال ما لم يشترك السلطان سليمان القانوني في القتال وكانت مطالبهم "لا يقابل السلطان إلا السلطان، فنحن لا نقاتل سلطان العجم ما لم يكن السلطان معنا". نقلاً عن: علي، ولاية الموصل، ص ٧٧.

(٥) كان الشاه طهماسب قد قام بنقل العاصمة من تبريز إلى قزوين. القهواتي، حملة السلطان سليمان القانوني، ص ٧٤.

(٦) ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية: جعفر الخياط، مكتبة اليقظة العربية، ط٦، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٣٦.

طالب فيه البعض بالعودة ازاء هذا التوتر والظروف المناخية السيئة جاء قرار السلطان بالتوجه إلى الموصل عن طريق شهرزور لقضاء الشتاء فيها[١].

وخلال هذه الفترة وصل وفد إلى السلطان سليمان القانوني من الحامية الفارسية المتواجدة في بغداد يحمل اليه مفاتيحها. ومن الجدير بالذكر ان الصدر الاعظم ابراهيم باشا كان قد ارسل وفداً يحمل رسالة من اولامه تكلو إلى حاكم بغداد محمد تكلو خان كمحاولة من الاول لاستمالة حاكم بغداد ودعوته إلى تقديم الولاء للسلطان العثماني[٢]. ويبدو ان محمد خان كان يدرك ضعف امكانياته الدفاعية خاصة بعد اضطراب الاوضاع داخل بغداد وتحديداً الحامية الفارسية بعد وصول اخبار تقدم الجيش العثماني إلى العراق والتي كانت تصلها عن طريق الرسائل التي كان يرسلها الصدر الاعظم ابراهيم باشا واولامه تكلو لإضعاف معنويات الجيش الفارسي المرابط في بغداد والتي ادت بالفعل إلى انقسام قبيلة تكلو[٣] المتواجدة في بغداد إلى مجموعتين المجموعة الاولى تؤيد الشاه أما الثانية فتؤيد السلطان العثماني[٤] وفي هذه الاثناء وصل رسول الشاه إلى حاكم بغداد يدعوه إلى التوجه مع قبيلته إلى قزوين[٥]. لما عرض الاخير الامر على قبيلته رفضت الاوامر وتحصنوا في المدرسة المستنصرية ليكون ذلك ايذاناً بإعلان الثورة[٦].

ازاء هذا التطور الخطير لم يكن بإمكان حاكم بغداد والحالة هذه الدفاع عن المدينة في نفس الوقت لم يكن بإمكانه المغادرة[٧]، لذلك لجأ إلى خطة تنم عن دهاء سياسي عندما تظاهر أمام قادة الثورة بأنه قرر تسليم بغداد إلى السلطان العثماني ولإحكام خطته طلب من قادة الثورة تنظيم وفد للذهاب لمقابلة السلطان العثماني واستقدامه إلى بغداد. وبالفعل انطلت هذه الحيلة

---

(١) للمزيد حول خط سير الحملة العثمانية يراجع: البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٢.

(٢) نظمي زادة، المصدر السابق، ص ١٩٨؛ لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٣) قبيلة تكلو: مناطق تواجدها قونية في اسيا الصغرى لينتشر افرادها في امارة تكلة جنوب الاناضول برز منها الشيخ بابا حسن خليفة الذي كان من ابرز دعاة الحركة الصوفية في الاناضول. للمزيد يراجع: طقوش، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٥) البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٢.

(٦) ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: فؤاد جميل ومصطفى جواد، ج٢، ط١، (بغداد، ١٩٦١)، ص ٣١٧.

(٧) نظمي زادة، المصدر الساق، ص ١٩٩.

على قادة الثورة وذهب الوفد لمقابلة السـلطان سـليمان القانوني. فانتهز محمد تكلو خان خلو المدينة من المعارضـين فجمع رجاله وحاشـيته سـالكاً طريق الحلة–البصـرة متوجهاً إلى الامارة المشعشعية[١] التي ساعدته في الوصول إلى بلاد فارس[٢].

كان السـلطان سـليمان القانوني وعند سـماعه عن وصـول الوفد القادم من بغداد والذي يحمل مفاتيح بغداد في سـهل ماهي دشـت قرب كرمان تحرك باتجاه بغداد التي دخلها دون قتال في شـهر كانون الاول ١٥٣٤ [٣]. ومن الجدير بالذكر ان السـلطان سـليمان القانوني منع جيشـه من دخول بغداد خشية حدوث اعمال السلب والنهب[٤].

دخول البصرة تحت السيطرة العثمانية:

في اعقاب سـيطرة السـلطان سـليمان القانوني على بغداد كان امير البصـرة راشـد بن مغامس احد الذين قصدوا السلطان العثماني معلناً خضوعه له. وفي سنة ١٥٣٨ ارسل راشد بن مغامس ولده مانع ووزيره محمد وقاضـي عسكري لتقديم الولاء من جديد للسـلطان العثماني حيث اعترف الاخير بإمارة راشد بن مغامس بشرط ذكر اسمه في الخطبة وان تضرب النقود باسمه وان يدفع مبلغاً من المال للخزينة العثمانية مع ضمان حفظ البصرة واطرافها من اي تهديد خارجي[٥].

ان اعتراف السـلطان العثماني بهذه الصـفة من الولاء لم يكن إلا واقع حال[٦] فرضـته ظروف الحملة العثمانية نحو بغداد والتي تدخل–وكما سـبقت الاشـارة اليه–ضـمن جهود الدولة

---

(١) الامارة المشـعشـعية: احدى الامارات المحلية التي يرقى تأسيسـها إلى سـنة ١٤٣٦م، امتدت سـيطرتها على مناطق واسـعة من الاحواز ووسـط وجنوب العراق. اسـتمرت حتى نهايات القرن الثامن عشـر. للمزيد يراجع: الجابري، المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٣) لم تتفق المصـادر حول تحديد تاريخ ثابت لدخول السـلطان سـليمان القانوني بغداد. للمزيد يراجع: اوزتونا، المصـدر السـابق، ص ٣٤١؛ فاضـل مهدي بيات، دراسـات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، ط١، دار المدار الاسلامي، (ليبيا، ٢٠٠٣)، ص ٣٧.

(٤) لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٨.

(٥) سليمان فائق، تاريخ المنتفك، نقله إلى العربية: محمد خلوصي الناصري، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٦١)، ص ١١–١٢.

(٦) لونكريك، المصدر السابق، ص ٤٧.

العثمانية لتقويض الوجود الصـفوي في المنطقة، إلا ان واقع الحال سـرعان ما تغير بعد سـيطرة البرتغاليين على عدد من الامارات والمدن السـاحلية في الخليج العربي فضـلاً عن تماديهم في سـياسـتهم الضـرائبية المجحفة بحق عرب عمان والبحرين ومسـقط فضـلاً عن تحالفه مع الصفويين[١]. ثم جاءت المحاولة البرتغالية الفاشلة للسيطرة على البصرة سنة ١٥٢٩ –التي سبقت الاشارة اليها–والتي كان هدفها الرئيس ضرب التجارة العثمانية في البصرة[٢].

ويسـتشـف من التوجهات العثمانية في منطقة الخليج العربي ان العثمانيين كانوا يعدون العدة للوصول إلى سواحل الخليج العربي من خلال السيطرة على البصرة واتخاذها نقطة انطلاق نحو الخليج العربي ولم يحل دون تحقيق هذا الهدف سـوى وجود كيان مسـتقل في حكم البصـرة (آل مغامس)[٣].

والمهم من كل هذا، معرفة مدى التزام امير البصـرة بالتبعية العثمانية وفي هذا المجال ذكرت المصـادر ان راشـد بن مغامس التزم بوعوده التي قطعها للسـلطان سـليمان القانوني عندما قام بسك النقود باسم السلطان سليمان كما انه قرأ الخطبة باسمه وبعد وفاته آلت امور البصـرة إلى ابنه مانع الذي اضطر إلى التنازل عن موقعه ليحيى بن فضل شيخ بني امان والذي تجاهل امراً من والي بغداد اياس باشا والذي يقضي بتسليم عدد من الجناة كانوا قد التجأوا إلى البصرة[٤]. مما عد في نظر السلطات العثمانية بمثابة عصيان للدولة. فصدرت الاوامر إلى والي بغداد اياس باشا سنة ١٥٤٦ بقيادة حملة عسكرية ضد حاكم البصرة الذي سار بـ (٣٠٠) مركب نهري وقوة

---

(١) كان حاكم هرمز شرف الدين احد الذين وفدوا إلى السلطان سليمان القانوني عند دخوله بغداد سنة ١٥٣٤م وخلال لقائه هذا طالب السلطان العثماني بإرسال المساعدات العسكرية العاجلة لمواجهة الهجمات البرتغالية. والذين احكموا سيطرتهم ومنذ مطلع القرن التاسع عشر على مناطق مهمة من الخليج العربي. للمزيد يراجع: اوزبران، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٢) للمزيد يراجع: طارق الحمداني، "تجارة البصـرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السـادس عشر"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٤، نيسان، ١٩٨٣، ص ٦٣–٦٦.

(٣) بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، ص ٢٦٦.

(٤) سبق ذلك قيام يحيى بن فضل بالتحالف مع سيد عامر احد الامراء المشعشعيين وحاكم منطقة الزكية (شمال القرنة) عندما رفض الاخير الاوامر الصـادرة من اياس باشـا بإقامة حصـن في منطقة الزكية. عندها وجه حاكم بغداد قوة عسـكرية بقيادة حريم بك تمكنت من السـيطرة على الزكية. اوزبران، المصـدر السـابق، ص ٣١.

عسكرية تألف من (١٠) آلاف مقاتل سلكوا طريق البر لم يتمكن يحيى بن فضل من الصمود قرر الهروب باتجاه نجد[١]. حيث تمكن بن اياس من دخول البصرة في ٢٦ كانون الثاني ١٥٤٦[٢].

بعد دخول البصرة تحت السيطرة العثمانية بادر بن اياس إلى الغاء الضرائب المفروضة على الاهالي واكتفى بالضرائب الشرعية[٣]، وعين بلال محمد باشا حاكماً على البصرة. فيما لم يجري اي تغيرات حتى سنة ١٥٥٢ عندما نهضت البصرة كايالة (ولاية) مستقلة[٤].

كانت البصرة مسرحاً للثورات العشائرية وبسبب الطبيعة الجغرافية للمنطقة–كثرة الاهوار والمستنقعات–فشلت جهود السلطات العثمانية في وضع نهاية لهذه الثورة. وتعد ثورة علي آل عليان كبير مشايخ الجزائر[٥] سنة ١٥٤٩ واحدة من اقوى الثورات العشائرية عندما كلفت السلطات العثمانية والي بغداد تمرد علي باشا بقيادة حملة عسكرية للقضاء على الثورة والحق بهذه القوات قوات انكشارية تولى قيادتها والي سيواس محمد باشا البالطه جي[٦]. وامام ضخامة هذه القوات اضطر بن عليان للانسحاب لتسيطر القوات العثمانية على القرنة معقل بن عليان[٧]. لم تكن خسائر بن عليان نهاية للثورة التي سرعان ما اندلعت من جديد سنة ١٥٦٤ والتي تزامنت مع نشاطات عسكرية برتغالية شمال الخليج العربي. لذلك اصدر السلطان سليمان القانوني امراً سلطانياً بتكليف والي بغداد اسكندر باشا بتوجيه حملة عسكرية للقضاء على بن عليان ومما جاء فيه: "لقد وصلت الينا معلومات تؤكد وقوع البصرة تحت سيطرة اناس من ذوي الافعال السيئة بعد

---

(١) المصدر نفسه، ص ٣١؛ لونكريك، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢) علي، ولاية الموصل، ص ٨٦.

(٣) لونكريك، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٤) كانت القطيف احدى السناجق التي أنضوت ادارياً تحت لواء ايالة البصرة كما انها استخدمت في الوثائق العثمانية للإشارة إلى اقليم الاحساء بأكمله. للمزيد يراجع: علي شاكر علي، "التنظيمات الادارية العثمانية في ايالة البصرة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٥، ١٩٨٣، ص ١٢٩. وفي سنة ١٥٥٤ انفصلت الاحساء عن البصرة لترتفع درجتها الادارية من سنجق إلى ايالة مستقلة. علي، التنظيمات الإدارية، ص ١٣٠.

(٥) الجزائر: وهي المنطقة الواقعة بين واسط والقرنة. مراد، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٦) لونكريك، المصدر السابق، ص ٤٨؛ القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ١٥٢.

(٧) القهواتي، العراق بين الاحتلالين ، ص ١٥٥.

الاتفاق مع الافرنج-يقصد بهم البرتغاليين-... لذا امرتك بقيادة حملة يشترك فيها خمسة من حكام سناجق ولاية شهرزور، وستة من حكام سناجق دياربكر..."[1]. وإذا كانت الحملة قد نجحت وبشكل مؤقت في استتباب الأمن في ايالة البصرة إلا أن الثورة سرعان ما عادت لتندلع من جديد ولم يجد العثمانيون وسيلة غير اقناع بن عليان بإعطائه "حكم قلعة جارور مع قائمة طويلة من الالقاب التشريفية"[2].

- اعمال السلطان سليمان القانوني في بغداد

مكث السلطان سليمان القانوني في بغداد مدة اربعة اشهر، توافدت اليه الوفود من انحاء الولايات العراقية والاقطار المجاورة لتهنئته بفتح بغداد[3]. كما قام ببعض الاعمال العمرانية منها توسيعه لمرقد الامام ابي النعمان[4]، والحق بالمرقد مدرسة وزاوية وجامع ولحماية زوار المرقد كما امر بوضع حامية قربه فضلاً عن بناء سور حول المرقد. كما زار عدد من المراقد منها مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني وكلف المعمار سنان باشا[5] بتشييد قبة للمسجد فانجز هذا المعمار بناء دار السبيل والقبة البيضاء[6] ثم قصد مدينة كربلاء زار فيها مرقد الامام موسى الكاظم حيث امر بتعمير المرقد وانشاء منارة للمرقد ومن كربلاء سلك الطريق الصحراوي ليصل النجف التي

---

(١) علي، ولاية الموصل، ص ٨٧-٨٨.

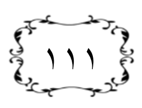
(٢) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٣) نظمي زادة، المصدر السابق، ص ٢٠٤. كان من ضمن هذه الوفود امراء الحلة وداقوق وكركوك والرها وحصن كيفا وحكام شهرزور. للمزيد يراجع: البدليسي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٣-١٦٤.

(٤) لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٤١.

(٥) المعمار سنان: ولد سنة ١٤٨٩ في قرية اغرناص التابعة لولاية قيصرية وسط الاناضول، التحق في طفولته بمدرسة (عجمي اوغلاندر) لتعليم القراءة والفنون التطبيقية حيث اختار النجارة، عين كبير معماري الخاصة السلطانية خلال المدة (١٥٣٩-١٥٨٨) قدرت احد المصادر مجموع الاعمال المعمارية التي قام بإنجازها بـ (٣٦٤) مبنى في انحاء الدولة العثمانية. للمزيد يراجع: نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي، "المعمار العثماني سنان(١٤٨٩-١٥٨٨)"، المجلة الأكاديمية العراقية، العدد ٢، م١٧، (شباط، ٢٠١٠)، ص ٢٣٣-٢٥٦.

(٦) القهواتي، العراق بين الاحتلالين ، ص ١١٠.



زار فيها مرقد الامام علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) لتكون محطته التالية الكوفة ثم الحلة التي غادرها إلى بغداد[1].

ومن اعماله الاخرى قيامه برفع مستوى (روف السليمانية) وهي سدة في مدينة كربلاء تم انجازها لوقاية المدينة من الفيضـــان كما تم توســـيع النهر المعروف بالحســـينية إذ جرى تعميق فروعه وتنظيفها.

وفي بغداد جرى تعيين اول والي عثماني وهو سليمان باشا الطويل[2] وزود الحاكم الجديد بحامية عسـكرية تألف من (١,٠٠٠) جندي مزودين بكامل اسـلحتهم و(١,٠٠٠) فارس، وأمدهم بالمؤمن الكافية للدفاع عن المدينة فيما لو تعرضـت لهجوم فارسـي جديد كما كافأ عدد كبير من القادة العســـكريين والجنود الذين ابلوا بلاءً حســـناً في الحملة على بغداد بإقطاعهم التيمارات[3] والزعامات[4]، واليه يعود الفضل بتنظيم الاملاك الخاصة بالأوقاف[5]، كما اعفى اهالي بغداد من عدد من الضرائب والرسوم[6].

---

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، من بداية العهد العثماني حتى منتصـــف القرن التاسع عشر، دار الراشد، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص ٥٧.

(٢) سـليمان باشـا الطويل: مجري الاصـل، اعتنق الاسـلام، كان والياً على دياربكر، قدم لإبراهيم باشـا (الصـدر الاعظم) معلومات دقيقة عن بغداد قبل توجه الاخير ســنة ١٥٣٤. بيات، دراســات في تاريخ العرب، ص ٤٠.

(٣) التيمار: وهي الارض التي تتراوح ايرادها الســنوي بين ٣,٠٠٠–٢٠,٠٠٠ اقجة. وكان على المقطع أن يقدم إلى الجيش العثماني وقت الحرب عدد من الفرسان بين ٢–٤ فارس بكامل اسلحتهم. علي، المصـدر نفسـه، ص ٢٦٣.

(٤) الزعامت: وهي الارض التي تدر دخلاً سنوياً يتراوح بين ٢٠,٠٠٠–١٠٠,٠٠٠ اقجة. وعلى المقطع أن يقدم للجيش وقت الحرب عدد من الفرســان وبمعدل فارس واحد عن كل ٥٠,٠٠٠ اقجة. علي، ولاية الموصـــل، ص ١٥٣.

(٥) ايفانوف، المصدر السابق، ص ٨٩؛ بيات، تكريت في العهد العثماني، ص ٥١.

(٦) عطا ترزي باشـــي، "اقدم وثيقة عثمانية عن بغداد"، مجلة المورد (بغداد)، م٨، ع٤، ١٩٧٩، ص ٥٢١–٥٢٤.

الواقع الإداري للأيالات العراقية في القرن السادس عشر

بعد أن أكمل السلطات سليمان القانوني السيطرة على العراق كان في مقدمة اعماله إدخاله للنظام الاقطاعي[١] الذي كان سائداً في ارجاء الدولة العثمانية إلا أن أبرز الإنجازات التي حققها السلطان وتحديداً الإدارية[٢]، فيمكن إجازها من خلال تقسيم العراق إلى عدد من الإيالات[٣] وعلى الشكل التالي:

أ- إيالة بغداد:

والتي قسمت بدورها إلى ثمانية عشر سنجقاً[٤] وعلى الشكل التالي:

بغداد وهي مركز اللواء، زنك أباد ومن توابعها قزلباط (السعدية)، الجوازر[٥]، الرماحية (جنكولة)[٦]، قرة طاغ أو (قرة داغ) وهي الآن في محافظة السليمانية، الحلة، درنتك[٧]، السماوة،

---

(١) ادخل سليمان القانوني هذا النظام الذي كان معروفاً في باقي الايالات العثمانية، وبموجبه جرى منح التيمارات والزعامات إلى الجنود الذين أظهروا البطولة في المعارك الأخيرة. القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ١١٩.

(٢) وبموجب هذا التقسيم قسم العراق إلى أربعة وحدات إدارية عرفت بـ (الايالات) كانت اولاها بغداد التي ظهرت كأيالة مستقلة سنة ١٥٣٥، البصرة سنة ١٥٣٨ الموصل سنة ١٥٣٩، شهرزور سنة ١٥٥٤. علي، ولاية الموصل ، ص ٨٤، ص ١١٥.

(٣) الايالة: اكبر وحدة ادارية في الدولة العثمانية يتولى ادارتها حاكم يعرف بكلربكي (بك البكوات) وغالباً ما كانت تستبدل بكلمة "ولاية" العربية وتقسم الايالة إلى وحدات ادارية اصغر وهي "السنجق والقضاء والناحية والقرية".

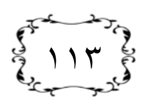
Rederic H. Davison, Reform in the ottoman empire 1656-1856 (New Jersey, 1936), p. 146

(٤) السنجق Sanjaks: وهي الوحدة الأساسية في إدارة الايالة وغالباً ما تبدل كلمة السنجق بكلمة (القلم) والتي كثر استخدامها في الوثائق الرسمية العثمانية. خليل علي مراد، تاريخ العراق ، ص ٤٥.

(٥) الجوازر: تقع في جنوبي شرقي النجف.

(٦) جنكولة: تقع في النهاية الجنوبية لجبال بشتكوة الايرانية.

(٧) درنتك: وهي الآن ضمن الأراضي الإيرانية والمعروفة بحلوان.



بيان[1]، ده بالا، درنه، واسط، كرند (كرنت)، دميرقبو[2]، قزانية (قرب مندلي)، كيلان، آل صالح (كفري الحالية)، العمادية[3].

ب- ايالة الموصل:

تذكر المصادر ان الفضل في تقسيم هذه الايالة إلى سناجق يعود إلى ادريس البدليسي وإن اختلفت المصادر في تحديد أعداد هذه السناجق إلا أن أقرب الآراء إلى الصحة هو أن هذه الايالة قسّمت إلى خمسة سناجق وهي: اسكي موصل، تكريت، زاخو، عانة، كشاف.

ج- ايالة البصرة:

تختلف المصادر التاريخية حول تقسيم البصرة إلى وحدات إدارية عندما تذكر انها ظلت وحدة إدارية واحدة يحكمها الوالي، الذي كان يستلم راتباً شهرياً على شكل سالیانه وتعزو المصادر عدم تقسيمها إلى سناجق إلى تركيبها العشائري[4].

فيما تذكر مصادر أخرى ان ايالة البصرة وخلال المدة ١٥٥١-١٥٥٢ كانت مؤلفة من ثمانية سناجق وهي لواء البصرة شرش، قطيف، غراف، صدرسويب[5]، زكية بحرزي قبان ليرتفع هذا العدد إلى (٢٧) سنجقاً خلال الأعوام (١٥٧٤-١٥٧٥م).

د- ايالة شهرزور:

كانت هذه الايالة مسرحاً للنزاعات المستمرة بين الدولة العثمانية والصفوية حتى اقرت معاهدة فرهاد باشا[6] بتبعيتها للدولة العثمانية.

---

(١) بيان: وتقع في اقصى الجنوب الشرقي من ايالة بغداد.

(٢) دميرقبو: تقع قرب نقطة تقاطع نهر العظيم مع امتداد جبال حمرين.

(٣) علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ١٥-١٦.

(٤) علي شاكر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠ ميلادية ١٠٤٨-١١٦٤هجرية دراسة في احواله السياسية، ط١، دار ابن الاثير للطباعة والنشر والتوزيع، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ١٨.

(٥) صدرسويب: تقع إلى الشرق من شط العرب.

(٦) معاهدة فرهاد باشا: تم التوقيع عليها في ٢٢ اذار ١٥٩٠ والتي اقرت بسيطرة الدولة العثمانية على مقاطعات أذربيجان وجورجيا وولايات أرمينيا شكي شماخي وتفليس وسروان و قراباغ وقسم من منطقة لورستان مع قلعة نهاوند ووعدَّ الشاه عباس الأول بوقف اعتداءاته الطائفية وشروط أخرى. مشيل مفرح ظاهر وباسم حطاب

أما عن أعداد سناجقها فوصلت إلى (٢٠) سنجقاً في القرن السادس عشر ليرتفع العدد إلى (٣٢) سنجقاً خلال القرن السابع عشر وعلى الشكل التالي:

كركوك، حرير، كوي (كويسنجق الحالية)، سهل مخمور، شمامك، ابورومان، أوشي، رباف، برند بلقاص، بيل[١]، اورطاي، جبل حمرين، دورمان، دولجوران، سروجك (في قضاء رانية)، سيد بورنجين، شهربازار، شهرزور، عجور قلعة، غازي كشان، مركاوة أو ميركة[٢]، مهروان أو مهربان، هزار مرد[٣]، رودين، شميران، قره داغ، جاغان، قزلجة قلعة[٤]، ببه، زنكة، أنجيران[٥].

اتسمت التقسيمات الإدارية للولايات العراقية خلال مدة السيطرة العثمانية بعدم الثبات تبعاً لقوة الوالي وهيمنته على شؤون الولاية فضلاً عن ارتباط ذلك الاستقرار بالصراع العثماني– الفارسي فعلى اثر الحروب التي خاضتها هاتين القوتين وما اعقبها من تسويات ومعاهدات وما رافق ذلك من انتقال أراضي وقلاع عراقية من الجانب العثماني والحاقها بالجانب الفارسي، وكمثال على ذلك تنازل الجانب العثماني وبموجب معاهدة زهاب[٦] –التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً– سنة ١٦٣٩ عن عدد من القلاع شرق مندلي ودزنة ودرتنك ومنطقة مهربان التي هي بالأصل تابعة لولاية شهرزور مما عد تفريطاً رسمياً بهذه المناطق[٧].

الطعمة، "العلاقات الصفوية العثمانية ١٥٨٧–١٩٢٩ دراسة تحليلية"، مجلة آداب البصرة (كلية الآداب)، العدد ٤٥، ٢٠٠٨، ص ١٥٧.

(١) قرية شمالي جمجمال.

(٢) قرية صغيرة في قضاء بشدر في محافظة السليمانية.

(٣) قرية جنوبي غربي السليمانية.

(٤) وهي قضاء حلبجة وتقع شمال غربي ناحية بنجوين.

(٥) مراد، تاريخ العراق، ص ٦١–٦٢.

(٦) سرمد عكيدي فتحي الدهان وستار محمد علاوي، "الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق، دراسة تاريخية (١٥٠٨–١٧٧٩م)"، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، كلية التربية، الجامعة العراقية، م٣، العدد ١٤، نيسان ٢٠١٩، ص ١٣١–١٣٢.

(٧) عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني من عام ١٠٤٩هـ (١٨٣٩م) إلى عام ١١٦٣هـ (١٧٥٠م)، م٥، (بيروت، ٢٠٠٧)، ص ٣٤٠؛ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية ، ص ٢١٩.

يضاف إلى هذه الأسباب سبب آخر وهو الثورات العشائرية التي كانت السمة الغالبة على تاريخ العراق السـياسـي خلال مدة السـيطرة العثمانية والتي قادت في النهاية إلى الغاء بعض السناجق.

أما شكل الجهاز الإداري في هذه الايالات فكان على غرار النظام المتبع في باقي ايالات الدولة العثمانية. إذا كان الوالي على رأس الهرم الإداري. أما عن مدة حكمه فكانت مرهونة بموافقة السلطان العثماني[١]. فيما كان باشا بغداد في المرتبة الأولى على مستوى ولاة الايالات العراقية ويطلق عليه لقب وزير، أي ان صـلاحياته الإدارية كانت أوسـع من صـلاحيات ولاة الايالات الأخرى ويرمز إليه بثلاثة أطواع[٢].

أسندت إلى الوالي عدد من المهام الرئيسية تأتي في مقدمتها ضمان استمرار ولاء الولاية للسلطان العثماني والاشراف على تطبيق القوانين العثمانية وتطبيق الامن والعدالة وقيادة الحملات العسكرية ضد القوى المناوئة للحكم العثماني حتى عد مسؤولاً عن العمليات الحربية رغم استقلال قائد القوة العسكرية المعروف بـ اغا الانكشارية[٣] عن الوالي[٤]. وغالباً ما تباينت سلطة الوالي في الولاية تبعاً لشخصية الوالي وقوته داخل الولاية وعلاقته بالقوى السياسية فيها[٥]. وفضلاً على هذه المهمات القيت على عاتق ولاة بغداد والبصـرة واحدة من أخطر المهمات في تاريخ العراق السياسي الحديث ألا وهي القضاء على الانتفاضات العشائرية ومنها عشيرة المنتفك والامثلة كثيرة على ذلك منها سيطرة عشيرة المنتفك على البصرة سنة ١٦٩٤ و سنة ١٦٩٧[٦].

---

(١) لونكريك، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٢) الطوغ Tugh: شـعار تركي قديم ومعناه ذيل الفرس، وكان الباشـا الذي يعين على ولاية كبيرة يرمز إليه بثلاثة أطواغ، ويليه في الترتيب الباشا الذي يعين على ولاية أقل ويرمز إليه بـ (طوغين)، أما الباشا الذي يعين على سنجق فيرمز إليه بطوغ واحد. نورس، المصدر السابق، ص ٧.

(٣) اغا الانكشـارية: الانكشـارية كلمة تركية اصـلها (يكنجري) ومعناها الجنود الجدد وهو اسـم يطلق على فرق المشاة النظامية التي كوّنها العثمانيون في القرن الرابع عشر وأصبحت اكبر قوة عندهم من انجاز فتوحاتهم في القرن الرابع عشر. للاستزادة يراجع: مراد، تاريخ العراق، ص ٣٢.

(٤) عبد الكريم محمود غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠–١٩١٨م، ج١، مطبعة جامعة دمشـق، ١٩٦٠، ص ٥٨–٥٩.

(٥) مراد، تاريخ العراق، ص ٩٦.

(٦) للاستزادة يراجع: لونكريك، المصدر السابق، ص ١٥١–١٥٢.



كان للوالي عدد من المساعدين في إدارة الولاية وعلى الشكل التالي:

- **الكتخذا:**

ويشكل الساعد الأيمن للوالي في إدارة وقيادة الحملات العسكرية، وارتبطت سلطة الكتخذا في الايالة بقوة الوالي نفسه. فضعف الوالي تؤدي إلى زيادة قوة الكتخذا والعكس صحيح[١].

- **الدفتردار:**

أوكلت إلى الدفتردار مهمة تسجيل إيرادات الولاية ومصروفاتها في سجلات خاصة وكانت الدفترخانة تمارس اعمالها وفق الآلية التالية:

١. **اجمال:** ومنها يجري حفظ الوثائق التي ترسم حدود الولايات العراقية واقسامها الفرعية وحدود اقطاعياتها.
٢. **مفصل:** وتحفظ فيها الوثائق المتعلقة بالملكيات الخاصة في جميع السناجق والنواحي التابعة لها، مع تقديم معلومات تفصيلية عن نوعية المحاصيل وكمية الضرائب المستوفاة. منها تحديد تبعية هذه الأراضي ان كانت تعود للسلطان أم الوالي أم أراضي وقفية.
٣. **الروزنامية:** وتختص بتدوين التعديلات الجارية على ملكية الاقطاعات والوقف بالمفصل والاجمال. وتشمل ايضاً الدفوعات اليومية[٢].

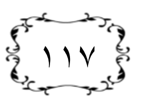
- **القاضي:**

ولبغداد قاضي متقدم يتولى تسيير امورها الشرعية[٣] أما في السناجق والنواحي فتولى تسيير هذه الأمور رجل دين. ويساعد القاضي في مهامه موظفان هما الصوباشي والمحتسب،

(١) مراد، تاريخ العراق، ص ١٠٧.

(٢) القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ١٣٧–١٣٨.

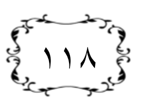
(٣) الصوباشي: الحق به قوة عسكرية مؤلفة من الانكشارية والعزاب وعدد من الجنود المحليين، وكان يمنح اقطاع بدرجة خاص أو زعامة ليعيش من ريعهِ. المصدر نفسه، ص ١٣٦.

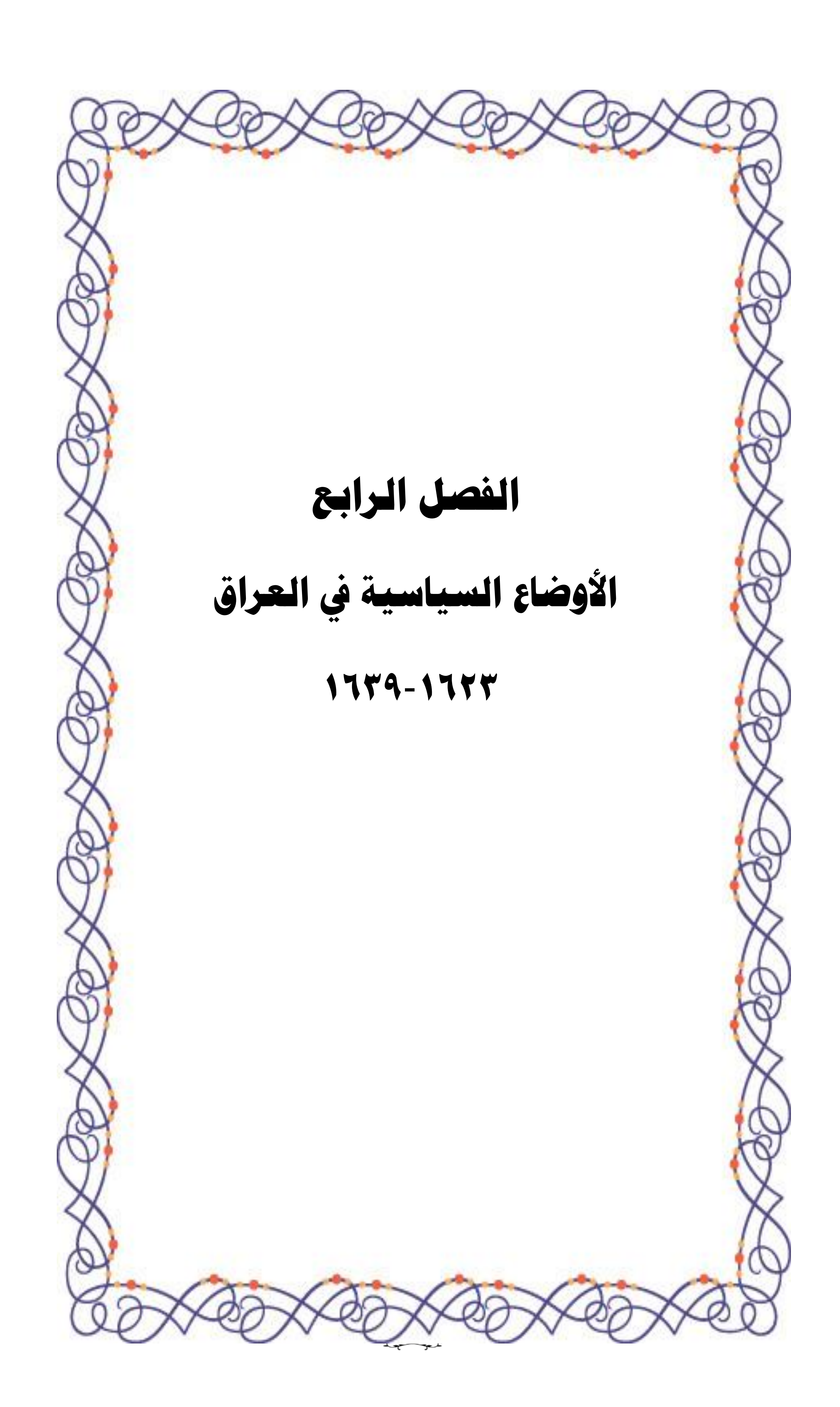


ومن اشهر قضاة بغداد في هذه الحقبة مصطفى النيسارى الذي تولى القضاء بعد سنة ١٤٥٠م، والقاضي نعمة الله الشهير بروشني زادة[١].

فضــــلاً عن هذه الوظائف كانت هناك وظائف أخرى نذكر منها المهردار (حامل الاختام) والمكتوبجي (كاتب الرســـائل) والخزنة دار (أمين الصــــندوق) واحتشـــامات أغا ســـي (رئيس التشـــريفات) والميراخور (رئيس الاصـــطبل) وقبو جيلر أغاســـي (رئيس البوابين) وعدد آخر من الموظفين الصغار.

(١) القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ١٤٢.

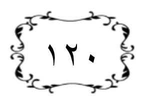




الفصل الرابع

الأوضاع السياسية في العراق

١٦٢٣-١٦٣٩



الفصل الرابع

الأوضاع السياسية في العراق ١٦٢٣-١٦٣٩

شهد العراق بعد حملة سليمان القانوني ١٥٣٤ عدد من الثورات والتمردات[١] فكان ذلك أحد أسباب ارباك الأوضاع الإدارية والسياسية والعسكرية، ومما زاد في سوء الأوضاع طبيعة القوانين العثمانية التي حددت مدة الولاية سنة واحدة، فكان ذلك فرصة ذهبية لبيع المناصب لمن يدفع اكثر سنوياً لذلك تعاقب على حكم ولاية بغداد عدد من الولاة كان هدفهم الرئيس اشباع رغباتهم المادية عن طريق فرض المزيد من الضرائب فضلاً عن القسوة في جبايتها، كما ان بعض من هؤلاء الولاة وقع اسيراً بيد ذوي السلطة، وهذا ما حدث فعلاً عندما سيطرت احد العناصر الانكشارية ويدعى بكر صوباشي على مقاليد السلطة في بغداد سنة ١٦٣٨[٢].

تمرد بكر صوباشي في بغداد سنة ١٦٢٣:

كان بكر آغا جندياً انكشارياً في بغداد تدرج في المناصب حتى اصبح صوباشياً واستطاع ان يجمع حوله عدد من السكبانية[٣] والف ومئتان من العزاب[٤] حتى لم يبقى لوالي بغداد يوسف باشا سوى الاسم، لم يكن بكر صوباشي محبوباً لدى الانكشارية الذين كانوا ينظرون الفرصة لتخلص معارضيه منه حتى سنحت لهم الفرصة سنة ١٦٢١ عندما توجه بكر صوباشي إلى

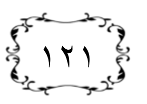
---

(١) علي، تاريخ العراق، ص ٢٦.

(٢) شهدت ولاية بغداد وخلال هذه المدة عدداً من الحركات للسيطرة عليها نذكر منها محاولة حسن باشا الصوقلي سنة ١٥٩٧، وثورة آل الطويل ١٦٠٣-١٦٠٨. للتفاصيل حول تلك الثورات يراجع: القهواتي، العراق بين الاحتلالين ، ص ١٦٠-١٧٨.

(٣) السكبانية: كلمة فارسية تعني حارس الكلاب، وهي فرقة من المشاة أوجدها بايزيد الأول (١٣٨٩-١٤٠٢)، لترافقه في حملاته العسكرية لسرعة حركتها. هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ترجمة: احمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة: احمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٠)، ص ٨٧.

(٤) العزاب: قوة فدائية كانوا يتقدمون قوات الانشكارية اثناء الهجوم. مراد، تاريخ العراق، ص ١٦٤.



منطقة الفرات الأوسط مع قوته المحلية سنة ١٥٢١ للقضاء على تمرد الفلاحين الذين امتنعوا عن دفع الضرائب المفروضة[١].

بعد خروج بكر صوباشي من بغداد اجتمع محمد اغا قنبر مع كبار الانكشارية وأشراف المدينة معلنين عزمهم على التخلص من بكر صوباشي[٢]، كانت الخطوة الأولى لذلك مهاجمة دار بكر صوباشي في بغداد إلا ان ابنه محمد وكتخداه عمر سرعان ما استطاعوا التصدي للحركة وقعت على اثر ذلك معارك بين الطرفين سقط من جرائها أعداد من القتلى ومن الطرفين[٣]. اضطر على أثرها محمد آغا قنبر إلى التوجه إلى القلعة الداخلية، ومن الجدير بالذكر ان الجيش المحلي المرابط في بغداد انقسم إلى فريقين الفريق الأول بقيادة محمدا اغا قنبر والذي تحصن في قلعة بغداد يؤيدهم في ذلك والي بغداد يوسف باشا فيما أيد الفريق الثاني بكر صوباشي الذين اتخذوا من بغداد قاعدة لهم[٤].

سارع بكر صوباشي في العودة إلى بغداد بعد ان وصلته اخبار تمرد محمد اغا قنبر عن طريق ابنه، حيث فرض على قلعتها حصاراً شديداً، واثناء الحصار قتل يوسف باشا[٥]. حيث تمكن بكر صوباشي من الاستيلاء على القلعة ومن ثم القبض على محمد اغا قنبر وجماعته حيث عذبهم أبشع أنواع التعذيب[٦].

أصبح بكر صوباشي بعد القضاء على التمرد الأخير سيد بغداد لا منازع، عندها راسل الباب العالي طالباً من الأخير أن ينعم عليه بباشوية بغداد لقاء قضائه على التمرد، كما وزع فرماناً مزوراً أعلن فيه تعيينه والياً على بغداد[٧].

---

(١) نظمي زادة، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(٢) لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٢.

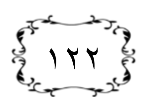
(٣) القهواتي، العراق بين الاحتلالين ، ص ١٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٣.

(٥) ياسين بن خير الله الخطيب العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد، دار منشورات البصرة، (بغداد، ١٩٦٨)، ص ٥٥.

(٦) لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٣.



رفض الصـدر الأعظم قرة حسـين طلب صـوباشـي منح حكم ولاية بغداد. ورداً على ذلك صـدرت الأوامر بتعيين سـليمان باشـا والي دياربكر والياً على بغداد، حيث تم تكليف علي اغا، بإرسال هذا الامر، إلا ان علي أغا سرعان ما قتل حال دخوله إلى بغداد[١].

على اثر ذلك صـدرت الأوامر بتجهيز حملة عسـكرية أسـندت قيادتها إلى حافظ احمد باشـا[٢] والي دياربكر والتي انضـوت تحت لوائها قوات مرعش والموصـل وسـيواس والموصـل وكركوك[٣] كما صـدرت الأوامر بالتحاق امراء كردسـتان بالحملة على ان يتولى الصـدر الأعظم قيادتها، كما طالب حافظ احمد باشـا بإرسـال مزيد من القوات من اطراف مرعش، إلا ان وباء تفشى في صفوف جيش والي سيواس اضطره للعودة إلى استانبول. ومن هناك جرى تشكيل قوة اسـتطلاعية تألفت من والي الموصـل ومعهما بعض البيكات من الاكراد، أما حافظ باشـا فتقدم نحو بغداد منها قرب الاعظمية[٤].

حاول حافظ باشـا اسـتدراج بكر صـوباشـي إلى الاجتماع معه غير ان الأخير قابل رسـل بكر الاحتقار واسـتعد للدفاع على المدينة من خلال سـلسـلة من الهجمات الحق خلالها خسـائر فادحة بالجيش العثماني[٥].

فرض حافظ باشا حصاراً اقتصادياً على مدينة بغداد عندما قام بقطع جميع الطرق المؤدية إليها، ظهرت آثار ذلك في المجاعة القاسية التي عانت منها المدينة، وأصبح هلاك المحاصرين قاب قوسـين أو أدنى[٦]. مما اضـطر الصـوباشـي إلى طلب المسـاعدة من الشـاة عباس الكبير (١٥٧١-١٦٢٩) عندما بعث إلى الأخير بواسطة حاكم لورستان حسين خان[٧].

---

(١) لونكريك، المصدر السابق ، ص ٧٤.

(٢) حافظ احمد باشا: ولد في استانبول تقلد منصب الصدارة العظمى سنة ١٦٠٧، ثم عزل سنتين، عين والياً على عدد من الولايات كبلاد الشام وارضروم والاناضول وبغداد ودياربكر ثم اعيد إلى منصبه سنة ١٦٢٥. علي، تاريخ العراق في العهد العثماني، ص ٤٢.

(٣) لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٤) القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ١٨٦.

(٥) نظمي زادة، المصدر السابق، ص ٢١٦؛ لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٦) لونكريك، المصدر السابق، استمرت المناوشات بين الطرفين، وحسب ما يذكر لونكريك فإن الطرفين خسرا خلالها ما يقارب (١٧٠٠) قتيل في احدى هذه المناوشات. المصدر السابق، ص ٧٥.

(٧) نظمي زادة، المصدر السابق، ص ٢١٧.

أمام هذا التطور الأخير عقد حافظ باشـــا اجتماعاً حربياً لمناقشــــة احتمالية إقدام بكر صوباشي بسك النقود باسم الشاه، كما طرح في هذا الاجتماع إمكانية اقناع صوباشي بالعدول عن رأيه قبل فوات الأوان، حيث عرض على الأخير باشوية الرقة وعلى ابنه سنجق الحلة إلا ان هذا العرض لم يحظى بموافقة بكر صوباشي، واستمر الحصار على بغداد[١].

قرر حافظ باشا وامام رفض الأخير المطالب الأخيرة توجيه ايالة بغداد إلى بكر صوباشي لعدم التفريط بالمدينة أولاً وطول مدة الحصـــار ثانياً خاصـــة وان القوات الفارسـية بدأت بالاقتراب من بغداد، فضلاً عن ان طلباته العسكرية لم تنل اهتمام المسؤولين في الباب العالي وتحديداً بعد وصول علي كمانكش إلى منصب الصدارة العظمى والذي كان من أشد أعداء حافظ باشا. فإسناد باشوية بغداد إلى ثائر على السكان افضل من ان تكون ولاية فارسية[٢].

على اثر ذلك انسحب حافظ باشا إلى الموصل ومنها إلى دياربكر، أما بكر صوباشي فبدأ بمحاولات دبلوماســية عندما كتب إلى قادة الجيش الصــفوي يظهر لهم الود والاحترام في الوقت الذي طلب منهم الانسحاب لزوال الخطر عن الولاية مبدياً استعداده لدفع نفقات الحملة الفارسية[٣] تلك الطلبات التي قوبلت بالتهديد والوعيد من قبل الشاه الذي كان قد وصل لتوه إلى أطراف بغداد في صـــيف ١٦٢٣[٤]. عندما فرض حصـــاراً قاســـياً على بغداد ورغم ضـــعف إمكانيات بكر صوباشي العسكرية إلا انه دافع عن بغداد دفاعاً مستميتاً حاول خلال ذلك مناشدة الباب العالي للحصول على الدعم العسكري إلا ان تلك المناشدات لم تلقى آذاناً صاغية من الباب العالي[٥].

دام حصار بغداد ثلاثة أشهر عانى خلالها اهل بغداد الأمرَّين فقد "أكل الناس لحم الكلاب والأطفال وجثث الموتى...وكان الهاربون من المدينة إلى المعسكر الإيراني يتسللون ليلة بعد ليلة، وكان من جملتهم أقارب الصوباشي نفسه..."[٦].

---

(١) لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢) القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ١٩٣.

(٣) لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٤) العزاوي، المصدر السابق، مج٤، ص ١٧٦.

(٥) ياســين بن خير الله العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضــية، تحقيق: عماد عبد الســلام رؤوف، مطبعة الآداب، (النجف الاشرف، ١٩٧٤)، ص ٦٢.

(٦) نقلاً عن: لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٧.

تضاربت الآراء حول كيفية دخول القوات الفارسية إلى بغداد لكن أقربها للصحة وبحسب رواية لونكريك بقوله "فتح محمد –ابن بكر صوباشي– الذي كان دفاع القلعة مناطاً به مفاوضات سرية مع الشاه، فوعد بولاية بغداد جزاء الخيانة"[١].

مع دخول الجيش الصفوي بغداد قام بقتل كل من يصادفه وبحسب احد الروايات فإن "من سلم من القتل لم يسلم من التعذيب"[٢]. حيث واجه المصير ذاته بكر صوباشي عندما "أسره الشاه هو وأخاهُ عمر أفندي واودعهما السجن مدة شهرين ثم اعدمهما"[٣]. أدى فشل حركة بكر صوباشي إلى وقوع العراق مرة أخرى تحت السيطرة الصفوية.

٢- حملة السلطان مراد الرابع[٤] لاستعادة بغداد سنة ١٦٣٨

لم تقف الدولة العثمانية مكتوفة الايدي أمام الاحتلال الصفوي لبغداد إذ أرسلت عدد من الحملات الاسترجاعية وهي حملة حافظ احمد باشا سنة ١٦٢٥ وحملة خسرو باشا سنة ١٦٢٩ إلا ان هاتين الحملتين فشلتا في تحقيق أهدافها لأسباب عدة[٥].

في سنة ١٦٣٨ أعد السلطان مراد الرابع جيشاً كبيراً بعدف تحقيق مشروعه في استرجاع بغددا، رافقه في تلك الحملة شيخ الإسلام يحيى افندي[٦]. وقد سلكت الحملة طريق بغداد– استانبول عبر حلب ودياربكر والموصل ومن ثم بغداد التي وصلها في ١٥ تشرين الثاني. وخيّم

---

(١) لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٢) مرتضى زادة، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(٤) السلطان مراد الرابع ١٦٢٣–١٦٤٠ تولى السلطة بعد عزل عمه مصطفى الأول، وكان صغير السن لم يتجاوز الـ (١١) عاماً تولت امه السلطانة كوسم مقاليد الحكم للمدة ١٦٢٣–١٦٣٢ عانت الدولة العثمانية في الفترة الأولى من حكم السلطان مراد الرابع من عدم الاستقرار واستمرار الاضطرابات الداخلية منها قيام ثورة اباظة باشا في الاناضول واستقلال والي طرابلس. لمزيد من التفاصيل يراجع: عبد الكريم رافق، الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦–١٧٩٨م، ط١، (دمشق، ١٩٦٨)؛ اوزتونا، المصدر السابق، ص ٤٦٨.

(٥) لمزيد من التفاصيل حول تلك الحملات يراجع: القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ٢١٥–٢٥٩؛ لونكريك، المصدر السابق، ص ٨٠–٩١.

(٦) اوزتونا، المصدر السابق، ص ٤٨٠.

الجيش في موضــع يقال له سـبع ابكار وقد رفض السـلطان ان يزور ضـريح الامام الأعظم[1]. حيث اصــدر أوامره بالمباشـرة بحفر المتاريس حتى انه سـاهم بنفسـه في الحفر ونقل التراب وتلا ذلك تطويق بغداد بالقوات العثمانية وعينت القيادات ومواضــــع الهجوم، فكان المعســـكر وقوات السلطان الخاصة به في موضع يقابل القلعة والجهة الشمالية الغربية من السور، ورابط أمام الباب الأبيض أي الجهة الشمالية الشرقية قوة عسكرية تحت امرت الصدر الأعظم محمد باشا الطيار امير امراء الروملي مزودين بعشرة مدافع. وأتخذ وضـع عليه القبودان باشـا (أمير البحر الأعلى) ووالي سيواس وأمراء كستنديل وأولونية ورئيس الصـامسـونجية [2] والزغرجية[3] موضـع يقابل باب الظلام في الطرف الجنوب الغربي من بغداد، وقد أحكم الفرس تحصــــيناتهم عند باب المعظم الواقع في (الجهة الشـمالية) وتركوا الباب (الأبيض) ظنناً منهم أن العثمانيون سـيركزون هجماتهم على باب الظلام وباب المعظم في حين أمر الســـلطان بحشــــد قوة كبيرة أمام الباب الأبيض، وبالقرب من مزار الامام الأعظم اقام السـلطات سـرادقه أما بالنسـبة للحامية الفارسـية في بغداد فتألفت من (٤٠) الف جندي بقيادة بكتاش خان[4].

في ٢٤ كانون الأول ١٦٣٨ شـن الصـدر الأعظم هجوماً كاسـحاً ومن جميع الجهات، إلا ان الأخير سـرعان ما لقي مصـرعه في ٢٣ كانون الأول حيث حل محله في الصـدارة مصـطفى باشــــا كمانكش[5]. وفي ٢٥ كانون الأول ١٦٣٨ تدفقت الجيوش العثمانية إلى داخل بغداد بعد حصار دام أربعين يوماً ورغم اختلاف المصادر بتحديد كيفية سقوط بغداد إلا انها تجمع على ان بكتاش خان توجه لمقابلة الســـلطان مراد الرابع حيث وافق الأخير على منح الأمان للحامية الفارسية المرابطة في بغداد ولكن بشروط:

- ان يتم اخلاء بغداد من الفرس.

---

(١) اوزتونا، المصدر السابق، ص ٤٨٢.

(٢) الصامسونجية: مربي الكلاب.

(٣) الزغرجية: وهم المكلفون برعاية كلاب صـيد السـلطان، إلا ان هذا اللقب اصـبح احد الرتب العسـكرية في الجيش الانكشـاري. للتفاصـيل يراجع: يعقوب سـركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والأثار وخطط بغداد، القسم الأول، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد، ١٩٤٨)، ص ٣٨٨.

(٤) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص ٢١٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١٨.



- اعطي للمحاصـرين الحرية في الاختيار بين الالتحاق بجيش الشـاه أو بجيش السـلطان فمن أراد الالتحاق بجيش الأخير عليه الخروج من باب الامام الأعظم ومن أراد الالتحاق بجيش الشـاه يخرج من الباب الأسـود. ويبدو ان صـيغة الأمان لم تكن محل رضـى المتشـددين ومن كلا الجانبين فقامت مذبحة داخل بغداد ذهب ضـحيتها اعداد كبيرة من الفرس(١).

بقي السلطان مراد الرابع في بغداد (٢١) يوماً نظم خلالها شؤون بغداد الإدارية، إذ اختار حسين باشا والياً على بغداد بعد ان ترك فيها حامية عسكرية قدرت بـ (١٢) الف جندي من بينهم (٨) الاف من الانكشـارية فضـلاً عن قيامه بعدد من الاعمال العمرانية منها اصـلاحه لسـور المدينة واجرى ترميمات لمرقدي الامام الاعظم والشـيخ عبد القادر الكيلاني، كما ابقى الصـدر الاعظم قرة مصطفى في بغداد لإدارة شؤونها. وفي أثناء اقامة الصدر الاعظم في بغداد قدم إليه سفير الشاه صفي الدين محمد قولي خان (١٦٢٩-١٦٤٢)، وأقترح عليه عقد الصلح فاشترط الصـدر الاعظم انسحاب القوات الصفوية من درنة ودرتنك كشرط رئيس لبدء المفاوضـات بين الطرفين. وبالفعل عاد السفير الصفوي إلى اصفهان وعرض هذا الشرط على الشاه الذي وافق عليه وأمر قواته بالانسحاب من المنطقتين المذكورتين.

بدأت الجلسات الفارسية-العثمانية التي عقدت في منطقة زهاب على الحدود. مثّل الجانب الاول صاروخان فيما مثّل الجانب العثماني الصدر الاعظم مصطفى باشا وبعد مناقشات مطولة تم الاتفاق على توقيع المعاهدة في ١٧ مايس ١٦٣٩(٢) والتي تقرر فيها تحديد المناطق التابعة لكلا الدولتين:

---

(١) علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠ سلسلة دراسات (١٨٧)، دار الحرية للطباعة والنشر، (بغداد، د.ت)، ص ٥٥-٥٧.

(٢) أوزوتونا، المصـدر السـابق، ص ٤٨٢. لم تكن هذه المعاهدة هي الأولى إذ سـبقتها العديد من المعاهدات، كمعاهدة اماسيا ١٥٥٥، معاهدة فرهاد باشا ١٥٩٠، معاهدة سنة ١٦٠٣، معاهدة استانبول الثانية ١٦١٢، اتفاقية سـراب سـنة ١٦١٨. لكن خلاف معاهدة زهاب عن هذه المعاهدات يعود إلى أنها حددت مناطق الحدود من أقصـى الشـمال إلى الجنوب، بعكس هذه المعاهدات التي لم تعطي تعريفاً واضـحاً للحدود بين الدولتين، وكل ما يستفاد منها انها كانت توفر حالة من الاستقرار والأمن في مناطق معينة من الحدود.

١. تخضع للدولة العثمانية كل من بدرة، جسان، درنة، درتنك والاراضي الواقعة غربي قلعة زنجير إلى طريق شهرزور، وقلعة قزلجة وتوابعها، وجميع القلاع في قارص وآخجة، ووان وشهرزور والبصرة، كما يناط إلى الدولة العثمانية حكم قبيلتي هاروني وضياء الدين الكرديتين[١].
٢. فيما تخضع القلاع الواقعة شرق مندلي، ودرتنك، وزمر دها وبيرة وزردويكة والغابات الواقعة شرق قلعة زنجير ومهربان وقلعتا ماكور وكاكور الواقعتان في اعالي جبال وان، وقلعة مغاذيرد في منطقة قارص إلى الجانب الصفوي.

وبتعبير آخر أصبحت كل من بغداد والموصل والبصرة وكردستان الغربية وشهرزور من نصيب الدولة العثمانية أما اذربيجان الشرقية وارمينيا الشرقية وراوندوز وبلاد الكرج فكانت من حصة الدولة الصفوية.

ساد الهدوء العلاقات العثمانية–الفارسية بعد التوقيع على المعاهدة المذكور فعندما توفي السلطان مراد الرابع ارسل الشاه وفداً لتقديم التعازي وتهنئة السلطان ابراهيم الاول ١٦٤٠–١٦٤٨ بجلوسه على سدة الحكم، وكتعبير عن حسن نوايا الاخير قام بإطلاق سراح الاسرى الذين سجنهم السلطان مراد الاول اثناء سيطرته على بغداد وسلمهم للسفير الفارسي[٢].

ارسى السلطان سليمان القانوني اول اسس الادارة العثمانية في العراق عندما نهضت بغداد كأول ايالة عثمانية في العراق وذلك ما تم سنة ١٥٣٤[٣] تلاها الموصل سنة ١٥٣٩[٤]

---

(١) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص ٢١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٩–٢٢٠.

(٣) تألفت من (١٨) سنجقاً وعلى الشكل التالي: بغداد (المركز)، زنك أباد، الجوازر، الحلة، جنكولة، الرماحية، قرة داغ، درتنك، درنة، السماوة، واسط، ديالى، بيات، دمير قبو وتقع قرب نقطة تقاطع نهر العظيم بجبال حمرين، الصلاحية (كفري)، قزانية (قرب مندلي)، آل صالح (كفري الحالية)، وكيلان (العمادية). علي، تاريخ العراق ، ص ٢٢.

(٤) ايالة الموصل: واستناداً إلى دفتر الطابو العائد إلى الموصل ذي الرقم ١٩٥ والذي يرقى في تاريخه إلى المدة (١٥٤٤–١٥٤٩م) والذي يقسم الايالة إلى خمسة سناجق وهي: الموصل (سنجق الباشا)، اسكي موصل، عانة، تكريت، زاخو وكشاف. ومن الجدير بالذكر ان هناك اختلافاً في المصادر التاريخية في تحديد اعداد واسماء السناجق العائدة لهذه الايالة. للمزيد يراجع: مراد، تاريخ العراق، ص ٥١–٥٢.

والبصرة سنة ١٥٥٢[١]، ثم شهرزور سنة ١٥٥٤[٢]. واصبحت الامارات الكردية-التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً-تابعة لهذه الايالات مع "احتفاظها بحق وراثة السناجق" مما تطلب اصدار "نظام حقوقي جديد"، وفي ١٤ شباط ١٥٣٧ اصدر السلطان سليمان القانوني ما عرف بـ "قانون نامه بغداد" والذي اعلن فيه انه "لا يسمح لأحد بعد الآن ان يعامل سكان المدن والقرى خلافاً للقانون والشريعة"[٣].

وفيما يتعلق بالجهاز الاداري لهذه الايالات فكان الوالي في قمة الهرم الاداري وكان (البلكربيك) يجمع السلطتين العسكرية والمدينة وتخصص له مقاطعة بدرجة خاص وقد يتقاضى راتباً سنوياً يسمى (ساليات) في الايالات التي تخلو من التنظيمات الاقطاعية كالبصرة وبغداد. بينما كانت صلاحيات والي بغداد أوسع من صلاحيات ولاة الايالات الاخرى[٤]. أما عن مهامه فتركزت في ضمان استمرار ولاء الولاية للسلطان العثماني وقيادة الحملات العسكرية رغم ان هذه الاخيرة هي من مهمات أغا الانكشارية (قائد الانكشارية) وتأمين العدل والاشراف على تطبيق القوانين[٥]. ويأتي بعده الكتخدا (نائب الوالي) ومساعده في مختلف الشؤون السياسية والعسكرية والادارية. ثم الدفتردار والذي كان مهمته محصورة في تسجيل ايرادات الولاية ومصروفاتها في سجلات خاصة[٦]. كان الدفتردار واغا الانكشارية صلاحيات المراجعة المباشرة للباب العالي

---

(١) ايالة البصرة: بلغ مجموع السناجق العائدة إلى هذه الايالة وخلال المدة (١٥٥١-١٥٥٢م) ثمانية سناجق هي: البصرة (سنجق الباشا)، قطيف، غراف، زكية، شرش، صدر سويب، محرزي، قبان. إلا أن اوليا جبلي ينفي تقسم البصرة إلى سناجق، مؤكداً انها ظلت وحدة ادارية واحدة يديرها الوالي الذي يتقاضى راتباً سنوياً (سالیانه). نقلاً عن: علي، تاريخ العراق، ص ٢٢.

(٢) ايالة شهرزور: تحدها من الجنوب ايالة بغداد والعمادية والموصل من الغرب واذربيجان وحكارى من الشمال ومن الشرق بلاد فارس مع ذلك فلم تكن هناك حدود ثابتة لهذه الايالة بحكم كونها مسرحاً للصراع العثماني-الصفوي. ووفقاً لما ذكره اوليا جلبي قسمت هذه الايالة إلى (٢١) سنجقاً وهي: اربل (اربيل)، سروج، كسنان، حرير-شهربازار-جبل حمرين، جنكولة، رودين، هزار مرد، باق، عجور، تيل طارى-ايردمان-سبه زنجير، اوشني-بلقاص، قلعة غازي، حوران، داودان، ماركاه. نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣) ايفانوف، المصدر السابق، ص ٨٩-٩٠.

(٤) هاملتون جب وهارود بوون، المجتمع الاسلامي والغرب، ج١، ترجمة: احمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، (مصر، ١٩٧٠)، ص ١٢٦-١٢٧.

(٥) علي، تاريخ العراق، ص ٢٦.

(٦) لمزيد من التفاصيل يراجع: جب وبوون، المصدر السابق، ج١، ص ١٨٠.

والقاضـــي[١] والذي تولى النظر بالقضـــايا الشـرعية بالإضـــافة إلى الاشـراف على جمع ومراقبة الاسواق يساعده موظفان المحتسب واحتساب اغاسي والصوباشي[٢] وهناك الروزنامجي (كاتب الوقوعات اليومية) والمكتوبجي (كاتب الرســـائل) والمهردار (حامل الاختام) والخزندار (أمين الصـــندوق) واحتشـــامات اغاســـي (رئيس التشـريفات) وميراخور (رئيس الاصـــطبل) وغيره من الموظفين الصغار[٣].

(١) تولى قاضـي بغداد استلام الاعتراضـات على الاحكام من المدن الاخرى والذي يتولى رفعها إلى مولى حلب ومنها ترفع إلى قاضـــي العسـكر في الاناضــول والذي كانت له صـــلاحية تعيين كافة القضـــاة في الولايات التابعة للأناضـــول ومنها العراق بعد اخذ موافقة الباشـــواتي. القهواتي، العراق بين الاحتلالين، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢) الصـوباشـي: لقب حربي قديم شـاع اسـتعماله في الاناضـول منذ القرن الرابع عشـر. وبمرور الوقت اصـبح للصـــوباش مهام عدة منها اخبار رئيس المعماريين بما هو متداع من الابنية والتجول في الاســـواق ومراقبة نظافتها واعمال اخرى تتصـل بالبلدية. سـهيل صـابات، العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، (الرياض، ٢٠٠٠)، ص ١٤٥.

(٣) علي، تاريخ العراق، ص ٢٨.

الخاتمة

تعددت الدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ العراق الحديث منذ سقوط الخلافة العباسية سنة ١٢٥٨ وحتى السيطرة العثمانية على العراق. إذ شهدت هذه الحقبة التاريخية الطويلة تعاقب عدد من القوى الأجنبية لأحتلال العراق ابتداءاً من السـيطرة الإيلخانية (١٢٥٨-١٣٣٧) مروراً بالسـيطرة الجلائرية (١٣٣٧-١٤١١) والسـيطرة القرة قوينلوية (١٤١١-١٤٦٨) والأق قوينلوية (١٤٦٨-١٥٠٨) والسيطرة الصفوية (١٥٠٨-١٥١٤) وأنتهاءاً بالسيطرة العثمانية التي امتدت إلى ما يقارب الأربعة قرون.

- شهدت هذه الحقبة التاريخية الطويلة تدهوراً في عموم الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية للمدن العراقية وما رافق هذا التدهور من قتل وتجويع وتهجير للسكان، وصراعات وتطاحن بين هذه القوى للهيمنة على مقدرات المدن العراقية.
- شكل أعتلاء السلطان سيلم الأول عرش الدولة العثمانية (١٥١٢-١٥٢٠) نقطة تحول في تاريخ الدولة العثمانية بتحول استراتيجية فتوحات الدولة العثمانية نحو الشرق حيث كانت المحطة الأولى للمواجهة (الصفوية- العثمانية) سهل جالديران سنة ١٥١٤، وما أعقبها من هزيمة الدولة الصفوية، ثم دخول شمال العراق وعدد من المدن العراقية تحت السيطرة العثمانية في أعقاب معركة قرة غين ددة سنة ١٥١٦، حيث اقتربت حدود الدولة العثمانية إلى مسافة ١٠٠كم شمال غرب بغداد.
- كانت المرحلة التالية في التوسع العثمانية في الأرضي العراقية على إثر معركة (عراقيين سفري)، ومارافق هذه المعركة من نتائج عدة لعل أبرزها السيطرة العثمانية على بغداد سنة ١٥٣٤ والبصرة سنة ١٥٤٦.
- كان من أبرز سمات فترة ما بعد السيطرة العثمانية على العراق إعادة رسم الخارطة الإدارية للعراق. عندما تم استحداث عدد من الإيالات الرئيسة وهي كل من بغداد سنة ١٥٣٥، البصرة سنة ١٥٣٨، الموصل سنة ١٥٣٩، ثم شهرزور سنة ١٥٥٤.
- في سنة ١٦٣٩ جرى التوقيع على أول معاهدة حدودية نظمت الحدود العراقية الفارسية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب بعكس المعاهدات الحدودية السابقة التي كانت توفر حالة من الاستقرار والهدوء في مناطقة معينة من الحدود.

المصادر

١. احمد، إبراهيم خليل وخليل علي مراد، إيران وتركيا دراسية في التاريخ الحديث والمعاصر، الموصل، ١٩٩٢)

٢. احمد، كمال مظهر، كركوك وتوابعها حكم التاريخ والضمير دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق، ج١، مطبعة رينوين، (د.م)، (د.ت).

٣. أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، جمع أصوله وحققه وعلق عليه: حسن السماحي سويدان، ط١، (دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠١).

٤. الأعظمي، علي ظريف، مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، (بغداد، ١٩٢٩).

٥. آل طعمة، عبد الحسين آل كليدار، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، تحقيق علي الكليدار، (بغداد، د.ت)

٦. أندريكلو، غازي، الغزاة سليمان القانوني، ترجمة: محمد الزروقي، دار التركي للنشر، (تونس، ١٩٩١)،

٧. أوزبران ، صالح ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١، ترجمة: عبد الجبار ناجي، (بغداد، ١٩٧٩).

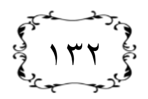
٨. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الانصاري، م١، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، (استانبول، ١٩٨٨).

٩. ايفانوف، نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ترجمة: يوسف عطا الله، ط١، (بيروت: ١٩٨٨).

١٠. بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله الى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٨).

١١. بن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، (القاهرة، ١٣١١هـ).

١٢. بن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي (بن بطوطة) رحلة بن بطوطة، دار صاد، (بيروت، ١٩٦٤)



١٣. بن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ بن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، ١٩٧١).

١٤. بيات، فاضل مهدي، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، ط١، دار المدار الاسلامي، (ليبيا، ٢٠٠٣).

١٥. ــــــــــــ، الدولة العثمانية في المجال العربي دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً ومطلع العهد العثماني اواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٧).

١٦. التكريتي، محمود ياسين، الأيوبيين في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد للنشر (بغداد، ١٩٨١).

١٧. توفيق، زرار، كردستان في القرن الثامن الهجري، مطبعة وزارة الثقافة، ج ١، (اربيل، ٢٠٠١).

١٨. الجاف، حسين، الوجيز في تاريخ إيران، ج٢، بيت الحكمة (بغداد، ٢٠٠٣).

١٩. جب، هاملتون وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ترجمة: احمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة: احمد عزت عبد الكريم، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٠).

٢٠. جمعة، بديع و احمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضاراتهم، ج ١، (مصر، ١٩٧٦).

٢١. الجواهري، عماد، صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني، الموصل، ١٩٩٠)،

٢٢. الحلو، علي نعمة، الاحواز و عربستان في أدوارها التاريخية (بغداد، ١٩٦٩)،

٢٣. الحلي، يوسف كركوش، تاريخ الحلة في الحياة السياسية، المكتبة الحيدرية، (النجف، ١٩٩٥).

٢٤. حليم، ابراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، طبعة جديدة منقحة ومزيدة بالوقائع والصور والتواريخ، ط١، (بيروت، ٢٠٠٢).

٢٥. الحمداني، طارق نافع، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط١، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٩.

٢٦. خصـــباك، جعفر حســين، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ج ١، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٩٨).
٢٧. الدوسكي، كاميران عبد الصـمد، كردسـتان في العهد العثماني في النصـف الاول من القرن التاسع عشر، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ٢٠٠٦).
٢٨. رافق، عبد الكريم، الشـــــام ومصــــر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦-١٧٩٨م، ط١، (دمشق، ١٩٦٨)
٢٩. ـــــــــــــ، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦م، (دمشق، ١٩٧٦).
٣٠. زادة، مرتضـــى أفندي نظمي، كلشـــن خلفا، ترجمة موســى كاظم نورس، (النجف، ١٩٧١).
٣١. زكي، محمد امين، خلاصـــة تاريخ الكورد وكوردســـتان، ترجمة: محمد علي عوني، (القاهرة، ١٩٦١).
٣٢. زين، زين الدين نور الدين ، نشـــوء القومية العربية مع دراســـة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط٣، (بيروت، ١٩٧٩).
٣٣. ســـركيس، يعقوب، مباحث عراقية في الجغرافية والأثار وخطط بغداد، القســم الأول، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد، ١٩٤٨).
٣٤. شرف خان ، شرفنامة، ترجمة: محمد علي عوني، ج ١، (القاهرة، ١٩٥٨).
٣٥. الشـــناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة اســـلامية مفترى عليها، ج١، (القاهرة، ١٩٨٤).
٣٦. صـابات، سـهيل، العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسـن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، (الرياض، ٢٠٠٠).
٣٧. الصـلابي، علي محمد محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، ط١، (الاردن، ١٩٩٠).
٣٨. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية (في ايران) ٩٠٧-١١٤٨هـــ/١٥٠١-١٧٣٦م، ط٢، دار النفائس، (بيروت، ٢٠١٢).
٣٩. ـــــــــــــ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ط١، دار النفائس، (بيروت، ٢٠٠٨).

٤٠. العاني، نوري عبد الحميد، العراق في العهد الجلائري ٧٣٨ - ٨١٤هـ/ ١٤١١ - ١٣٣٧م، دراسة في أوضاعه الإدارية والاقتصادية، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٦).

٤١. ــــــــــــ ، العراق في القرن الخامس عشر، (بغداد، ٢٠٠٢).

٤٢. عبد الرزاق، ناهض، النقود في العراق، منشورات بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠٣).

٤٣. العريني، الباز، المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٦٧).

٤٤. العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، مج ١، مج٤، مكتبة الحضارات (بيروت، د.ت).

٤٥. ــــــــــــ ، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، العهد العثماني من عام ١٠٤٩هـ (١٨٣٩م) إلى عام ١١٦٣هـ (١٧٥٠م)، م٥، (بيروت، د.ت).

٤٦. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، أنباء الغمر بأبناء العمر، ج ١، تحقيق: تحسن حبيشي، ط١، (القاهرة، ١٩٩٩).

٤٧. العسقلاني، أحمد بن محمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٢، تحقيق : محمد سيد جاد الحق، ط٢، مطبعة الكلداني (القاهرة، ١٩٩٩)

٤٨. علي، علي شاكر، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠م ميلادية ١٠٤٨-١٠٦٤ هجرية، دراسة في احواله السياسية، ط١، دار ابن الاثير للطباعة والنشر والتوزيع، (الموصل، ١٩٨٥).

٤٩. العمري، محمد امين بن خير الله الخطيب، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء، حققه ونشره: سعيد الديوه جي، (الموصل، ١٩٦٧).

٥٠. ــــــــــــ ، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، ج١، مطبعة الجمهورية (الموصل، ١٩٩٧).

٥١. ــــــــــــ ، الدّر المكنون في المأثر الماضية من قرون، دار استانبولي للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٢. ــــــــــــ ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد، دار منشورات البصرة، (بغداد، ١٩٦٨).

٥٣. ـــــــــــــــــــــ ، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، مطبعة الآداب، (النجف الاشرف، ١٩٧٤).
٥٤. غرايبة، عبد الكريم محمود، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨م، ج١، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠.
٥٥. الغياثي، التاريخ، تحقيق طارق نافع الحمداني، (بغداد، ١٩٧٥).
٥٦. فائق، سليمان، تاريخ المنتفك، نقله إلى العربية: محمد خلوصي الناصري، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٦١).
٥٧. قداوي، علاء محمود، تاريخ العراق في عهدي القرة قونيلو والاق قوينلو (٨١٦-٩١٩هـ /١٤١١ – ١٥٠٨)، ط ١، دار غيداء للنشر والتوزيع، (الأردن، ٢٠١٢).
٥٨. القزاز، محمد صالح، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، (النجف، ١٩٧٠).
٥٩. القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق : إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٨٢)
٦٠. كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه: فؤاد جميل ومصطفى جواد، ج٢، ط١، (بغداد، ١٩٦١).
٦١. لوريمر، ج.ج.، دليل الخليج، ج١، قسم الترجمة بمكتب امير قطر، (د.ت).
٦٢. لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية: جعفر الخياط، ط٦، مكتبة اليقظة العربية، (بغداد، ١٩٨٥).
٦٣. مانتران، وبير، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ج١، دار الفكر للدراسات والنشر (القاهرة، ١٩٩٢)
٦٤. المحامي، محمد فريد بيك، تاريخ الدولة العثمانية، (بيروت، ١٩٧٧).
٦٥. ـــــــــــــــــــ ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، (بيروت،١٩٨١).
٦٦. محبوبة، جعفر باقر، ماضي النجف وحاضرها، ج١، (النجف، ١٩٥٨).
٦٧. محمد، سوادي عبد، إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، مطبعة الإرشاد، (بغداد، ١٩٧١).



٦٨. محمد، صبري عبد المنعم، سياسية المغول الأيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام (٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦-١٣٣٥م) العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠٠١).
٦٩. المعطي، فؤاد عبد، الشـــرق الإســـلامي في عهد الايلخانيين (اســـرة هولاكوخان)، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، (الدوحة، ١٩٨٧).
٧٠. المقريزي، السلوك، ج٣، ق ٢، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، (القاهرة، ١٩٧٠).
٧١. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، الســـلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٥٧).
٧٢. موستراس، ش، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار بن حزم، ط١، (بيروت، ٢٠٠٢).
٧٣. نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، (القاهرة، ١٩٩٨).
٧٤. نورس، علاء موسى كاظم، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠ سلسلة دراسات (١٨٧)، دار الحرية للطباعة والنشر، (بغداد، د.ت).
٧٥. ـــــــــــــــــــ، حكم المماليك في العراق، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٥).
٧٦. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١، ط٢، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، دار الراشد، (بيروت، ٢٠٠٥).
٧٧. ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة نعيم محمد حسنين، (القاهرة، ١٩٨٥).

الرسائل والاطاريح

أ) الرسائل:

١. الجابري، محمد هليل، إمارة المشعشعيين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٧٣).
٢. حسين، جاسم مهاوي، تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام وآثاره السياسية (١٣٨٠-١٦٠٥)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٧٩).

٣. خليل، علاء محمود، المغول في الموصل والجزيرة ١٢٥٨-١٣٣٧م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ١٩٨٥)

٤. القهواتي، حسين محمد، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني ١٥٣٤-١٦٣٨م/ ٩٤١هـ-١٠٤٨هـ دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٧٥).

٥. مراد، خليل علي، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٠٤٨-١١٦٤هـ/١٦٣٨-١٧٥٠م، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ١٩٧٥).

٦. المولى، سالم يونس محمد، العراق في السياسة المملوكية ٧٨٤ / ٩٠٩ هـ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ١٩٨٩م).

٧. النجار، رغد عبد الكريم احمد، العراق في العهد الجلائري ٧٦٠-٨١٦هـ/ -١٣٣٩ ١٤١١م دراسة في الأوضاع السياسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ٢٠٠٥).

٨. الهسنياني، طارق احمد شيخو، الدولة العثمانية والمشرق العربي في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م)، رسالة ماجستير، كلية التربية، (جامعة الموصل، ٢٠٠٨).

ب) الأطاريح:

١. العدول، جاسم محمد حسن، الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم الأول ١٥٢١-١٥٢٠، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، (جامعة الموصل، ٢٠٠٤).

٢. علي، شاكر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر في أوضاعها السياسية والإدارية والاقتصادية أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة الموصل،١٩٩٢).

٣. قداوي، علاء محمود، العراق في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة الموصل، ١٩٩٣).

٤. الوائلي، طالب محيبس حسن، إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول ٩٠٦-٩٣٠هـ /١٥٠١-١٥٢٤م، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، (جامعة بغداد، ٢٠٠٧).

المجلات والدوريات

١. "اقدم وثيقة عثمانية مؤرخة في ١٤ شباط ١٠٣٧م، ٤ رمضان ٩٦٣هـ"ــــ، بتعريف وتعليق طازري باشي، مجلة المورد، مج٨، العدد ٤، (بغداد، ١٩٧٩).

٢. باشـــي، عطا ترزي، "اقدم وثيقة عثمانية عن بغداد"، مجلة المورد (بغداد)، م٨، ع٤، ١٩٧٩.

٣. بيات، فاضل مهدي، "تكريت في العهد العثماني"، موسوعة مدينة تكريت، ج٤، ط١، (د.م، د.ت).

٤. الجميل، سيار كوكب، "دراسات في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٦ وبدايات الصراع العثماني-الايراني الصفوي في عهد السلطان سليم الاول"، مجلة بين النهرين، العدد ٣١، (الموصل، ١٩٨٠).

٥. الجواهري، عماد، " العراق والتوسع الصفوي ١٥٣٠-١٥٠٢م"، مجلة الخليج والجزيرة العربية، العدد ٢٠ (د.ت).

٦. الحســو، احمد عبد، " الواقع الحضـــاري في الموصــل في عهد الســيطرة المغولية الايلخانية ٦٦٠-٧٣٦هـــ / ١٢٦١-١٣٣٥م"، موسوعة الموصل الحضارية، مج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٩٢).

٧. ـــــــــــــــــ، "الموصل في عهد السيطرة الجلائرية ٧٣٦- ٨١٤هـ /١٣٣٥-١٤١١م، موسوعة الموصل الحضارية، مج٢، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٩٢).

٨. ـــــــــــــــــ ، " الواقع الحضاري في الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأســود والأبيض ٨١٤-٩١٤هـ/١٤١١م-١٥٠٨م"، مج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٩٢).

٩. الحلو، صادق ياسين، " الجيش والسلاح منذ سقوط بغداد حتى العصر العثماني "، موسوعة الجيش والسلاح، مج٥، (بغداد، ١٩٨٧)

١٠. الحمداني، طارق، "تجارة البصـــرة الخارجية ودورها في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٤، نيسان، ١٩٨٣.

١١. خليل، إبراهيم، " أوضاع العراق السياسية في عهد السلطان احمد الجلائري "، مجلة آداب الرافدين، العدد ٨، (آب، ١٩٧٧).

١٢. خليل، نوري عبد الحميد، "حملات تيمور على بغداد "، مجلة المورد، م٨، العدد الرابع، ١٩٧٩.

١٣. الدهان، سرمد عكيدي فتحي وستار محمد علاوي، "الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق، دراسة تاريخية (١٥٠٨-١٧٧٩م)"، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، كلية التربية، الجامعة العراقية، م٣، العدد ١٤، نيسان ٢٠١٩.

١٤. رشاد، عبد المنعم ، " احتلال المغول لبغداد "، مجلة آداب الرافدين، العدد الأول، ١٩٧١.

١٥. ــــــــــــــــ ، " الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية ٦٦٠-٧٣٦هـ/ ١٢٦٢-١٣٣٥م"، موسوعة الموصل الحضارية، مج٢، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، (جامعة الموصل، ١٩٩٢)

١٦. رؤوف، عماد عبد السلام،" حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين "، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١١، (بغداد، ١٩٧٩).

١٧. ظاهر، مشيل مفرح وباسم حطاب الطعمة، "العلاقات الصفوية العثمانية ١٥٨٧-١٩٢٩ دراسة تحليلية"، مجلة آداب البصرة (كلية الآداب)، العدد ٤٥، ٢٠٠٨.

١٨. العابد، صالح محمد وعماد عبد السلام رؤوف، " العراق بين الاحتلالين المغولي والصفوي "، العراق في التاريخ (بغداد، ١٩٨٣).

١٩. ــــــــــــــــ ، " النظام الإداري من الاحتلال المغولي حتى عهد السيطرة العثمانية٦٥٦-٩٤١هـ/١٢٥٨-١٥٣٤م "، حضارة العراق، ج١٠، (بغداد، ١٩٨٠).

٢٠. عبد الفتاح علي يحيى، "ادريس البدلسي دوره وأثره في التاريخ الكردي"، مجلة كاروان، ع ٢٦، (اربيل، ١٩٨٤)

٢١. علي، علي شاكر، " العراق والغزو القرة قوينلوي في القرن الخامس عشر الميلادي "، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٨، ١٩٨٩.

٢٢. ــــــــــــــــ ، " إمارة آل فضل والصراع المملوكي – المغولي "، مجلة دراسات عربية، العدد ٨، ١٩٨١.

٢٣. ـــــــــــــــــــــ ، "التنظيمات الادارية العثمانية في ايالة البصرة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ٣٥، ١٩٨٣.

٢٤. ـــــــــــــــــــــ ، الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض ٨١٤-٩١٤هـ/١٤١١-١٥٠٨م، موسوعة الموصل الحضارية، مج٢، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٩٢).

٢٥. الفيل، محمد رشيد، " الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الايلخانى "، مجلة كلية الآداب، العدد السادس، (جامعة بغداد، ١٩٦٣).

٢٦. قداوي، علاء محمود، حكومة بغداد، بحث مقبول للنشر في مجلة آداب الرافدين.

٢٧. القهواتي، حسين محمد، "حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد ١٥٣٤"، مجلة المورد، م٨، العدد ٤، (بغداد، ١٩٧٨).

٢٨. مراد، خليل علي، "الموصل بين السيطرة العثمانية وقيام الحكم الجليلي (٩٢٢-١١٣٩هـ/١٥١٦-١٧٢٦م)"، موسوعة الموصل الحضارية، مج٤، ط١، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٩٢).

٢٩. مصطفى، أحمد عبد الرحيم، "السلطانة الروسية في البلاط العثماني"، مجلة العربي، الكويت، العدد ١٩٨٢، ص ٩١؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة إبراهيم، م١٠.

٣٠. نسيبة عبد العزيز الحاج علاوي، "المعمار العثماني سنان(١٤٨٩-١٥٨٨)"، المجلة الأكاديمية العراقية، العدد ٢، م١٧، (شباط، ٢٠١٠).

المصادر الأجنبية

1. A, Chaliand Gerard, in empire Ottoman the under Kurds the Kendal people with oley a country, (London, 1993), p. 14.
2. E.E.Hassan, Turkey and middle east (Istanbul, 1966), p.17
3. Encyclopedia of Islam, (London, 1971), Vol. 3 P.315
4. Rederic H. Davison, Reform in the ottoman empire 1656-1856 (New Jersey, 1936), p. 146
5. StanFord J Shaw, History of the Ottoman empire and modern Turkey, Vol 1,)Cambridge, 1978), p. 79